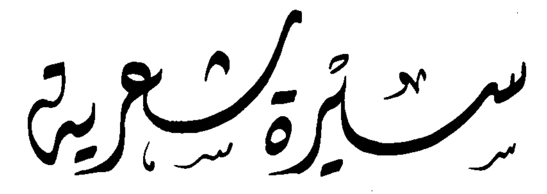
غازي عبد الرحمن القصيبي



الطبعة الثانية
تحتوي على زيادات هامة

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
جدة - المملكة العربية السعودية



١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعـــة الأولى

الرياض ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الجزء الثالث ٢٦٩

قصـــائد

الإهداء

إلى زميل الرحلة

الصديق الشاعر عبد الرحمن رفيع



مقدّمة

يمثل هذا الكتاب سيرتي الشعرية ويقف عند هذا الحد لا يكاد يتجاوزه . بمعنى أن الكتاب يتحدث عني كشاعر فحسب ؛ لا كتلميذ ؛ ولا كمدرس ؛ ولا كعميد كلية ؛ ولا كإداري ؛ ولا كعضو في مجلس الوزراء ؛ ولا كسفير ؛ ولا كأب ، ولا كأخ ؛ ولا كزوج ، ولا كإبن . وفي كل تجربة من هذه التجارب ، وكثير غيرها ، ما يكفى لكتابة مؤلف . ومنها في مجموعها تتكون السيرة الذاتية الكاملة .

على أن فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة ، ذلك أن الشعر لا يمثل سوى وجه واحد من شخصية الإنسان الشاعر . ولقد حاولت أن أتغلب على هذه الصعوبة بأن أورد في أماكن متفرقة من الكتاب أجزاء من السيرة الذاتية لم يكن هناك بد من إيرادها ، متجنبًا الاسترسال ، مرجئًا الحديث المفصل عن حياتي إلى الوقت الذي يتاح لي فيه أن أكتب سيرة ذاتية كاملة .

والهدف من الكتاب متواضع ومحدد . لقد قلت فى أكثر من مناسبة وأكرر هنا إنني لا أعتبر نفسي شاعراً عظيمًا ، ولا أتوقع أن أصبح في يوم من الأيام شاعراً عظيمًا . إنني لا أطمع أن يكشف الكتاب عن جوانب خفية من عبقرية متقدة ؛ ولا أن يوضح للنقاد والقراء ما اختلفوا فيه من أمري ؛ ولا أن يضيف أسماء جديدة إلى قوائم المعجبين . في هذا كله من الاعتداد بالنفس ما لا أحسه من نفسي ، ومن الغرور الأبله ما لم يطف لي ببال . أن هدف هذا الكتاب ـــ ببساطة ـــ هو أن يكون عونًا للباحثين الذين يتعرضون على نحو أو آخر لأشعاري ؛ ودليلًا أمام قارئ الشعر العادي يسهل له عملية السفر داخل دواويني ، إن كان يزمع القيام بمثل هذه الرحلة .

لقد كنت أشعر خلال إعدادي رسالة الماجستير ثم أطروحة الدكتوراه أن مهمة الباحث تسهل إلى حد كبير إذا وجد أمامه مادة شخصية مكتوبة بقلم الإنسان الذي يدور حوله البحث . في هذا ما يغني الباحث عن الحدس والتخمين وما يجنبه مؤونة الغوص في المصادر الثانوية بحثًا عن معلومات قد لا يتضمنها مصدر من هذه المصادر وما يريحه من عناء المراسلات والمقابلات الشخصية . ولقد ازددت اقتناعًا بهذه الفكرة نتيجة للاستفسارات العديدة التي تلقيتها عبر السنين من طلاب وباحثين وكتاب وصحفيين وهي جميعها متعلقة بتجربتي الشعرية وتطورها[1] .

وأعتقد أنه لو لجأ كل أديب عربي إلى تحرير كتاب عن حياته الأدبية لكان في ذلك ما يثري حركة التأليف والنقد . وأود أن أذكر ، على سبيل المثال ، الكتاب الذي وضعه الشاعر صلاح عبد الصبور عن تجربته الشعرية ، والكتاب الذي ألفه الشاعر نزار قباني في الموضوع نفسه . وأظن أن كل من اطلع على هذين الكتابين يدرك أن الشاعرين قدما خدمة جُلّى إلى الباحثين والنقاد .

ولعل في محاولتي المتواضعة اليوم ما يشجع بعض الأخوة من الشعراء والأدباء السعوديين على الاقدام على محاولات مماثلة . فإن تم ذلك حقق الكتاب ، بفضل الله ، هدفًا جديدًا يفوق في الأهمية هدفه الأصلي .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

(١) مصداق ذلك أنه بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب .. تضمنت كل الدراسات التي كتبت عن شعري ، بدون استثناء تقريباً ، معلومات مستقاة من الكتاب .

الجــزء الأول

سيرة شعرية



الفصل الأول

البداية

الشعر صعب وطويل سلمه !

الحطيئة



يصعب عليّ الآن وأنا أقفز قفزاً إلى بوابة الأربعين[1] أن أعود بذاكرتي إلى اليوم الذي بدأت فيه علاقتي بالشعر . إنني واثق ، أو أكاد أكون واثقًا ، أن هذه العلاقة لم تولد مع اليوم الذي كتبت فيه شيئًا كنت أتصوره وقتها قصيدة ، بل ولدت قبل ذلك بفترة طويلة . ذلك أنني كتبت أول قصيدة في سن الثانية عشرة ولكنني كنت قبل هذه السن مولعًا بالشعر ، وكنت بالتأكيد مولعًا بالأدب .

قد تبدو العبارة الأخيرة غريبة في أيامنا هذه حيث لا يتوقع أحد من الأطفال إعجابًا كثيراً أو قليلًا بالأدب . ولكنني أذكر تمامًا أنني قبل أن أبلغ العاشرة قرأت كافة كتب كامل كيلاني وتجاوزتها إلى مجموعة طيبة من روايات يوسف السباعي وإلى معظم قصص تاريخ الإسلام التي كانت تصدرها دار الهلال بالإضافة إلى كل ما وقع تحت يدي من روايات أرسين لوبين ورو كامبول . كما أن تجربتي مع المسرح المدرسي بدأت في سن التاسعة واستمرت حتى مراحل الدراسة الثانوية وخلفت لي هواية باقية هي الشغف بالمسرح . كانت اللغة العربية من أول يوم مادتي المفضلة ، ولا أعتقد أنني أتجاوز حدود التواضع عندما أقول أنني كنت دائمًا أحصل على أعلى الدرجات في الفصل في مواد اللغة العربية ، وفي الإنشاء بوجه خاص ، وكنت دائمًا أتمتع بعلاقة ممتازة مع مدرسي اللغة العربية ، بخلاف علاقتي المضطربة مع مدرسي الحساب الذي كانت درجاتي فيه لا تصل إلى الحد الأدنى إلا بعد جهد جهيد وبالاستعانة بالدروس الخصوصية .

لقد كان من أسباب تعلقي بالأدب التشجيع الذي لقيته من أحد مدرسينا في تلك الفترة ، الأستاذ أحمد يتيم رحمه الله ، وكان قارئًا ذواقه يحب القصص ويجيد روايتها ، وكان المشرف على النشاط المسرحي بالمدرسة ، ولا تزال في مكتبتي حتى اللحظة قصص تلقيتها منه كهدايا تشجيعية في مختلف المناسبات .

---

(١) كان هذا سنة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م !

عندما أعود بذاكرتي إلى سنوات الدراسة الابتدائية ، أتصور أنني كنت أتذوق الشعر إلى درجة تفوق ما كان يتوقع بالأمس أو اليوم من طالب الابتدائية . ولقد تجلى هذا **التذوق** في السهولة الفائقة التي كنت أجدها في استظهار المحفوظات الشعرية وفي قيامي بترديدها في المنزل بمناسبة وبدون مناسبة .

على أنني لم أحاول أن أكتب بيتًا من الشعر إلا مع أول سنة من سنوات الدراسة الثانوية . ومن المناسب هنا أن أوضح للقراء من الجيل الجديد أن الدراسة في البحرين أيامها كانت مقسمة إلى مراحل ثلاث : الحديقة ، وتتكون من ثلاث سنوات ، فالابتدائية وتتكون من أربع ؛ والثانوية وهي بدورها أربع سنوات ؛ أما التوجيهية فكان لابد من السفر إلى خارج البحرين للحصول عليها . كنت إذن طالبًا في السنة الأولى من المدرسة الثانوية[1] عندما قررت الالتحاق بنادي الشعراء ، أو بمعنى أدق عندما قررت الاستجابة لصوت الشعر الخفي في داخلي . ذلك أن الشعر ، في تصوري ، هو الذي يختارنا لعضوية مملكته السحرية ولا نملك أمام إرادته سوى الانصياع والاستسلام .

ويقتضي الإنصاف أن أقرر أن الدافع الرئيسي لكتابة قصيدتي الأولى كان وجود الصديق العزيز عبد الرحمن محمد رفيع ، الشاعر المعروف ، طالبًا معي في الفصل ذاته . كان عبد الرحمن قد بدأ كتابة الشعر قبل لقائنا في الثانوية بسنة أو نحوها وكان ديوانه الشعري يتكون من قصيدتين يتيمتين . أولاهما وطنية مطلعها :

يا شعوب العرب هيا يا كرام ... ودعوا النوم وهبوا للأمام

أما الثانية فعاطفية ومطلعها :

ما دهى ورد الجنينة باكيا ... يسكب الدمع ترى ما الداعيا

وكانت القصيدة الثانية هي الأكثر ذيوعًا وشعبية بيننا . كنا نستمع إليها مرة أو مرتين في الأسبوع بطلب من أحد الأساتذة أو من أحد الطلاب أو بدون طلب .

وكان عبد الرحمن يتمتع بمكانة خاصة بين الطلبة والمعلمين بسبب هاتين القصيدتين وللقب الشاعر الذي تمتع به كنتيجة طبيعية لكتابة القصيدتين . وهكذا فإنني أعترف أن شيئًا كالغيرة كان الدافع الرئيسي المباشر لكتابة القصيدة الأولى .

(١) أي ما يعادل السنة الثانية من الاعدادي أو المتوسط اليوم .

ولعل مما يخفف صعوبة الاعتراف ، وكل اعتراف صعب ، أن هذا الدافع المباشر لو لم يلتق بأرض خصبة مهيئة لإنبات الشعر لتلاشى وابتلعته الرمال .

هذا هو الدافع الفعلي أما المناسبة فقد كانت حريقًا كبيراً أتى على مجموعة كبيرة من « العشيش » — البيوت المبنية من سعف النخل — قرب المدرسة . وكانت نتيجة الحريق تشريد عشرات العائلات وإن لم يكن هناك ضحايا . كانت « القصيدة » مكونة من عشرة أبيات لا أذكر منها الآن سوى :

يا لهول الخطب الذي استشري بقــوم آمنينـــا
نار مستبـــدة عاتيـــة اشتعلت ثم أبت أن تستكينا

ولا أشك اليوم أني كنت متأثراً تأثراً كبيراً بقصيدة حافظ إبراهيم الرائية في الحريق والتي كانت جزءاً من مقرر المحفوظات .

ولا أزال أذكر شعور الفرح العميق الممزوج بالخوف وأنا أحمل قصيدتي الأولى إلى عبد الرحمن طالبًا منه التعليق . ولا أدري ماذا كانت مشاعر عبد الرحمن الحقيقية وهو يرى « مدعيا » يتقدم إلى الساحة لينازعه احتكاره الشعري ، ولكني أذكر تمامًا أن رده كان مشجعًا للغاية وشكل دفعة قوية حفزتني على الاستمرار .

كانت معلومات عبد الرحمن العروضية أوسع من معلوماتي وأعتقد أنه تبين أن القصيدة بريئة من الوزن براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولكنه لم يقل شيئًا واكتفي بأن اقترح عليّ أن أعدل البيت الأول ليصبح على النحو التالي :

يا لهول الخطب والرزء الذى جار واستشرى بقوم آمنينا

وهكذا أصبح في القصيدة بيت موزون واحد !

واستمرت المحاولات الشعرية طيلة السنتين التاليتين وكنت أسجلها في دفتر خاص مزقته بامتعاض عندما بلغت السادسة عشرة إذ تصورت وقتها وقد بدأت أكتب الشعر الموزون أن من العبث الاحتفاظ بكلام ركيك مهلهل كالذي احتواه الدفتر . وغنى عن الذكر أنني اليوم آسف أشد الأسف على القرار المتسرع الذي اتخذته بتمزيق الدفتر . على أنني أذكر أن مستوى القصائد التي تضمنها ذلك الدفتر لم يختلف كثيراً عن مستوى القصيدة « النارية » ، ولم تكن هناك غير أبيات معدودة مستقيمة الوزن في المجموعة بأكملها وكانت لا تقل عن ثلاثين « قصيدة » .

وأتذكر أن غالبية القصائد التي كتبتها في تلك الفترة كانت عاطفية مغرقة في الخيال تتحدث بسذاجة عن اللقاء في أحضان الطبيعة والزوارق السابحة تحت أضواء القمر في البحيرات الحالمة .

وأعتقد أنني في حدود الرابعة عشرة بدأت أكتب شيئًا يصلح أن يسمى شعراً ، من ناحية الشكل على الأقل . غير أنني عندما أعود إلى أوراقي القديمة لا أجدني احتفظت بشيء مما كتبت في تلك الفترة وإن كنت أذكر تمامًا أنني كنت أنشر ما أكتب في صحيفة الحائط الفصلية . وترسخ في ذاكرتي اليوم أصداء باهتة من قصيدتين وطنيتين كتبتهما في تلك الفترة . أذكر من الأولى البيت الأخير :

طرق العــــلا محفوفـــــة بالشوك والدنيـــــا حروبْ

وأذكر من الثانية المطلع :

وطنٌ يضيع وعزّة تتحطمُ وأسىً يجور وغاصبٌ يتحكمُ

كما أتذكر أنني ألقيت عدداً من القطع الشعرية في الاحتفالات الأدبية في المدرسة .

ولقد بدأت في تلك الفترة « المساجلة » ، وهي كلمة مهذبة لما كان في واقع الأمر مهاجاة ، بيني وبين عبد الرحمن ، هذه المساجلة التي استمرت سنوات طويلة ولم تنقطع نهائيًا حتى الوقت الذي أكتب فيه هذه السطور(١) . يبدو أن فترة الرعاية التي اختصني بها عبد الرحمن في البداية تلاشت عندما تبين أن القادم الجديد إلى ساحة الشعر لم يكتف بقصيدة أو قصيدتين بل استمر في الكتابة حتى تمتع هو بدوره بلقب الشاعر . وكانت المساجلة تتخذ طابعًا طريفًا سرعان ما أصبح حديث المدرسة بأكملها . وكان لكل منا أنصاره ومؤيدوه ، وإن كان الانصاف يقتضي أن أعترف أن شعبية عبد الرحمن كانت أوسع من شعبيتي بكثير .

كان يوم الخميس من كل أسبوع مخصصًا للنشاط الأدبي يتخذ شكل قصة أو مقالة أو قصيدة يلقيها أحد الطلاب على المدرسة بأسرها قبل بداية الدروس .

---

(١) من هذه المساجلة الأبيات التالية التي كتبها عبد الرحمن عندما زار الرياض مرة ولم يتمكن من مقابلتي :

أتينـــا للريـــاض أبـــا سهيـــل لنسعـــد باللقـــا ونـــراكَ مُدّهْ
فقالــــوا في اجتماع قلت صبراً وزيــر صناعـــة لا وقت عنـــده
فقل إن كان صبرك من حديـــد فإن الصبر عنـــدي بات « خردهْ »

كان عبد الرحمن يلقي قصيدة في موضوع من الموضوعات ، ويضمن بعض أبياتها هجاءً ذكيًا مبطنًا موجهًا إليّ . ثم يجيء دوري فألقي قصيدة من نفس البحر والقافية أضمنها رداً على الهجاء . وهكذا . تضمنت هذه المساجلات قصيدة عبد الرحمن :

هي البحرين ينبوع اللآلي عروس في الخليج بلا مثالِ
هواها في الدم الفوار جار يهز القلب كالخمر الحلالِ

وردي عليها :

سئمنا الشعر في الدمن البوالي وقمنا نبتغي طلب المعالي

وقصيدتي :

صحت من نومها ومضت سراعا شعوب العرب تندفع اندفاعا

ورد عبد الرحمن :

صدى الأحرار ملء الشرق شاعا فشمر يا فتى العرب الذراعا

وبالإضافة إلى الهجاء العلني ، الذي كان لابد أن يتم بحذر شديد حتى لا يشطب الأستاذ المشرف على النشاط الأبيات التي تتضمنه ، كان هناك هجاء أعنف آخر يتم بتبادل القصائد في الفصل أو كتابتها على السبورة .

وأعتقد اليوم ، ولا أشك أن عبد الرحمن يشاركني الاعتقاد ، أن الدوافع وراء المهاجاة كانت أدبية محضًا بمعنى أنه لم يكن هناك سبب شخصي حقيقي يبرر الهجاء . لقد استمرت علاقاتنا وثيقة وطيدة حتى في الفترات التي وصلت فيها المهاجاة ذروة القسوة أو البذاءة . كنا أيامها نقرأ للأخطل وجرير ونحفظ النقائض ويبدو أننا بعد أن جربنا حظنا مع أشعار الوطنية والغزل قررنا أن نطرق هذا الفن من فنون الشعر ولما كنا الشاعرين الوحيدين في المدرسة كان من الطبيعي أن يهجو أحدنا الآخر . وعندما أرجع اليوم بذاكرتي إلى تلك الأيام أجد أن هذه المساجلة ، بالإضافة إلى الإثارة التي أسدلتها على النشاط الأدبي ، كانت استفزازاً لمواهبنا وحافزاً لنا على الإجادة والإبداع .

ومع العام الخامس عشر استقامت لي القوافي والأوزان . ولقد شهدت تلك السنة حدثًا تاريخيًا في مسيرتي الشعرية عندما رأيت أول قصيدة لي منشورة في صحيفة حقيقية هي « الخميلة » التي كانت تصدر أيامها في البحرين :

ماذا يفيد تأوهي ودموعي — ليست ليالينا بذات رجوع
مرت سراعاً كالخيال وخلّفتْ — ألم الحزين وحرقة الموجوعِ
وبقت لها الذكرى الطروب تلوح في — قلبي الجريح وترتمي بضلوعي

وأجد في أوراقي القديمة حوالي عشر قصائد كتبتها في تلك السن . وكانت مواضيع القصائد تشكل اهتمامات فتى عربي يافع في تلك الفترة المضطربة القلقة من تاريخ العرب . أجد قصيدة بعنوان « أخي » مطلعها :

أخي ضمد الجرح وانهض معي — إلى عزنا أو إلى المصرع

ومنها هذا المقطع :

وبئس القوافي إذا لم تكن — لهيبًا يزلزل بأس العدى
وبئس القوافي إذا لم تكن — تزين للثائرين الردى
وبئس القوافي إذا لم تكن — تعربد للظلم إن عربدا
وما قيمة العمر إن لم يكن — جهاداً لنيل المنى مربدا
وفيم ترجي البلاد الشباب — إذا لم يكن للبلاد الفدا ؟

وأجد قصيدة وطنية أخرى بعنوان « مع الليل » مطلعها :

مشى السكون وأغفى في الدجى القمر — وأقفر الكون لا همسٌ ولا سمُرُ

ومنها :

يا ليل ما دام في أرض خيال أسى — ولوعةٌ وعيونٌ شفّها السهرُ
وغاصبٌ تتحدّى الشرق سطوته — وجمرةٌ في ضلوع الشرق تستعرُ
فلن تشاهد مني غير عاصفةٍ — من الشجون بقلبي البكر تشتجرُ
حتى إذا لاح فجر البعث وانتفض — الآساد ... في ثورة الأمجاد وابتدروا

وزمجروا في هضاب القدس واقتحموا الحصون .. كالموت لا يبقى ولا يذرُ

الفيتني غرداً أشدو ويسحرني جلالك الفذ بالالهام يزدخرُ
وإن بدا بدرك الوضّاحُ راودني إليه شوقٌ وهام القلبُ والبصرُ

وأجد قصيدة عاطفية بعنوان « ثورة » لها ذكرى خاصة لأنها أعطتني ثقة كبيرة بالنفس . بعد كتابة هذه القصيدة ذهبت بها إلى عادل ، شقيقي الذي يكبرني بسبع سنوات ، وأخبرته أنني قرأتها في احدى الصحف لنزار قباني وكانت شهرة نزار قد بدأت تجتاح العالم العربي . وكم كانت دهشتي بالغة عندما انطلت الخدعة على عادل . تقول القصيدة :

طردت غرامك من خاطري وأبعدت طيفك عن ناظري
سلوتك لا تأملي أن أعود كما كنت عبد الهوى الآسرِ
سلوت وشبّت لظى الكبرياء تعربد في قلبي الداعرِ
وتمتم صوت الإباء الجريح بأرجاء نفسي كالآمرِ
أفق ! ما كفاك خضوع الذليل أما لجنونك من آخرِ ؟

وكانت هناك قصة أخرى بطلها عادل . كنت في تلك الأيام أتابع بشغف شديد ركن الشعر الذي يظهر في زاوية من زوايا الصفحة الأسبوعية التي كان يحررها المرحوم صالح جودت في المصور ، وكان يختار لكل عدد قصيدة قصيرة لشاعر معروف من شعراء العالم العربي . كان أقصى أحلامي أيامها أن ينشر شيء من شعري في تلك الزاوية . كتبت رسالة طويلة إلى صالح جودت أخبره فيها أنني طالب بالمدرسة الثانوية ومغرم بالشعر وأرفقت له آخر قصيدة كتبتها ملتمساً منه أن ينشرها وموضحًا أن نشرها سيكون حافزاً حقيقيًا على متابعة الرحلة الشعرية :

تعالي نملأ الدنيا أغاريدا وألحانا
تعالي نقطف الأحلام فالأشواق ترعانا
وهذا النبع بين العشب نشوانٌ بلقيانا
وهذا البلبل الصداح مخمورٌ بنجوانا

*

تعالى ذلك البستان يا ليلى ينادينا
وفيه الورد قد أغفى على حلم تلاقينا

وعين البـــدر من آفاقهـــا العليـــا تناجينـــا
ومـــاء الجدول الرقـــراق بالهمسات يشجينـــا

*

تعـــالي قبـــل أن يذبـــل في روضتنـــا الزهـــرُ
تعـــالي قبـــل أن يغـــرب عن أحلامنـــا العمـــرُ
وتقفـر بعدنـــا الدنيـــا فلا همسٌ ولا شعـــرُ
ولا لقيـــا محببـــةٌ ولا حسنٌ ولا سحرُ

*

وكم كانت خيبة أملي مريرة عندما تابعت الأعداد التالية من المصور فلم أجد القصيدة ولكني وجدت في أحدها تعليقًا من صالح جودت في باب رسائل القراء لا أزال أذكر كلماته واحدة واحدة : « قصيدتك تدل على موهبة لا زالت برعمًا يتفتح . اقرأ كثيراً فلا ينقصك إلا التعمق » . ورغم ما احتوى عليه الرد من تشجيع واضح إلا أن عدم نشر القصيدة كان صدمة نفسية كبرى .

وهنا تدخل عادل وقال إنني المسؤول عن عدم نشر القصيدة إذ كيف أتوقع من صالح جودت أن ينشر لطالب مبتدىء في المدرسة الثانوية وهو الذي يفاخر بأن زاويته لا تنشر إلا لكبار الشعراء المعاصرين . كتب عادل رسالة أخرى بالآلة الطابعة وعلى ورق فاخر ووقعها بالاسم المستعار الذي كنت أكتب به تلك الأيام محمد العليني — ولهذا الاسم قصة سأعود إليها بعد قليل — وكانت الرسالة مليئة بالتعالي ، وجاء فيها أن الشاعر تقديراً منه لمكانة صالح جودت يخصه « بقصيدة من شعرنا الذي لم ينشر من قبل في أي من دواويننا المطبوعة » . وكم كانت دهشتي بالغة عندما تصفحت المصور بعد أسبوعين — فإذا بالقصيدة واسمها « صورة حبيبي » — تحتل الركن العتيد :

وضعتها فوق قلبـــــي كي يستـــريح ويهدا
فازداد خفقاً ووجفـــاً وازددت شوقـاً ووجـدا
وقـــلت تطفـــئ ناري فزادت النـــار وقـــدا
قد خان عهدي حبيبي ولم تخن هي عهـــدا

ولا أدري إلى اليوم هل كانت هذه القصيدة أفضل من سابقتها أم أن الحرب النفسية التي استخدمها عادل كانت المسؤولة عن نشر القصيدة . المهم أن صالح جودت استمر ينشر لي بالاسم المستعار حتى التقيت به في القاهرة بعدها ببضع سنوات وأخبرته القصة بأكملها فانفجر ضاحكاً وروى ليَ عدة قصص مشابهة تدور كلها حول انخداع الناس ، بما فيهم النقاد ، بالأسماء اللامعة وعجزهم عن تقيم أي عمل أدبي تقييمًا موضوعيًا بمنأى عن شخص الكاتب .

والحديث عن عادل يجرني بالضرورة إلى الحديث عن موقف العائلة من هذا الابن الشاعر الذي كان ظاهرة جديدة لم تعهدها العائلة وسابقة غير مألوفة في تاريخ الأسرة . وتقتضي الأمانة أن أقول إنني لاقيت من البداية الكثير من المؤازرة . كان عادل من المبرزين في اللغة العربية وكان أيامها ، قبل أن تستحوذ الأعمال التجارية بوقته كله ، قارئاً ممتازاً ، واستقبل محاولاتي الشعرية بالاستحسان والتشجيع . كما كان نبيل ، شقيقي الذي يكبرني بخمس سنوات رحمه الله ، بدوره مولعًا بالأدب والشعر ورغم أن تعليقاته على محاولاتي الشعرية الأولى كانت في كثير من الأحيان لاذعة وجارحة ، إلا أنه بدوره كان سعيداً بهذا الأخ الشاعر .

أما سيدي الوالد ، رحمه الله ، فقد كان اعتزازه بهذا الابن الأديب ظاهراً واضحاً . ولا أزال وأذكر أنه في سنة ١٩٥٥م — (١٣٧٥هـ) تلقى لقب « وزير دولة » من الملك سعود رحمه الله ، فكتبت قصيدة بهذه المناسبة مطلعها :

لا أهنيك بهذا اللقب   أنت أسمى منه قدراً يا أبي

ولا أزال حتى هذه الدقيقة أتذكر الغبطة البالغة التي شاعت في ملامحه وهو يقرأ الأبيات . لقد طلب مني أن أعيدها ، وكنا في يوم عيد ، أكثر من مرة أمام الزائرين . وكان مثل هذا الطلب في تلك المرحلة من العمر مصدر سعادة عارمة ولم أتردد في الاستجابة إليه . ثم بعد أن مرت السنوات والتحقت بالجامعة بدأت أشعر بحرج متزايد في الاستجابة لرغبة الوالد في إنشاد القصائد أمام جلاسه وزواره مع معرفتي الأكيدة أن اعتزازه بي وبما أكتب هو الدافع . وقد اضطررت عندما بلغت الثامنة عشرة أن ألجأ إلى عادل للتوسط مع أبي ليعفيني من هذا الانشاد العلني وقد استجاب رحمه الله ضاحكاً ولم يطلب مني بعدها أن ألقي قصيدة ما لم أتطوع بذلك . كنت ألمس هذا الشعور بالاعتزاز لدى جدتي رحمها الله — وهي التي

قامت في تربيتي مقام والدتي التي توفيت إذ كنت في الشهر التاسع ــ ولدى بقية إخواني وأخواتي . وأعتقد اليوم ، لا بل أنني أجزم ، أن هذا الجو العائلي المتعاطف كان له أثره الفعال في استمراري في كتابة الشعر وأتصور أنني لو جوبهت برد فعل معاد لكان لذلك أثر سلبي قليل أو كثير .

وأحب أن أعود الآن إلى حكاية الاسم المستعار . كانت البحرين أيامها تغلي بمشاعر الوطنية والاستقلال شأنها شأن بقية أرجاء العالم العربي ، وكان وضعها الخاص باعتبارها محمية بريطانية يزيد تلك المشاعر التهاباً . لم يكن من المناسب لفتى في الخامسة عشرة أن يتعاطى « السياسة » عن طريق نشر القصائد المناوئة للاستعمار ــ والاستعمار أيامها كان يعني بريطانيا ــ لسببين رئيسين : أما أولهما فإن المدرسة لم تكن تنظر بعين العطف إلى مثل هذا النشاط يمارسه طالب من طلبتها . وأما ثانيهما فإن العائلة ــ وسيدي الوالد بوجه خاص ــ لم تكن ترتاح إلى هذا المسلك يمارسه ابن من أبنائها ، وذلك خشية ما قد يسببه من أضرار بالعلاقات الوطيدة التي كانت ــ ولا تزال ــ تربط العائلة بحكومة البحرين . من هنا نشأت فكرة الاسم المستعار . على أن الصراحة تجبرني أن أذكر أنني أعتقد الآن أن هناك سبباً نفسياً لا يقل أهمية وهو أنني في تلك المرحلة المبكرة لم أشأ أن أواجه العالم باسمي الحقيقي خوفاً أن يكون ما أنشره دون المستوى الذي أرجوه لنفسي ، وهذا ، بالمناسبة ، شعور لا يزال يراودني بين الحين والآخر . المهم أنني قررت أن أنشر باسم مستعار ووقع اختياري على اسم محمد العليني . وقد اخترت الاسم الأخير لأنه على وزن القصيبي ، أما الاسم الأول فقد اخترته لأنه أكثر الأسماء العربية شيوعاً . لقد كانت الغالبية العظمى من القصائد التي نشرتها في تلك الفترة سواء في صحف البحرين أو في مجلة المصور بهذا الاسم المستعار . وقد لفت هذا الشاعر الجديد إليه الانظار وتساءل الناس عن صاحبه وظهرت دراسة في إحدى صحف البحرين عن شعر محمد العليني ، غير أن المتتبعين للحركة الأدبية في البحرين كانوا يعرفون تمام المعرفة الاسم الحقيقي للشاعر .

على أن الكتابة باسم مستعار لم تحل المشكلة . ذلك أن الشعور الشعبي ضد الوجود البريطاني في البحرين ازداد حدة ووجدت نفسي منساقاً في هذا التيار الجارف ألقي القصائد الوطنية في الاجتماعات الشعبية وأكتبها لتوزع باسم مستعار أو بدون اسم . ولقد أدى ذلك الموقف إلى توتر شديد في علاقاتي مع والدي ومع

عادل استمر حتى غادرت البحرين في منتصف سنة ١٩٥٦م — (١٣٧٦هـ) .
ولم تكن هذه آخر المشاكل التي سببها الشعر في علاقاتي مع الآخرين ، فكم من قصيدة بعد ذلك أثارت ثائرة قليلين أو كثيرين . وهذا أمر لا خيار لي فيه فالشاعر لا يكتب ليرضي أحداً أو ليغضب أحداً وإنما ليعبر عن مشاعره ولا حيلة له بعد في ردود الفعل المستحسنة أو المستنكرة .

ولا أظنني بحاجة إلى القول بأن الشاعر ، أي شاعر ، كثيراً ما يجد نفسه في صراع مع بيئته ويزداد هذا الصراع كلما كانت بيئة الشاعر محافظة متزمتة . لقد تمتع الشاعر في تاريخنا الأدبي العربي بحرية كبيرة ، وكان الناس عموماً ينجحون في التفرقة بين شخص الشاعر وشعره . ولم أسمع خلال تاريخنا أن أحداً طالب برجم شاعر لأنه تحدث عن الوصال أو بجلده لأنه وصف الخمر . وفي قصيدة « بانت سعاد » التي ألقاها كعب بن زهير أمام الرسول عليه الصلاة والسلام غزل حسي مثير وتشبيه لنشوة الحب بسكرة الخمر ووصف تفصيلي لقوام الحبيبة ، ولم يذكر لنا التاريخ أن رسول الله ﷺ استهجن من ذلك شيئاً . والأمثلة على هذه الحرية الشعرية أكثر من أن تعد غير أنه كانت هناك دائماً أقلية متزمتة تحاول تكميم كل صوت لا يروق لها باسم الدفاع عن الفضيلة والأخلاق . وقد كانت لي مع هؤلاء مشاكل وخطوب ليس هذا بالمجال الأمثل لسرد تفاصيلها .

على أنني لا أود أن أترك موضوع المشاكل التي سببها لي الشعر قبل أن أروي حادثة طريفة وقعت وأنا في السنة النهائية من المدرسة الثانوية . كان في المدرسة بالإضافة إلى القسم العام الذي كنت أنتسب إليه قسم آخر يسمى القسم التجاري يدرس الطلبة مبادئ المحاسبة والسكرتارية . وكانت المنافسة بين القسم العام والقسم التجاري على أشدها في مختلف المجالات وفي الميدان الرياضي على وجه الخصوص . وفي تلك السنة فاز فصلنا على الفصل التجاري في مباراة كرة القدم ، وهو انتصار لم يكن لي فيه من فضل سوى التشجيع الصاخب . وكان الفوز مناسبة قابلناها بالاحتفال وقابلها طلبة القسم التجاري بالغيظ والحنق . ثم مرت الأيام وهزم فصلنا هزيمة ساحقة في مباراة مع فصل السنة الثالثة ، وكانت شماتة منافسينا في القسم التجاري واضحة عنيفة ودفعتني إلى أن أكتب قصيدة في هجائهم :

كأنكُم وحوشٌ يا تجاري   بأخلاق كأخلاق الحمار

شتم بالكرام لأن فيكم نفوساً مثل حيّات القفار
وفيكم حرقة كبرى تلظت ولن تطفي حرارتها «عذاري»[1]

وقعت القصيدة على رفاقنا أسوأ موقع فأرسلوا وفداً كبيراً منهم إلى مدير المدرسة مطالباً بتوقيع أقسى العقوبات على الشاعر الهجّاء . ومن حسن الحظ أن المدير كان من متذوقي الأدب فاطلع على القصيدة وضحك طويلًا وشرح للوفد أنه لا يستطيع توقيع عقوبات جسدية مقابل مخالفة أدبية . وذكر للمشتكين أنه يسمح لهم بهجائي أو الاستعانة بمن يقوم بذلك نيابة عنهم . كانت تلك المحاولة الأولى لاستعداء السلطات على شعري ، ولكنها لم تكن الأخيرة . غير أن تلك قصة أخرى !

ومع العام السادس عشر طرأ — فيما أتصور — تحسن واضح على ما أكتب مس الشكل والمضمون ويضم ديوان **أبيات غزل** مقطوعتين كتبتهما في تلك السن[2] . وأجد في أوراقي اليوم ما يقرب من ثلاثين قصيدة مكتوبة في تلك الفترة موزعة على ثلاث محاور : الشعر الوطني والشعر الديني والشعر الغزلي . أجد من الشعر الوطني قصيدة عن فلسطين :

رعودك في مهجتي تزأرُ وجرحك في أضلعي ينغرُ
فما نحن في الشرق إلا شعوبٌ يوحّدها القيد والخنجرُ
وما نحن إلا انتفاضٌ عصوفٌ يود له الموت مستعمرُ
وما نحن إلا السياط التي تحمّلها صدرنا الأسمرُ
وما نحن إلا الأماني العذاب لمستقبلٍ بالمنى يزخرُ

وأجد قصيدة في الاسراء :

ليلةٌ قد هرم الدهر وما برحت تخطر في زهو صباها
كلما مرّ عليها زمنٌ زادها خلداً وبالفخر كساها
فمشت بين الليالي قمراً يرسل النور ضحوكاً في دجاها
ليلةٌ تاهت وماست طرباً عندما أشرق فيها نور طه

(١) عذاري : ينبوع ماء شهير في البحرين .

(٢) « اضحكي » و « من قبل » **أبيات غزل** : مكتبة دار **العلوم** ، الرياض ١٩٧٦م — ١٣٩٦هـ ص.ص : ٣—٦

إذ سرى يرتاد فيها غاية يقف الفكر صريعاً عن مداها

وأجد قصيدة عاطفية عنوانها « أنت » :

أنتِ أحلى من الربيــــع وأبهى من الضيـــــــــاءْ
أنت أغـــــرودة المنـــــى أنت أنشودة الرجــــــاءْ
انتِ حلـــــم النجـــــوم والفجـر حوريـــة السمـــاءْ
أنتِ لحن الهـــــــــوى وهمس العصافير للـــمساءْ

وأبيات بعنوان « بسمة » :

هذه البسمة رفت نسمةً فوق صحراء حياتي المقفرهْ
فإذا بالكون يضحي جنة من **خيالاتٍ عـذابٍ** مسكرهْ
وإذا بي سابح في عالم كل ما فيه زهور عطرهْ

ومع صيف سنة ١٩٥٦م — (١٣٧٦هـ) أنهيت دراستي في البحرين وانتقلت إلى القاهرة لألتحق بالمدرسة السعيدية طالباً بالتوجيهية ، ثم بكلية الحقوق في جامعة القاهرة . وكان هذا الانتقال بداية مرحلة جديدة هامة في حياتي وفي تجربتي الشعرية سأعود إليها بعد قليل .



الفصل الثاني

المؤشرات الأولى[1]



« الشعر .. ليس مجرد عواطف .. ولكنه تجارب »

ريلكـــه



الحديث عن المؤثرات التي لعبت دوراً في تجربتي الشعرية يسير وعسير في الوقت نفسه . هو يسير لأن سرد أسماء الشعراء الذين أعجبت بهم أو الكتب التي قرأتها أمر لا يتطلب كثيراً من الجهد . وهو عسير لأمور عدة . منها أن التأثر عملية نفسية لا شعورية يعجز الشاعر نفسه في كثير من الحالات عن تبينها في نفسه أو في شعره ؛ ولهذا فكثيراً ما نجد شاعراً يغضب إذا قلنا له أننا نرى ملامح شاعر آخر في قصائده . ومنها أن التأثر لا يمكن ارجاعه ببساطة إلى شعراء بعينهم أو مؤلفات بذاتها إلا فيما ندر من الحالات وفي بداية التجربة الفنية . حقيقة الأمر أن ما يقرأه الشاعر من نثر وشعر وما يمر به في حياته من تجارب شقية وسعيدة والبيئة السياسية والثقافية والاجتماعية المحيطة به عناصر تمتزج وتتفاعل فيما بينها مشكلة في مجموعها القوى والأحاسيس والانفعالات التي تتسلل إلى وعي الشاعر وإلى لا شعوره وتترك بصماتها على حياته وعلى شعره . ومحاولة فصل هذه العناصر المتداخلة عن بعضها وتحليلها واحداً واحداً أمر في منتهى الصعوبة ، إن لم يكن أمراً مستحيلًا .

لقد بدأت قراءاتي الشعرية في حوالي الثانية عشرة ، بشاعرين مفضلين هما شوقي وحافظ . وأتصور الآن أن مرجع هذا الإعجاب هو تأثير الأساتذة المصريين الذين كانوا يدرسوننا اللغة العربية وآدابها ، بالإضافة إلى قطع المحفوظات الكثيرة التي تضمنتها المناهج لهذين الشاعرين . على أنه مهما كان السبب الحقيقي فقد كان هذان الشاعران قريبين إلى قلبي وقد قرأت « الشوقيات » وديوان حافظ إبراهيم مرات أكثر من أن أعدها ، وحفظت جملة لا بأس بها من شعر هذين الشاعرين . وأود أن أقف هنا وقفة قصيرة لأقول أن ما لاقاه هذان الشاعران في حياتهما من تكريم مبالغ فيه ، بلغ مدى سخيفاً مضحكاً بمبايعة شوقي أميراً للشعراء ، انقلب بمرور الأيام إلى معاداة ثم إلى لا مبالاة واستخفاف . ويندر اليوم أن نجد من النقاد المحدثين من يذكر شوقي أو حافظ بالخير . وفي هذا من التجني ما فيه ، خصوصاً بالنسبة لشوقي الذي لا أزال أعتبره شاعراً مبدعاً رغم أن جذوة إعجابي القديم به قد خبت . وأتصور أن التاريخ الأدبي سيدور دورة جديدة ويعيد تقييم هذين

الشاعرين على نحو أكثر هدوءاً ويضعهما في موضعهما المناسب كشاعرين حقيقيين ، لا أكثر من ذلك ولا أقل .

وفي سن الرابعة عشرة اكتشفت شاعراً مفضلًا ثالثاً هو محمد مهدي الجواهري وعندما أعود اليوم إلى قصائدي الوطنية الأولى أجد تأثير هذا الشاعر واضحاً ملموساً . تقول إحدى هذه القصائد :

ثوري براكين الألـــمْ   ثوري صواعق من نقمْ
ثوري صباحـــاً يملأ   الأرجـاء يهزأ بالظلـمْ
ثوري أنينـاً يخنـــق   الألحان يغتـال النغـمْ

وقد كنت أعجب إعجاباً خاصاً بالقصيدتين الشهيرتين في رثاء أخيه ، ومطلع الأولى :

أتعلم أم أنت لا تعلمُ   بأن جراح الضحايا فمُ ؟

ومطلع الثانية :

يوم الشهيد تحيةٌ وسلامُ   بك والنضال تؤرخ الأيامُ

ولا أزال ، حتى اليوم ، أعتبر أولاهما درة من درر الرثاء ، وشعر الرثاء لصيق بقلبي ، وجوهرة من جواهر الشعر العربي قديمه وحديثه .

ثم التقيت بشعر عمر أبو ريشة وقد دلني عليه الصديق القديم العزيز علي سيار صاحب جريدة صدى الأسبوع في البحرين وكان أيامها يحرر جريدة القافلة التي كنت أنشر فيها قصائدي . وكان لقائي بعمر أبو ريشة نقطة تحول في مساري الشعري ولعلي لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنني تأثرت به أكثر من أي شاعر آخر . وعندما أسعدتني الظروف بمقابلة عمر أبي ريشة قبل سنوات قليلة قدمت نفسي إليه على أنني تلميذ من تلاميذته ولم أكن أبالغ أو أجامل . بهرت بقصائد أبو ريشة ووجدت نفسي أمام شعر جديد بطعم جديد ونكهة جديدة . لقد استمر اعجابي بعمر أبي ريشة قوياً على مدى السنين وإن كنت أعتقد أن تأثيره في قصائدي الأولى كان أوضح من تأثيره في قصائدي في المراحل التالية . أجد في أوراقي القديمة قصيدة كتبتها في سن السادسة عشرة بعنوان « المسلول » :

قتل اليأس فيه حلم شبابهْ فتهاوى مرنحاً بمصابهْ
ذاهلًا عن وجوده يحسب الكون نواحاً يزيد من أوصابهْ
ساهماً ترقص الدموع بعينيه وتسعى الآلام في أهدابهْ

ولا أظن أن أحداً من الأدباء بحاجة إلى كثير من ذكاء ليلمس التأثر الواضح بقصيدة أبو ريشة الرائعة « مصرع فنان » .

نام عن كأسه وعن أحبابهْ قبل أن ينقضي نهار شبابهْ

وفي المرحلة نفسها بدأت القراءة لنزار قباني وعن طريقه اكتشفت عالم الشعر الحديث المتحرر من رتابة التفعيلة ، وتوطدت علاقتي مع اللغة الشعرية الجديدة التي اكتشفتها لأول مرة عند أبو ريشة . لقد ذكر لي عدد من الأصدقاء ، وكتب بعض النقاد ، أن العديد من قصائد **أشعار من جزائر اللؤلؤ** تعكس روح المدرسة النزارية ولعل في هذه الملاحظة بعض الصحة . عندما أعود إلى قصائدي الغزلية القديمة ألمح الأسلوب النزاري واضحاً كل الوضوح . تقول قصيدة بعنوان « نجوى » كتبتها في سن السادسة عشرة :

عيناك بحر زاخر بالمنى ونغمة شاردة شاجيةٌ
من فجرها العلوي يهمي السنى ويدفق العطر على الرابيةْ

وتقول قصيدة أخرى كتبتها في السابعة عشرة :

شقراء .. يا أحلى أغاني الصبا ويا ابتسامات الجمال الغرى
الشوق ؟ .. ما الشوق سوى قبلةٍ تهيم فوق الجدول الأشقرِ
والعمر ؟ .. هل عمري سوى لحظةٍ على جناح الموعد الأخضرِ ؟[1]

غير أنني أشك في أن تأثري بنزار قباني تجاوز الألفاظ والأسلوب في أي مرحلة من مراحل تجربتي الشعرية .

والتقيت في بداية طريقي الشعري بشاعرين كان شقيقي نبيل ، رحمه الله ، يعتبرهما أعظم شعراء القرن العشرين العرب هما أبو القاسم الشابي والأخطل

---

(١) « شقراء » ، **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ــ دار الكتب ــ بيروت ١٩٦٠م . ص ٢٢ .

الصغير . لقد تأثرت كثيراً ، كما تأثرت أجيال متوالية من الشعراء الشباب العرب ، بقصيدة الشابي المشهورة الجميلة « صلوات في هيكل الحبّ »[1] .

عذبة أنت .. كالطفولة .. كالأحلام .. كاللحن .. كالصباح الجديد

وعندما أعود إلى الشعر الذي كتبته في تلك الفترة أجد أصداء هذه القصيدة الخالدة ، بل وألفاظها ، في أكثر من مكان . تقول إحدى القصائد في مجاراة واضحة لأسلوب الشابي :

يا ابنة النور .. أنت لي فدعينا   ننطلقْ في عوالم الأحــلام

وتقول قصيدة أخرى :

جمعتنا الأيام يا نشوة القلب فضمتْ مشرداً لشريدهْ
نحن جرحان من جروح التقاليد ومن قسوة الليالي العنيدهْ
نحن قيثارتـا لحــونٍ ولــكنْ   أتعي لحننا النفوس البليدهْ ؟

غير أنني بمرور الوقت وجدت أن شعر الشابي باستثناء قصائد معدودة كان وسطاً لا يرقى إلى مستوى الروعة وأعتقد أنني بانقضاء فترة المراهقة هجرت عالمه الشعري إلى غير عودة . أما الأخطل الصغير فقد أعجبت بمقطوعاته الغزلية وقصائده الوطنية ، وخصوصاً قصيدته النونية الجميلة في فلسطين ، اعجاباً كبيراً وإن كنت لا أستطيع الآن أن أتبين أثر هذا الاعجاب في القصائد التي كتبتها في تلك المرحلة .

وفي حوالي السادسة عشرة اكتشفت إبراهيم ناجي وبدأ اعجابي الشديد به ، هذا الاعجاب الذي استمر حتى هذه اللحظة والذي يزداد رسوخاً بمضي الأيام . ومن المؤسف المؤلم أن هذا الشاعر المبدع لم ينل ما يستحقه من مكانة لا مع القراء ولا مع النقاد . وسيسجل تاريخنا الأدبي ، بسخرية ، أن الغالبية الساحقة من العرب لم تسمع عن إبراهيم ناجي إلا عندما غنت له أم كلثوم مقاطع من ملحمة الاطلال . ومع أنني اكتشفت إبراهيم ناجي في سن مبكرة وقرأت له

(١) يعتبر بعض النقاد قصيدة الشابي هذه أول قصيدة في الشعر العربي تعالج الحب كمحور أساسي ينتظم القصيدة من أولها إلى آخرها ، على أنني لا أعتقد أن هذه الملاحظة صحيحة ، ففي شعرنا القديم قصائد عديدة محورها الوحيد هو الحب كما نشاهد في شعر المجنون وكثير عزة والعباس بن الأحنف وغيرهم .

كل ما وقع تحت يدي ، حفظت الأطلال كاملة على سبيل المثال في السابعة عشرة ، إلا أنني لا أجد تأثيراً كبيراً لابراهيم ناجي في شعر تلك الفترة بل أجد تأثيره أوضح ما يكون في القصائد التي كتبتها بعد تلك الفترة بعدة سنوات والتي جاءت في ديوان **قطرات من ظما** . ولعل هذا دليل جديد على أن عملية التأثر ليست بسيطة أو مباشرة كما نتصور ولكنها عملية شديدة التعقيد يلعب فيها اللاوعي دوراً يفوق دور العقل الواعي .

وإذا كنت قد اكتشفت الشعر الحديث المتحرر من رتابة القافية والتفعيلة مع نزار قباني ، فإن صلتي بهذا الشعر ازدادت عمقاً بتعرفي على انتاج بدر شاكر السياب هذا الشاعر المأساوي العظيم الذي نجح أكثر من أي شاعر سبقه في المزاوجة بين التراث والتجديد[١] . وكانت رائعة السياب « المومس العمياء » هي **أول ما قرأت له وقد بلغ من اعجابي بها أنني كنت أحفظها كاملة ولا تزال حتى اليوم** في ذاكرتي مقاطع عديدة منها . كما أنني أعجبت بقصيدته الشهيرة « انشودة المطر » اعجاباً لم يفارقني قط . وأتصور أنني في كثير من القصائد التي كتبتها من الشعر الحديث كنت متأثراً بالسياب ، في المضمون وأحياناً في الأسلوب[٢] .

بالإضافة إلى هؤلاء الشعراء أعجبت في المرحلة الأولى من التجربة بإيليا أبو ماضي وإبراهيم العريض وعلي محمود طه وأمين نخلة وسليمان العيسى وإبراهيم طوقان . واعجبت في مراحل تالية ببدوى الجبل وسعيد عقل وشفيق معلوف وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي ، وأمل دنقل ، ولكن هذا الاعجاب ـــ فيما أتصور ـــ لم يترك نفس الأثر الذي تركه الشعراء الذين تحدثت عنهم قبل قليل .

أما عن الشعراء القدامي فقد قرأت لعدد كبير منهم بدءاً بشعراء المعلقات فالعصر الإسلامي الأول فالأموي فالعباسي فعصور الانحطاط . ولقد أعجبت بجرير وعمر بن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف وابن الرومي والشريف الرضي والشعراء العذريين ولكن اعجابي كان مقتصراً على قصائد بعينها ولا أعتقد أن أحداً منهم نال في قلبي المكانة التي نالها الشعراء المعاصرون الذين ذكرتهم . ومع أن علاقتي

---

(١) كان امل دنقل رحمه الله الشاعر الثاني الذي حقق نفس النجاح .

(٢) من أفجع التعليقات على قصور الوعي الثقافي عند العرب أن السياب وهو شاعر من أعظم شعرائهم عاش حياة مليئة بالفقر والحرمان المادي ، واضطره العوز إلى اتخاذ مواقف حزينة أليمة تتناقض مع مبادئه .

بالمتنبي بدأت مبكرة ، أذكر أنني كتبت مقالاً عنه في مجلة الحائط الفصلية عندما كنت في الرابعة عشرة ، إلا أنني لم أعجب به إلا تدريجياً على نحو متزايد بمرور السنين . إنني اليوم أشد إعجاباً بالمتنبي منّي يوم أن قرأت ديوانه لأول مرة ، بل لعلني اليوم أكثر تأثراً به مني في البداية . ولا أدري كيف أفسر هذه الظاهرة وهل تدل على أن شعر المتنبي لا يمكن أن يتذوقه بكل أبعاده إلا من بلغ قدراً من النضوج والتجربة ، أم تدل على أن المرء يجنح إلى العودة إلى جذوره الأولى كلما تقدمت به السن ، أم أن الأمر مزيج من هذا وذاك .

هؤلاء هم الشعراء القدامى والمحدثون الذين أتصور أنني تأثرت بهم تأثراً أستطيع أن أتبينه ويمكن أن أتحسسه ، أو يتحسسه غيري ، في بعض ما كتبت من قصائد . ولكنني بالإضافة إلى هؤلاء قرأت لشعراء عديدين دون أن أصل إلى درجة الإعجاب بهم . ولا أستبعد ، لا بل أنني أجزم ، أن من هؤلاء الشعراء من ترك خطاه على عالمي الشعري ويزيدني يقيناً أنني كثيراً ما أعجب ببيت واحد أردده دون أن أعرف قائله ، أو أعجب بقصيدة ما لشاعر لا يعجبني شعره في العادة .

وما دمت قد تحدثت عن الشعراء الذين أحببتهم فقد يكون من المناسب التطرق إلى شعراء آخرين لا يقلون عنهم شهرة فشلت في الاعجاب بهم . لقد حاولت جاهداً تذوق شعر عبد الوهاب البياتي ولكني كنت في واد وكان شعره في واد آخر . ولا زلت حتى اليوم أجد عسراً بالغاً في التجاوب معه واستغرب الضجة الكبيرة التي يثيرها والاهتمام الكبير الذي يلقاه من النقاد . كما حاولت أن أتذوق أدونيس ولكنني أصبت بفشل ذريع دفعني إلى الكف عن المحاولة . ومن الشعراء القدامى فشلت في الإعجاب بأبو تمام والبحتري لما لمسته من آثار الصنعة الواضحة في شعرهما . كما أنني بقدر إعجابي بسقط الزند للمعري أصبت بخيبة أمل كبيرة في اللزوميات .

والحديث عن المؤثرات لا يكمل بدون التعرض إلى قراءاتي خارج الشعر . لقد كنت منذ سن التاسعة وحتى اليوم قارئاً مدمناً ، إن جاز التعبير ، ولا أعتقد أن أسبوعاً واحداً قد مر بي منذ أن أجدت القراءة ولم أنته فيه من قراءة كتابين أو ثلاثة . إنني لا أذكر هذا الادمان على سبيل المباهاة ولكن كحقيقة لا يد لي فيها . ولو قدر لي أن أرسم حياتي من جديد لما خصصت للقراءة هذا الوقت الكبير

ولأكثرت من النشاطات البدنية التي أهملتها اهمالًا تاماً بدأت اليوم أدفع ثمنه . من الطبيعي ، والحالة هذه ، أن تكون قراءاتي قد غطت حقولًا واسعة ومتنوعة . لقد قرأت الكتب الأدبية التقليدية من البيان والتبيين إلى العقد الفريد إلى الأغاني ، وقرأت بتوسع في التاريخ والرواية والقصة والسيرة ، بالإضافة إلى ما تطلبته الدراسة الأكاديمية من قراءات واسعة في القانون والعلوم السياسية والاقتصاد وعدد آخر من العلوم الاجتماعية .

على أنني يجب أن أعترف أن الثقافة التي حصلت عليها من خلال مطالعاتي لم تخل من عدة ثغرات . أولها : أنني لا أتقن من اللغات الأجنبية سوى الانجليزية وما يسببه هذا الجهل من قصور في الثقافة أمر لا يحتاج إلى بيان . وثانيهما : أنني لم أدرس الأدب دراسة منهجية علمية تتناول تاريخه وتحليله ونقده . وإلى هذا السبب لا إلى التواضع يعود إحجامي فيما يجري معي من مقابلات أدبية عن الادلاء بأحكام نقدية حاسمة تمس شعراء بذاتهم أو فترة تاريخية بعينها . لقد كنت ، ولا أزال ، قارئاً عادياً يتأثر بعفوية ويحكم بعفوية لا ناقداً يؤصل وينظر . وثالثهما : أنني لم أقرأ الشعر قراءة الباحث المستقصي المتتبع . لا أدعي ، كما يفعل بعض الشعراء ، أنني قرأت لكل شاعر عربي . ولا أدعي أنني أقرأ اليوم كل ديوان تدفع به المطابع في العالم العربي إلى الأسواق أو كل ديوان تلقي به الظروف في يدي . كثيراً ما أكتفي بقراءة ثلاثة أبيات أو أربعة من ديوان ما قبل أن ألقي به إلى سلة المهملات أو إلى ركن يملؤه الغبار من المكتبة . أما الثغرة الرابعة ، فهي أنني لم أتمكن من تذوق أي شعر غير الشعر العربي . لقد قرأت بالإنجليزية مئات الروايات والقصص ، إلا أنني لم أقرأ من الدواوين إلا مجموعة تعد على أصابع اليدين ، ولا تتجاوز رحلتي في الشعر الإنجليزي شذرات ومقطوعات من هنا وهناك لشعراء قلائل هم شكسبير وبيرون وشيلي وجريفز ، أما خارج الشعر الإنجليزي فتقتصر قراءاتي على قصائد مترجمة إلى العربية أو الإنجليزية من الشعر الألماني والصيني والهندي والفارسي والياباني والأسباني ، وهي في مجموعها أهزل من أن تعد إلماماً حقيقياً بالشعر العالمي . ومن هنا ، فإنني أشك أن يجد ناقد من النقاد تأثيراً كبيراً للشعر الأجنبي فيما أكتب اللهم إلا إذا جاء هذا التأثير متسللًا عن طريق أحد الشعراء العرب الذين أعجبت بهم .

لقد فكرت طويلًا في ظاهرة عزوفي عن الشعر الأجنبي ولم أصل إلى تفسير

سوى إيماني بأن الموسيقى عنصر أساسي رئيسي من عناصر الشعر ، وأعني هنا الموسيقى التي تعودت عليها الأذن العربية من خلال العروض والقوافي . لقد افتقدت هذه الموسيقى فيما قرأت من شعر أجنبي أصيل أو مترجم ، وكنت ، باستثناء حالات نادرة ، أشعر أنني أقرأ نثراً لا شعراً . ولعل هذا التعلق بالموسيقى هو الذي يدفعني إلى الاعتقاد أن الكلام الذي يتحرر من الموسيقى نهائياً لا يمكن أن يكون شعراً ، وإن أمكن بالطبع أن يكون نثراً بالغ الروعة . ومن هنا فإنني أعتقد أن ما يسمى بقصيدة النثر ليست بقصيدة على الاطلاق .

لقد كان من حسن حظي ، أو سوئه ، أنني في مرحلة التأثر الأولى بدأت قراءاتي في الشعر القديم والشعر الحديث معاً وتذوقتهما على حد سواء . ولعل هذا السبب هو الذي جعلني طيلة مسيرتي الشعرية وحتى اليوم أقف موقفاً وسطاً بين المعسكرين . إن الجدل حول الشعر التقليدي والشعر الحديث[1] لم يستطع أن يجذبني إلى أي من الفريقين . الشعر شعر ويستوى بعد ذلك أن يكون متساوي التفعيلات أو لا يكون .

لقد كتبت أول قصيدة بالشكل الحديث في سن السادسة عشرة وكتبت القصيدة الثانية في السابعة عشرة وكان اسمها « نداء الربيع » :

أطـــــــــلي علـيّـــــــــــا
أذيبي ضياءك في مقلتيّـــــا
فمـــلء يـــدي الجـــراحْ
وفي مســمعي يدوي النــواحْ
أطـلي فعينـــاك روح الحيـــاةْ
وعينـاك روح الـربيع الجنـــونْ
وتـــــــلك الجفــــــــونْ
غمامـات شـوق عميـق دفـينْ

ومنذ ذلك الحين وأنا أكتب الشعر بشكليه القديم والحديث . ولعل عدد القصائد التي كتبتها من كل نوع يساوي العدد من النوع الآخر . وعلى خلاف

(١) في الموازنة بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر الحديث ــ انظر غازي عبد الرحمن القصيبي ــ عن هذا وذاك ــ منشورات دار الوطن ــ الرياض ١٣٩٨هـ ص.ص. ١١٦ــ١١٨ .

بعض الشعراء الذين ينزعون بمرور الوقت إلى هجر أحد النوعين والتفرغ نهائياً للنوع الآخر فإنني أجد نفسي ما زلت حتى الآن أكتب الشعر بنوعيه وبالنسبة نفسها .

ولا بد لي هنا من أن أعود مرة أخرى لأؤكد ما بدأت به هذا الفصل من أن المؤثرات الحقيقية في حياة أي شاعر لا يمكن أن تحصر وتحدد وتعرف . لقد تعرضت في الصفحات الماضية إلى عدد من التأثيرات التي لعبت دوراً في تجربتي الشعرية ، ولكنني على ثقة أنني لم أتعرض إلى أهم المؤثرات أو أعمقها . وكيف يمكنني أن أتناول هذه المؤثرات بدون أن أحول هذا الكتاب من إطاره المحدود كسيرة شعرية إلى إطار أوسع بكثير هو إطار السيرة الذاتية ؟ بل كيف يمكنني حتى عندما تتيح لي الظروف أن أكتب قصة حياتي كاملة ، أن أضع أصابعي على المؤثرات الحقيقية المختفية وراء شعري ؟ كيف يمكن أن أعرف أثر صداقتي مع فلان أو علان من الناس ؟ أو أثر اقامتي في مدينة معينة أو أثر تجربة شخصية بعينها ؟ أو أثر انتمائي إلى وسط اجتماعي وثقافي محدد ؟ .

إن المؤثر الأول والأخير في شعر الشاعر هو حياته نفسها بكل ما تحويه من أحداث ووقائع . ولعل أجمل وأبلغ ما قرأت في هذا المعنى السطور التالية للشاعر الألماني الشهير ريلكه :

وا أسفاه ! هذه الأشعار التي يكتبها المرء في صباه ليست بشيء . على المرء أن ينتظر ، أن يجمع الحلاوة والظلال ، خلال حياته — الطويلة إن أمكن — وذلك لكي يتمكن في النهاية من كتابة عشرة أبيات جيدة . الشعر ، بخلاف ما يتصور الناس ، ليس مجرد عواطف (فما أسرع مجيء العواطف) ولكنه تجارب . لكي يكتب الإنسان بيتاً واحداً من الشعر يجب أن يرى مدناً كثيرة ، وأمماً كثيرة ، وأشياء كثيرة . عليه أن يتعرف على الحيوانات ، ويراقب طيران الطيور في الهواء ، ويشاهد كيف تتفتح الزهور

الصغيرة في الصباح . على الإنسان أن يتذكر
طريق العودة إلى أماكن مجهولة ، إلى أشياء
نسيت منذ زمن ، إلى أيام الطفولة ، إلى أبيه
وأمه ، إلى أيامه على البحر ، إلى ليالي
السفر .. ولكن الذكريات وحدها لا تكفي .
على الإنسان أن ينساها وأن يتحلى بصبر واسع
حتى تعود من جديد وتصبح جزءاً من دمنا
ونظراتنا وحركاتنا ... عندها في ساعة
نادرة يمكن أن تستيقظ الكلمة الأولى في قصيدة
ثم تنطلق .

الفصل الثالث

أشعار من جزائر اللؤلؤ



آه .. كم أشقى بشيء مبهم
ثائر يشعل ناراً في دمي
مرسلًا أصداءه عبر فمي
عالم يسبح فيه قلمي
ثم يرتد كسيح القدم
آه .. لو صورته في كلمي
لمنحت الدهر أحلى نغم
طاف في بال يراع ملهم[1]

(١) « لحن » أشعار من جزائر اللؤلؤ ص. ٥١ .



كان الانتقال من البحرين إلى القاهرة « صدمة حضارية » بالمعنى الصحيح . كانت القاهرة أيامها تمثل مركز الثقل السياسي والثقافي والعلمي في العالم العربي وكانت تموج بتيارات فكرية شتى : تيار القومية العربية الجديد الذي بدأ الرئيس جمال عبد الناصر يتبناه ويفرضه على الشعب المصري ؛ التيارات الحزبية في العالم العربي وكان أهمها حزب البعث وحركة القوميين العرب ؛ الفكر المصري التقليدي الذي يرى أن مصر تشكل قومية خاصة متميزة بها . وفيما يتعلق بالشعر ، كان هناك صراع عنيف بين أنصار الشعر التقليدي وفي مقدمتهم الأستاذ عباس محمود العقاد وبين جيل جديد من الشعراء الشباب كان ألمعهم في ذلك الوقت صلاح عبد الصبور .

كما أن الانتقال إلى القاهرة كان على المستوى الشخصي صدمة نفسية أحدثت آثاراً بعيدة المدى . لأول مرة في حياتي أترك أمن البيت وحنانه لأضرب بمفردي في أعماق عالم غريب كبير . لأول مرة أشعر بالحاجة إلى الاعتماد على النفس وأعاني شعوراً حاداً بالغربة والحنين . كان السفر إلى القاهرة مغامرة كبرى فيها كل ما في المغامرات من مخاطر ومصاعب . وعندما أقرأ الآن قصائدي الأولى في القاهرة أجدها مليئة بالألم والوحشة ومشاعر الغربة والضياع .

ولعل هذا هو المكان المناسب لأؤكد صحة الملاحظة التي أبداها بعض الذين تناولوا شعري بالدراسة وهي أن المرأة في قصائدي ليست بالضرورة إنسانة حقيقية من لحم ودم وقد تكون رمزاً من الرموز . هذه الحقيقة تسري على دواويني كلها ولكنها تبدو بوضوح أكبر في **أشعار من جزائر اللؤلؤ** . في هذا الديوان كثيراً ما تمثل « الحبيبة » أحد معنيين : أولهما شعور الأمن والاستقرار الذي يمثله بيت الأسرة الذي تركته في البحرين ؛ والثاني المستقبل بكل ما ينطوي عليه من تحديات ومجاهل . وعندما أقرأ الآن قصيدة « جزيرة **اللؤلؤ**[1] » و « ليلة الملتقى[2] »

(١) انظر فيما يلي ص ٢٦٥ .

(٢) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ١٧ .

و « لولاك[1]» و « رحيل[2] » و « جارتي[3] » أدرك بوضوح أنه بصرف النظر عن المناسبة التي أوحت بالقصيدة فقد كانت المشاعر في حقيقة الأمر مشاعر الحب الجارف الذي يربطني بمنزل الأسرة في البحرين . وعندما أقرأ قصائد « فتاة الخيال[4] » و « حيرة[5] » و « يا قلب[6] » الآن أدرك أن **مشاعر القلق مما ينطوي عليه المستقبل المجهول من تحديات كانت النبضة الحقيقية وراء كلمات الغزل والحب .**

إنني أستطيع الآن بعد مرور أكثر من عشرين سنة على كتابة هذه القصائد أن أتبين هذه الحقيقة ولكنني أشك أنني كنت أستطيع أيامها أن أتبينها بالوضوح نفسه ، أو أتبينها على الاطلاق .

يضم **أشعار من جزائر اللؤلؤ** قصائد كتبتها بين سني السابعة عشرة والعشرين . ولقد أخبرني عدد من أصدقائي أنهم يعتبرون هذا الديوان أحسن **ما كتبت على الاطلاق[7] . هذا حكم لا أستطيع أن أؤيدة أو أناقضه لأن الاعجاب** في الشعر مسألة تتعلق بالذوق الشخصي لا بالتشريح والتحليل . إنني أعتبر كل ديوان مرآة صادقة لفترة غالية من عمري ، الأمر الذي يجعل من المستحيل عليّ أن أعتبر أحدها « أفضل » أو « أسوأ » من الآخر . على أنني أستطيع أن أقول **إن** العفوية التي تتميز بها قصائد ديواني الأول لا تتجلى بالقوة نفسها في الدواوين التالية بعد أن انتهت فورة المراهقة وتعقدت المشاعر والأحاسيس . إننا لا نتوقع أن يحدثنا رجل الثلاثين كما يحدثنا فتى السابعة عشرة ولعل هذا باختصار هو الفرق بين **أشعار من جزائر اللؤلؤ ومعركة بلا راية .**

لقد أشار بعض الذين تناولوا **أشعار من جزائر اللؤلؤ** إلى ما يملأ الديوان من روح الحرمان والكآبة واليأس واستغربوا ذلك في ضوء ما يعرفونه عني شخصياً من روح التفاؤل والمرح . كان السؤال يطرح على النحو التالي : هل لك شخصيتان متميزتان احداهما مرحة متفائلة ، وهي التي نراها بيننا ، والثانية

(١) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ٣٢ .
(٢) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ١١٣ .
(٣) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ١٣٦ .
(٤) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ٣٩ .
(٥) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ١٢٦ .
(٦) **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ص. ١٤٥ .
(٧) **من الظواهر الطريفة أن كل صديق لي يعتبر القصائد التي حضر ميلادها وعاصر تجربتها أفضل قصائدي !**

متشائمة كئيبة ، وهي التي نقرأها في شعرك ؟ وكان السؤال أحياناً يطرح على النحو التالي : هل أنت إنسان مرح متفائل وبالتالي تستطيع أن نعتبر شعرك الحزين نوعاً من الخداع ؟ أم أنك إنسان حزين متشائم وبالتالي نستطيع أن نعتبر مسلكك بيننا نوعاً من الخداع ؟ .

إن العملية الشعرية عملية نفسية معقدة لا أعرف شيئاً عن مجاهيلها وأسرارها وأبعادها ، ولا أعتقد أن غيري يعرف . أنا لا أعرف لماذا أكتب الشعر أو كيف أكتب الشعر . ولا أقرر قبل كتابة قصيدة ما أنها ستكون حزينة أو غير حزينة . من هنا فإنني لا أستطيع أن أجيب اجابة وافية شافية على الأسئلة التي طرحتها قبل قليل ولكنني أستطيع أن أحاول .

إن قصائد **أشعار من جزائر اللؤلؤ** تمثل في الواقع تجارب مراهق غر بريء في عالم جديد مصطخب . والمراهقة ، في حد ذاتها ، كثيراً ما توحي بمشاعر حزينة ناشئة عن الحرمان الجسدي من ناحية وعن القلق النفسي الذي يواكب التأرجح بين الطفولة والرجولة ، من ناحية أخرى . كما أن مشاعر الغربة والضياع التي يحس بها فتى يافع ألقي به فجأة من مجتمع صغير هادئ يكاد يعرف كل من فيه ويعرفه كل من فيه إلى مجتمع صاخب يضم ملايين البشر ممن لا يعرفهم ولا يعرفونه ، لا بد وأن تكون مشاعر حزينة مليئة بالتشاؤم وأحياناً باليأس .

وأرجو أن يسمح لي القارئ هنا أن أذكر نبذة من سيرتي الشخصية تساعد إلى حد ما في تفسير مشاعر الحزن والضياع التي تتجلى في كثير من شعري ، وفي **أشعار من جزائر اللؤلؤ** بصفة خاصة . لقد ولدت في أحضان بيئة نفسية حزينة . قبل أن أولد بشهور توفي جدي لوالدتي في ظروف كئيبة تركت ظلها القاتم على المنزل . وبعد ولادتي ، في الاحساء ، بتسعة شهور توفيت أمي على أثر اصابتها بالتيفوئيد وكانت ، رحمها الله ، في التاسعة والعشرين . على أثر وفاتها تكفلت بتربيتي جدتي لوالدتي وكانت في حالة نفسية بالغة الكآبة بعد فقد زوجها ثم ابنتها الوحيدة وانتقالها من المجتمع الذي ألفته وأحبته في الحجاز إلى مجتمع جديد غير مألوف في الاحساء ثم في البحرين . كان والدي مشغولاً بأعماله التجارية الواسعة وبشؤون عائلته الكبيرة ولم تكن طبيعة العلاقات العائلية أيامها تتيح للأب أن يلعب دوراً كبيراً في تنشئة أولاده . ومن هنا فإن مهمة تربيتي قد تركت نهائياً في يد جدتي التي قامت بها خير قيام ، رحمها الله وجزاها عني وعن اخوتي خير الجزاء .

أعتقد أن هذا الجو المأساوي الذي أحاط بولادتي وبنشأتي الأولى قد ترك بصمات لا تنمحي في أعماقي من الكآبة الخفية . وإذا كنت قد نجحت في إخفائها حتى عن أقرب الناس إليّ فإنها — فيما يبدو — قد نجحت في التسلل إلى أشعاري . ولا بد أن أضيف هنا أن جدتي على أثر التجارب القاسية التي مرت بها كانت تخشى عليّ كل شيء : تخشى عليّ المرض أيام العافية ؛ وتخشى عليّ الموت أيام المرض ؛ تخاف أن أضل طريقي إذا ذهبت ألعب في الشارع ؛ تتصور أنني أشلاء ممزقة تحت دواليب سيارة إذا تأخرت في المجيء من المدرسة . ولا أشك اليوم أن هذا النوع من التربية رغم أنه أفاض عليّ من الحنان والمحبة ما جعلني أنسى نهائياً أنني فقدت أمي ، تركني بقدر من الحساسية المفرطة التي تخاف وتتوجس وتقلق حتى عندما لا يكون ثمة داع للتخوف والتوجس والقلق .

وهنالك بعد هذا أمور تتعلق بسيكولوجية الحزن نفسه . الحزن ، بطبيعته ، عاطفة حادة مشتعلة بخلاف السعادة وهي عاطفة هادئة لا نكاد نحس بها إلا إذا فقدناها . نحن نتحدث عن تعاستنا ، عندما نشعر بالتعاسة ، ولا نتحدث عن فرحنا ، عندما نحس بالفرح . ونحن نتحدث عن مرضنا أكثر من حديثنا عن صحتنا ، عن فقرنا أكثر من غنانا ، عن النكبات أكثر من المناسبات السارة . إن مشاعر الحزن قد لا تكون هي الغالبة علينا ولكنها عندما تمر بنا تمر عنيفة قوية تترك أثراً واضحاً على حياتنا وعلى شعرنا إن كنا من الشعراء .

بعد ذلك ينبغي أن أقول إنني لا أؤمن ، ولم أؤمن في يوم من الأيام ، أن الحياة مسرحية فكاهية هزلية لا تحمل للمتفرجين سوى الضحكات والابتسامات . لقد كنت أشعر دائماً أننا بقدر ما يجب أن نواجه الحياة مسلحين بالتفاؤل والأمل يجب أن ندرك الجوانب المأساوية في الحياة : شقاء الفقراء ؛ معاناة المرضى ؛ اصطراع المثل بالواقع ؛ وعجزنا الدائم عن الانتصار على غرائز الشر في أعمق أعماقنا ؛ إلى آخر التجارب الحزينة التي يحس بها كل إنسان لم يتجرد من إنسانيته . لقد كنت ، ولا أزال ، أحتقر الذين يعتقدون أن الحياة وليمة شهية أعدت ليستمتعوا بطيباتها دون مبالاة ودون تفكير في الآخرين . إنني أعتقد أن أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان والجماد هو المسؤولية ، ولعلها هي الأمانة التي حملها الإنسان الظلوم الجهول . ومع المسؤولية دائماً وأبداً يجيء الحزن . قد لا يكون حزناً مدمراً مريضاً ولكنه حزن على أية حال .

بقيت كلمة أخيرة في الموضوع . إن تعبيري « الحرمان » و « الظمأ » اللذين يتكرران في الديوان وفي الدواوين التي تلته يندر أن يعبرا عن عاطفة حسية مباشرة . الحرمان الذي تتحدث عنه قصائد **أشعار من جزائر اللؤلؤ** لا يقتصر على الحرمان الجسدي ، وإن كان في الديوان بالتأكيد ما يعكس هذا المعنى ، بل يتجاوزه إلى الحرمان من كل ما تصبو إليه الروح وتعجز عن بلوغه . والظمأ لا يعبر عن الحاجة إلى الماء بقدر ما يعبر عن ذلك التحرق الدائم إلى ما لا يمكن وما لا يكون .

كان من حسن حظي أن التقيت في القاهرة بمجموعة من زملاء الدراسة في البحرين في مقدمتهم عبد الرحمن رفيع . استأنفت مع عبد الرحمن نشاطنا الشعري ، العابث منه والجاد . لقد بلغ شعر المساجلات ذروته في القاهرة[1] ولا أعتقد أن أسبوعاً قد مرّ بنا دون قصيدة أو قصيدتين . ولو أتيح لهذا الشعر أن يجمع لتألف منه ديوان ضخم . أما اليوم فلم يبق منه سوى شذر ونتف بسيطة تعيها ذاكرة عبد الرحمن أو ذاكرتي أو تحتفظ بها قصاصة في حوزة أحد الأصدقاء ممن عاصروا تلك الأيام . وأجد الفرصة سانحة هنا لأقول إنني تعودت — ولا أزال — على عدم الاحتفاظ بشيء مما أكتبه من شعر الأخوانيات والمداعبات على أساس أنه من قبيل العبث الذي لا ينبثق من تجربة حقيقية ولا يستحق الحياة . وإذا كان هذا الحكم على أشعار المداعبات صحيحاً من الناحية الأدبية المحض فلا شك أن الاحتفاظ بها قد يكون مفيداً لما تسجله من مواقف وأحداث طريفة يحلو للمرء أن يعود إليها مستقبلًا . إنني أفاجأ دائماً عندما أشاهد ما يثيره شعر المداعبات من حماس لدى هواة الشعر ومن رغبة في تداوله . لقد طلب مني بعض الأصدقاء ، وأذكر منهم الصديق الدكتور محمد عبده يماني ، أن أحتفظ بما أكتبه من شعر المداعبات . ولقد حاولت أكثر من مرة غير أن الطبع يغلب التطبع إذ أحتفظ بقصاصة ما يوماً أو بعض يوم ثم ألقي بها في سلة المهملات .

بالإضافة إلى كتابة هذا الشعر العابث كنا ، عبد الرحمن وأنا ، نصقل مواهبنا يوماً بعد يوم في المجتمع الثقافي الجديد . لم يكن يمر أسبوع واحد دون قصيدة جديدة مني أو من عبد الرحمن ، أو ديوان جديد يعثر عليه أحدنا فيدل عليه الآخر ، أو بحث مستفيض لا ينتهي في الشعر . كانت لنا على أحضان النيل الساحر أمسيات شعرية جميلة ، وكم من قصيدة « مشتركة » كتبتها مع عبد الرحمن

(١) كتبت مرة قصيدة هجائية في عبد الرحمن بلغ عدد أبياتها سبعين بيتاً !

في مقهى على النيل ، أو في « بوفيه » كلية الحقوق أو في « بوفيه » كلية الآداب ذي الشهرة الواسعة التي يعرفها كل من درس في جامعة القاهرة ، أو في الطائرة بين البحرين والقاهرة .

كانت سنوات الدراسة في القاهرة أخصب فترات حياتي الشعرية على الاطلاق ، من ناحية الكم على أية حال . لم يكن بالأمر المستغرب أن أكتب قصيدة جديدة كل أسبوع وأحياناً كل يوم . إن القصائد التي تضمنها ديوان **أشعار من جزائر اللؤلؤ** لا تمثل سوى خمس الحصيلة الشعرية التي تجمعت في تلك الفترة ، أو أقل . ولقد استبعدت الباقي إما لأنني رأيت أنه غير صالح للنشر أو لأن الظروف لم تكن مناسبة لنشره . ولقد تلت فترة الخصب هذه فترة من المحل كما سنرى في الفصل القادم .

لم تكن فكرة طبع ديوان واردة في ذهني حتى أثارها ذات يوم أخي عادل . لقد تهيبت الفكرة في البداية ، فكتابة الشعر ونشره في الصحف شيء أما جمعه وطبعه في ديوان فشيء آخر يتطلب قدراً من الثقة بالنفس والشجاعة . غير أنني بعد أن أمعنت التفكير وجدت أن ما أكتبه ليس أسوأ بكثير من الشعر الذي أقرأه في عدد من الدواوين المطبوعة . بدأت الفكرة تختمر تدريجياً حتى شعرت أنني مستعد لهذه الخطوة الحاسمة الجديدة .

غير أنني قبل أن أقدم على الطبع شعرت أنني بحاجة إلى رأي محايد من ناقد قدير أحترم رأيه وأقدر أحكامه . ولقد خدمتني الظروف في الحصول على هذا الرأي . كان محمد سعيد التاجر ، صديقي منذ أيام الطفولة ، يسكن في الشقة المقابلة لشقة الدكتور عبد القادر القط الأستاذ الجامعي والناقد المعروف . عن طريق محمد سعيد تعرفت على الدكتور القط وسلمته نسخة مخطوطة من الديوان وقلت له — صادقاً — أنني أترك مصير الديوان في يده ، فإن أشار بطبعه مضيت في طريقي وإلا صرفت النظر عن طبعه كلية . طلب مني الدكتور القط أن أعود إليه بعد شهر حتى يتمكن من دراسة الديوان دراسة متأنية وافية . وفي الموعد المحدد رجعت إليه وكنت في حالة يرثى لها من العصبية اشفاقاً على مصير الديوان . غير أنه تلقاني بترحاب بالغ وقال لي أنه يعتقد أن الديوان جدير بالنشر وذهب أبعد من ذلك فقال إنه يعده أفضل من كثير من الدواوين التي تقذف بها المطابع إلى الأسواق . لقد كتب الدكتور القط كلمة طيبة عن الديوان بعد نشره وكتب بحثاً

وافياً عني في دراسته القيمة عن الشعر الوجداني العربي[١] ، ومع أنني سررت بهاتين الدراستين ، إلا أن سروري كان أعظم برأيه الشفوي الذي شجعني على المضي في طبع الديوان .

بعد ذلك نشأت مشكلة غير متوقعة فيما يتعلق باسم الديوان . كنت أود أن أسميه « ليالي الصبا » لأنني كنت أشعر أن هذا الاسم يجسد ما يحتويه الديوان من أشعار قيلت جميعها في فورة الصبا الأولى . كتبت لعادل أخبره ولسبب لا أدريه بحث عادل الأمر مع الوالد وكتب لي أن الوالد يرفض رفضاً باتاً أن يحمل الديوان هذه التسمية بسبب ما تحمله كلمة « ليالي » من مدلولات وأبعاد . لم أود أن أجرح شعور الوالد ، خصوصاً بعد المشاكل التي نشأت في علاقتي معه والتي كان مبعثها أشعاري الوطنية ، فبدأت البحث عن اسم آخر . فكرت جدياً في أن اسمي الديوان **أغاني الصبا** غير أن الشاعرة المصرية ملك عبد العزيز سبقتني إلى هذه التسمية عندما أصدرت في تلك الفترة ديواناً يحمل هذا العنوان . بعد ذلك فكرت أن اسمي الديوان « شباب » ولكنني صرفت النظر عن هذه التسمية بعد صدور ديوان للدكتور عبد القادر القط يحمل عنواناً مشابهاً هو **ذكريات شباب** . بقي العنوان مشكلة دون حل بضعة أسابيع حتى اقترح الشاعر الصديق ناصر أبو حميد عنوان أشعار من جزائر اللؤلؤ . نال هذا الاسم استحساني ، واستحسان الكثير من القراء فيما بعد ، فللصديق مني — مجدداً — أعمق الشكر .

طبعت الديوان في بيروت في صيف سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) . ومع أنني أهديت نسخاً عديدة منه للأدباء والنقاد والأصدقاء ، إلا أنني لم أرغب في طرحه للتداول على نطاق واسع واكتفيت باعطاء مكتبة واحدة في البحرين عدداً محدوداً من النسخ نفدت جميعها . لقد استقبل الديوان بحرارة وكتبت عنده عدة مقالات نقدية كانت — في مجملها — مليئة بالثناء . وغني عن الذكر أنني كنت سعيداً بهذا الثناء . غير أن الذي كان يهمني في الأمر أن شاباً لم يكد يبلغ العشرين قد وجد الجرأة الكافية للتحدث بصوته الشعري المتميز في مجتمع أدبي كان يسيطر عليه وقتها شيوخ الأدب . إن القيمة الحقيقية لهذا الديوان ، إن كانت له قيمة ، لا تكمن في روعة القصائد ولا عمقها ، ولكنها تكمن في أن الديوان يعالج ،

---

(١) الدكتور عبد القادر القط **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر** — دار النهضة العربية — بيروت ١٩٧٨م ص.ص. ٥٠٤—٥١٥ .

بصراحة وحرية ، ما يشغل بال المراهق وحياته من اهتمامات . قد يرى البعض في الديوان ذاتية مفرطة ، وقد يجد البعض فيه عاطفية ساذجة ، وقد ينتقد البعض كلمات أو تعابير لا يرضونها ، ولكن الحقيقة هي أن هذا الديوان يمثل صوت فتى صادق مع نفسه ومع أحزانه ومع الآخرين . ولا أعتقد أنني أعدو الحقيفة إذ قلت إن الأدب العربي لم يعرف سوى عدد محدود من الدواوين كتبت جميعها في فترة المراهقة .

لاحظ عدد من النقاد أن **أشعار من جزائر اللؤلؤ** لا يحتوي على أي قصائد وطنية . وهذه ملاحظة صحيحة . لقد ذكرت في الفصل الأول طرفاً من المشاكل التي عانيت منها في البحرين نتيجة أشعاري الوطنية . ومع ذلك فقد مضيت في كتابة الشعر الوطني في القاهرة . ولا أعتقد أنني بحاجة إلى القول ، أنني شأن معظم الفتيان العرب في تلك السن ، كنت متحمساً لموجة القومية العربية التي اتخذت شكل الناصرية . كان أبي عاجزاً عن فهم هذه الحركة الجديدة وكان رأيه في الرئيس عبد الناصر لا يمت بأي صلة إلى الاحترام أو الاعجاب[1] . من هنا نشأت المشكلة : الابن المتحمس لظاهرة سياسية جديدة ولزعيم سياسي جديد ، والأب الحائر مع ابنه . لقد وجدت في ضوء علاقة الاحترام الوطيدة التي أكنّها لأبي أن أتجنب إغضابه ، فتحاشيت نشر ما كتبت من قصائد وطنية ، ولهذا جاء الديوان الأول خلواً منها .

على أنني بعد أن أقرر ذلك ينبغي أن أسار ع وأضيف أنني ، بصرف النظر عن مشاكلي مع الوالد ، بدأت أعزف تدريجياً عن كتابة الشعر الوطني حتى امتنعت عنه بصفة نهائية بعد نشر الديوان . إن هذه الظاهرة تحيرني لأنني لم أفقد اهتمامي بالشؤون السياسية ولا بمصير الوطن العربي الكبير . ومن الطريف أن والدي الذي كان يشكو من شعري الوطني ويطلب مني أن أكف عن « الخوض في هذا البحر » غيّر رأيه بمضي الزمن وأخذ يعاتبني على الخوض الدائم في « بحر الغزل » ويطلب مني العودة إلى « البحر القديم » .

في صيف سنه ١٩٦١م — (١٣٨١هـ) ، أي بعد طبع أشعار من جزائر

---

(١) كثيراً ما كانت آراء أبي السياسية تختلف عن الموجة السائدة . وعلى سبيل المثال كان يؤمن منذ بداية الحرب العالمية الثانية أن الحرب ستنتهي بانهزام ألمانيا وانتصار الحلفاء ، ولم يكن في أي يوم من الأيام من المعجبين بهتلر .

اللؤلؤ حوالي سنة ، أنهيت دراستي في كلية الحقوق ، وبعد فترة تردد قصير بين فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، استقر رأيي على الأخيرة وفي أواخر سنة ١٩٦١م ـــ (١٣٨١هـ) سافرت إلى كاليفورنيا حيث بدأت مرحلة جديدة مثيرة في حياتي ، وفي شعري على حد سواء .

الفصل الرابع

قطرات من ظما



خلف عينيك أرى ضعفي .. وخوفي .. وبكائي
وأسى أغنيـــة لم تندلـــع بالكبريـــاءِ
ولظـــى الكلمـــة ضاقت بنفـــاق الشعـــراءِ
وأنـــا .. تهمس عينـــاك .. كبـــاقي الجبنـــاءِ
اصطلى بالصمت .. اجتـــرّ ذهول الحكمـــاءِ
ابصر الحق واغضي عنـــه مسلوب الحيـــاءِ
وأغنـــي بغبـــاء لقصور في الهـــواءِ[1]

(١) « أضواء المنار » **قطرات من ظما** — دار الكتب — بيروت ١٩٦٥م . ص.ص. ٣٢—٣٣ .

في خريف سنة ١٩٦١م — (١٣٨١هـ) سافرت إلى الولايات المتحدة في ظروف قاسية كئيبة . قبل سفري بأيام تلقت العائلة نبأ مفاجئاً مفاده أن أخي نبيل ، الذي كان يدرس في جامعة جنوب كاليفورنيا بلوس انجلس ، أصيب بغتة بانهيار عصبي أدى إلى نقله إلى المستشفى . كان عادل في لندن وتوجه فوراً إلى لوس انجلس وتبعناه ، الصديق الصدوق خالد بن محمد القصيبي وأنا ، بعدها بأسبوعين . لقد كان مرض نبيل العصبي ، « الفصام » فاجعة روعت العائلة . ولا أعتقد أن أحداً يمكن أن يدرك كافة أبعاد المأساة باستثناء أولئك الذين شاءت الظروف أن يواجهوا هذا الداء العضال في عائلاتهم . ليس من السهل أن ترى بعينيك إنساناً سوياً تحبه ويحبك ينقلب فجأة إلى إنسان مختل الشعور لا يذكر حتى اسمه ويقضي على هذه الحالة أياماً أو أسابيع يعود بعدها إلى حالته الطبيعية المعهودة ناسياً كل ما مر به ، ويبقى شهوراً عديدة ينتكس بعدها وهكذا دواليك . منذ ذلك الخريف الحزين إلى أن توفي نبيل بعدها بثمان سنين وحياته سلسلة من المرض والابلال وحياة من حوله شحنات من القلق والأمل والتوتر .

كانت هذه ، إذن ، هي الظروف التي سافرت تحت ظلها الأسود إلى الولايات المتحدة والتي حتمت عليّ البقاء في جامعة جنوب كاليفورنيا . كنت أساساً أفكر في الالتحاق بإحدى الجامعات الشهيرة في شرق الولايات المتحدة لدراسة القانون ، وقد قبلت في عدد منها ، ولم يكن يخطر ببالي ، على الاطلاق ، أنني سأدرس في جامعة جنوب كاليفورنيا . كما أنني بعد التحاقي بهذه الجامعة وجدت أن كلية الحقوق فيها لا تحتوي على برنامج للماجستير في القانون الدولي وقد حدا بي هذا الوضع إلى تغيير منهج دراستي من القانون إلى العلاقات الدولية . إنني لا أدري ، بطبيعة الحال ، السبيل الذي كانت حياتي ستسلكه لو أنني لم أذهب إلى لوس انجلس ، ولكنني أشك في أن حياتي الدراسية ، والعملية فيما بعد ، كانت ستسير على نحو أفضل ، فالحمد لله ﴿ **فعسى** أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ .

وإذا كان انتقالي من البحرين إلى القاهرة قد شكل صدمة حضارية فانتقالي الآن من القاهرة إلى الولايات المتحدة شكل صدمة حضارية أخرى أشد وأعنف وأبعد أثراً . ليس من السهل على من تعود الحياة في مجتمع شرقي ، سواء في مجتمع شرقي صغير كالبحرين أو مجتمع شرقي كبير كالقاهرة ، أن يواجه الحياة في العالم الجديد بدون شعور حاد خانق بالقلق والتمزق . لقد كان جميع الطلاب السعوديين الذين يصلون إلى أمريكا ، بدون استثناء تقريباً ، يعانون الكآبة النفسية والضياع خلال الشهور الأولى من وصولهم إلى درجة أن بعضهم يفكر جدياً في العودة من حيث أتى ، وعدداً قليلًا منهم يعود بالفعل . إن الحياة في أمريكا ، بسرعتها وتوترها وحدتها ، لا بد أن تترك بعض الجراح في نفسية الشرقي الذي يلتقي بها لأول مرة . لا أود أن يفهم أحد أن تجربة الحياة في أمريكا تخلو من الإيجابيات ، إذ يكفي أن يتذكر المرء ما يشاهده هناك من انضباط وحب للعمل واعتماد على النفس وتقسيم متقن للوقت ، ولكنني أريد أن أقول إن المجتمع هناك مجتمع مختلف جميل مخيف معاً . لقد أصبت بعد شهور من وصولي إلى الولايات المتحدة بالقرحة ، ذلك المرض المزعج الذي لازمني سنينَ طويلة ، وكاد ذات مرة ، لولا لطف الله ، أن يودي بحياتي . ولا أشك أن الظروف التي وصفتها في السطور السابقة كان لها أثر كبير في اصابتي بالمرض .

وإذا كان الانتقال إلى القاهرة قد تطلب مني أن أعتمد على النفس ، فإن الحياة في المجتمع الأمريكي تطلبت قدراً أكبر وأبعد مدى . لأول مرة في أمريكا بدأت أتولى بنفسي مسؤولية أشياء كنت أعتمد فيها اعتماداً مطلقاً على الآخرين : طبخ الطعام وشراء حاجات المنزل وكي الملابس وخياطة الأزارير وتنظيف الأواني إلى آخر هذه التفاصيل اليومية العديدة التي يعرفها كل من جرب الحياة في مجتمع غربي ، وفي الولايات المتحدة بوجه خاص . بالإضافة إلى هذا كله ، كانت هناك مشاكل التأقلم مع البيئة الجديدة ، ومشاكل الدراسة الصعبة ، ومشاكل اتقان اللغة الانجليزية .

وإذا كان **أشعار من جزائر اللؤلؤ** يصور تجربة مراهق غرّ من الخليج في مجتمع القاهرة الكبير فإن **قطرات من ظما** يعكس تجربة شاب عربي شرقي يلتقي لأول مرة بمجتمع الولايات المتحدة الغريب . لم تعد المشاعر مقتصرة على الغربة والضياع ، كما كانت ، بل ازدادت عمقاً وتعقيداً . هناك انبهار من المجتمع الجديد

الذي نجح في بناء أعظم حضارة مادية شهدها العالم ومع ذلك فقد بقيت جوانب عديدة منه قاتمة خالية من الدفء الإنساني . هناك مشكلة التكيف مع المجتمع الجديد دون التخلي عن الجذور التي يحملها المرء في أعماقه . هناك الحيرة إزاء العلاقة بين الذكور والإناث وبين أفراد العائلة الواحدة . وهناك الدهشة من السهولة التي يبدأ بها الحب والسرعة التي بها يموت . هناك الحنين إلى المجتمع القديم ولكن الحنين هنا ، ولأول مرة ، تشوبه رغبة جامحة في تطوير المجتمع القديم وانقاذه من براثن التخلف . روح الحرمان الصارخ التي كانت تسيطر على **أشعار من جزائر اللؤلؤ** بدأت تختفي تدريجياً لتحل محلها روح التساؤل والتأمل والتفكير في طبيعة الحياة وفي طبيعة الحب .

بعد وصولي إلى الولايات المتحدة بأسابيع بدأت في كتابة « **أغنية قبل الرحيل** »[1] ولعل هذه القصيدة تلخص أفضل تلخيص المشاعر التي يتضمنها **قطرات من ظما** . لقد استغرقت كتابة هذه القصيدة ثلاثة أسابيع ، وهي فترة غير عادية في طولها ، لأنني كنت — ولا أزال — أكتب معظم قصائدي في جلسة واحدة تتراوح في الطول بين ساعة وأربع ساعات[2] . جاءت هذه القصيدة تعبيراً عن المشاعر العنيفة التي كانت تصطرع في نفسي مشاعر الرهبة أمام المجتمع الجديد وأمام المستقبل ؛ مشاعر الخيبة من انهيار علاقة كانت غالية لصيقة بالقلب ؛ مشاعر الدهشة من غياب المجتمع القديم ؛ مشاعر الاصرار على مواجهة التحدي والانتصار عليه . إن هذه القصيدة من أقرب قصائدي إلى نفسي ، ولعلها أقرب قصائدي إلى نفسي على الاطلاق .

إن قصيدة «أغنية قبل الرحيل» في ظاهرها قصيدة حب ولكنها في الواقع تصف خليطاً من المشاعر المعقدة التي تتجاوز أى علاقة بين رجل وامرأة . ولعل هذا هو المكان المناسب لأقول إنني أعتقد أن يجب أن نفرق بين « التجربة » و « المناسبة » . إن « المناسبة » ليست سوى الزر الذي تضغط عليه للحصول على النور . أما « التجربة » فهي الطاقة الكهربائية التي لا بد من توفرها وإلا لم يكن للزر أي معنى . ولقد أدى الخلط بين « التجربة » و «المناسبة » إلى إساءة كبيرة إلى

---

(١) انظر فيما يلي ص ٢٧٠ .

(٢) إنني ، لسبب لا أدريه ، أكتب معظم قصائدي في الفترة بين الظهر والعصر ، أو في الفترة بين المساء ومنتصف الليل ، ونادرة هي القصائد التي كتبتها في غير هاتين الفترتين .

الشعر . كم من قصائد جميلة لم تلق حظها من العناية لأنها اعتبرت من شعر المناسبات . كم من قصيدة رفضت لأن المناسبة مرفوضة . حقيقة الأمر أن « المناسبة » لا تكاد تعني شيئاً في ميزان الشعر . المضمون وحده هو الذي يهم أي التجربة .

كانت تلك القصيدة بمثابة انفجار نفسي هائل وجدت نفسي بعده عاجزاً عن كتابة الشعر مدة تجاوزت السنة ، وهي أطول فترة من الجدب مرت بي ، حتى الآن . إنني عاجز عن تفسير هذا المحل عجزي عن تفسير كافة الرموز والألغار التي تكتنف العملية الشعرية . الشعر يزور ولا يزار ؛ يصيد ولا يصاد ؛ يهجرُ ولا يُهجَر . إنني أعجب من الذين يدعون أنهم امتنعوا عن كتابة الشعر لأن مشاغلهم الكثيرة لا تسمح لهم بذلك . كما أنني أستغرب عندما يسألني أحد كيف أستطيع كتابة الشعر رغم انشغالي . إن مثل هذا التساؤل يدل على جهل مطبق بطبيعة الشعر الذي لا يعترف ، عندما يقرر أن يزور ، بمشاغل أو مسؤوليات والذي يرفض أن يتفرغ لنا عندما نتفرغ له . لقد وجدت من تجاربي الشخصية ، ومن تجارب الشعراء الذين عرفتهم وقرأت لهم ، أنه لا حول ولا قوة لنا أمام سلطان الشعر ، وليس للمشاغل دخل قليل أو كثير في الأمر .

يضم ديوان **قطرات من ظما** ثلاثاً وعشرين قصيدة ، كتبت سبع قصائد منها في فترة سابقة ، وكتبت الباقي بين سنيّ الواحدة والعشرين والخامسة والعشرين . كانت هذه الفترة أقل فترات حياتي الشعرية خصباً من حيث العدد . إنني أدرك تمام الادراك أن الكم لا يعني شيئاً فبيت جميل واحد خير من قصيدة سخيفة طويلة وقصيدة رائعة واحدة خير من عشرات الدواوين التافهة . غير أنني أذكر هذه الحقيقة كظاهرة شعرية محيرة لا أعتقد أن شاعراً أفلت منها . ليس أمام الشاعر ما يفعله في فترات الجدب سوى الانتظار وأي محاولة منه لاغتصاب الشعر لن تنتج سوى نظم سقيم غير جدير بالحياة . ولعل هذا أحد الفروق الرئيسية بين الناظم والشاعر . يستطيع الناظم أن يكتب في أي وقت وعن أي موضوع ، بل إن من الناظمين من يترك للآخرين اختيار البحر والقافية ، أما الشاعر فأداة طيعة في يد الشاعر لا تكاد تملك من أمرها شيئاً .

لم يعد البحث عن الحب هو العاطفة السائدة في **قطرات من ظما** كما كانت في **أشعار من جزائر اللؤلؤ** . بدأ الاقتناع يتسرب أن الحب قد لا يحل مشاكل

الحياة . وبدأ الاقتناع يتسرب أن المرء قد ينتقل من حب إلى حب ويبقى الحرمان في أعماقه . وبدأ الإحساس بأن الحب الحقيقي لا يمكن أن يكون نزوة عابثة أو صبوة عابرة .

لقد كانت الفترة التي كتبت فيها **قطرات من ظما** فترة مواجهة قاسية حازمة مع الذات . لأول مرة أواجه مع نفسي حقيقة مرة وهي أن الحب يقودنا إلى الشقاء عندما يحل مكروه بمن نحب . لأول مرة يصبح الاعتماد على الذات ، بكل معانيه ، أمراً واقعاً ملموساً . لأول مرة ، بدأت أفكر تفكيراً جدياً في المستقبل . لأول مرة أدركت أن المرء لا يمكن أن ينجح إلا إذا واجه نفسه والحياة والآخرين بشجاعة . لا بد من « قبول الذات » ثم الكفاح المرير نحو « تجاوز الذات » . بدأت ، باختصار ، في هذه المرحلة رحلة الألف ميل نحو النضج الحقيقي .

هذه المواجهة مع الذات انعكست ، لا شعورياً ، في **قطرات من ظما** . وعندما أقرأ الديوان اليوم استطيع أن أتبينها في عدد من القصائد وإن كانت ، كالعادة ، مغلفة بحجاب الحب . الشعور بأن الحب مسؤولية ؛ بأن على الإنسان أن يتعايش مع نفسه قبل أن يتعايش مع الكون ومع الناس ؛ بأن على الإنسان أن يحدد ما يريد لكي يستطيع أن يحقق ما يريد . مراهق **أشعار من جزائر اللؤلؤ** الذي كان يضج من الحرمان بدأ يدرك أن الحرمان قد يولد نتيجة علاقاتنا مع الآخرين ولكنه لا ينمو ويترعرع إلا إذا انعدمت الثقة بالنفس .

على أن هذه المواجهة مع النفس لا تتخذ شكلًا واضحاً مباشراً إلا في قصيدة واحدة ، سبقت الإشارة إليها في بداية الفصل ، وهي « أضواء المنار » . في هذه القصيدة لا توجد حبيبة ، حقيقية أو **خيالية** . « فتنتي » الموجه إليها الحديث ليست سوى نفسي كما أرجو أن تكون بعد أن تتحرر من شوائب القلق والخوف **والحيرة والتردد، بعد أن تصل إلى مرحلة النضج ــ لقد كتبت هذه القصيدة وأنا** في قبضة صراع رهيب مع رواسب الطفولة في نفسي ، مع نوازع النكوص والجبن والإنهزامية ، وفي ظروف مريرة صعبة . غير أنني كنت واثقاً من الانتصار :

وبعينيك أرى قصة حربي وانتصاري
وانهزام الغسق الأسود في زحف النهار
وانعتاقي من دجى ضعفي وأوهامي وعاري

بجبين لم يعـــد فيـــه مكـــان للغبـــار
بعيـــونٍ تتلقـــى الشمس من غير ستـــارِ
وبعينـــيك أرى أن حيـــاتي بانتظـــاري
زورقـــاً ينهل من عينـــيك أضواء المنـــار

كيف ينعكس المجتمع الأمريكي في **قطرات من ظما** ؟ إنه ينعكس أحياناً بصورة واضحة مباشرة ، كما هو الحال في قصيدة « **لوس أنجلس** »[1] التي تصور موقفي من هذه المدينة الآسرة الفاتنة المرعبة التي قضيت في أحضانها قرابة ثلاث سنوات حافلة من حياتي . كما أنه ينعكس في الخلفية العامة لعدد من القصائد التي ما كان يمكن أن تكتب في مجتمع شرقي . وهو بعد ذلك ينعكس في القصائد التي كتبتها بعد العودة والتي تتحدث عن المجتمع الشرقي ، وتعقد مقارنة شعورية أو لا شعورية بينه وبين الحياة في المجتمع الغربي .

في خريف سنة ١٩٦٤م — (١٣٨٤هـ) حصلت على الماجستير وبعد تردد قصير حول البقاء لإكمال الدكتوراه أو العودة إلى الوطن ، قررت العودة لأعمل فترة قبل أن أواصل الدراسة من جديد . لقد كنت منذ نهاية الدراسة الثانوية أفكر تفكيراً جدياً في الحصول على الدكتوراه ، ولا أعتقد أن هذا الهدف قد غاب عن عيني لحظة من الحظات . غير أنه لم يكن أمامي خط مهني واضح . أما في لوس انجلس فقد اختمرت في ذهني فكرة التدريس في الجامعة على نحو ثابت لم يترك مجالًا للتفكير في أي مهنة أخرى . لقد كان من نتائج المواجهة مع النفس وصولي إلى اقتناع حاسم بأنني يجب أن أختار المجال الذي يتناسب مع مواهبي وميولي ورغباتي صارفاً النظر عما يعتقده الآخرون . وهكذا فإنني في الفترة التي كان فيها حاملو الماجستير يحلمون بأعلى الوظائف الإدارية كنت أتطلع إلى أن أكون « مجرد » مدرس مساعد في الجامعة . إنني أعجب من الذين لا يعتبرون التدريس في الجامعة ، هذه المهنة الشريفة الممتعة ، سوى مرحلة انطلاق نحو مستقبل أفضل . كما أشعر بالرثاء لكل إنسان يعتقد أن التدريس في الجامعة وظيفة من الدرجة الثانية . لقد شاءت الظروف لي أن أبتعد عن التدريس في الجامعة ولكنني أقول ،

---

(١) **قطرات من ظما** . ص.ص. ١١١—١١٦ .

صادقاً ، إنني منذ أن بدأت التفكير الجدي في مستقبلي لم « أطمع » في أي وظيفة تتجاوز حدود الحرم الجامعي ، كبيرة كانت أو صغيرة .

في أوائل سنة ١٩٦٥م—(١٣٨٥هـ) بدأت العمل في قسم العلوم السياسية بكلية التجارة في جامعة الرياض (الملك سعود). لقد كانت تجربتي الأكاديمية تجربة حافلة منوعة تستحق ، كما قلت في المقدمة ، أن يكتب عنها كتاب منفصل . ومع بداية التجربة العملية بدأ التأقلم مع مجتمع الوطن . قد تبدو هذه العبارة متناقضة ولكنني في حقيقة الأمر كنت بحاجة إلى التأقلم بعد فترة طويلة طويلة من الغربة في القاهرة وفي لوس انجلس . بل إن المجتمع الذي ترعرعت في ظله في البحرين كان يختلف بعض الشيء عن مجتمع المملكة . لقد بدأ المجتمع الشرقي أمامي هادئاً مليئاً بالطمأنينة والسكينة بعد التجربة العنيفة مع المجتمع الأمريكي . وهذا هو محور قصيدة « في شرقنا » :

في شرقنـــــــا ننــــــام في ســـــــــلامْ
ونمضغ الأحـــــلام حين يعــــوز الطعــــــامْ
ونشنـــي للبــــدر حيـــــين نشتهي الكـــــلامْ
وعنـدمـــــا نضيـــــــق بـالحيـــــــاةْ
نقـــــــــــول بـابتســـــــــــــامْ
عليكـــــــــم الســـــــــــلامْ ![1]

وفي مجتمع الوطن بدأ الشعور الملح بأن البلاد تحتاج إلى مجهود قاس متواصل من كل مواطن لتصل إلى التقدم المنشود ، تحتاج إلى مجهود يقترن بالشجاعة والنزاهة والإيمان :

غداً أعود من الصحراء يحضنني ... نصري .. أزف إلى عينيك أنبائي
أقول عدت وما مسّ الغبار فمي ... ولم يضلل لظى الحرمان أهوائي
ولا خفضت جبيني أشتكي ظمأً ... إلى السراب الذي ما مل أغوائي[2]

(١) انظر ما يلي ص ٢٧٣ .

(٢) « من الصحراء » **قطرات من ظما** . ص.ص. ٧١—٧٢ .

إن **قطرات من ظما** ، شأنه شأن **أشعار من جزائر اللؤلؤ** ، لا يحتوي على قصائد وطنية . لقد أشار عدد من الذين تعرضوا للديوان إلى هذا « النقص » . ولا أشك أن البعض اعتبر هذا النقص دليلًا على انعدام وطنية الشاعر أو ضآلتها . إن احدى القصائد في **قطرات من ظما** تحاول أن تبرر هذه الظاهرة :

سألتني فيم صمتي ... عن أمتي حين أشدو
الم يحرك غنائي ... من موطن المجد مجدُ
غريرة القلب .. إني ... في ذلك الركب أعدو
في تربة العرب **مهدٌ** ... يضم عمري ولحدُ
لكن دربي طويل ... أروح فيه وأغدو
إذا تبسم فجر ... لاحت غمائم ربدُ
في الأفق ألف سراب ... يدعو فيركض حشدُ
وللردى ألف عين ... فيها **تحجّر** حقدُ
فأين أين طريقي ... والأفق جمرٌ ورعدُ
وفي عيوني رمل ... وفي جفوني سهدُ
والبيد من غير حد ... وللمسافر حَدُّ(١)

إن ديوان **قطرات من ظما** لا يضم قصائد وطنية لسبب بسيط وهو أنني منذ طبع **أشعار من جزائر اللؤلؤ** وحتى طبع الديوان الثاني لم أكتب شعراً وطنياً باستثناء قصيدة يتيمة كتبتها في أحد مؤتمرات الطلبة العرب في سان فرانسسكو وكان مطلعها :

هيهات تنسيني البلاد بلادي
هيهات لا حبّ كحبّ سعاد

وكان من المفروض أن ألقي القصيدة في المؤتمر على أنني فور الانتهاء من كتابتها وجدتها ركيكة لا تستحق الحياة فمزقتها . إن الجواب الصحيح الوحيد لظاهرة عزوفي عن كتابة الشعر الوطني هو أنني لا أعرف لها تفسيراً .

---

(١) **قطرات من ظما** . ص.ص. ٩٢—٩٤ .

طبعت **قطرات من ظما** في صيف سنة ١٩٦٥م — (١٣٨٥) في بيروت . لم تكن هناك مشكلة بالنسبة للاسم هذه المرة ذلك أنني بمجرد أن كتبت قصيدة « **قطرات من ظما** » قبل طبع الديوان بأكثر من سنة قررت أن يحمل الديوان اسمها . وقد أصبح اطلاق اسم قصيدة من الديوان على الديوان بأكمله تقليداً تكرر مع الدواوين التالية باستثناء **أبيات غزل**. **لقد كان ذلك الصيف حزيناً قاتماً لأن نبيل** انتكس نكسة حادة ، بعد قرابة سنتين من الحياة الطبيعية ، اضطرته إلى أن يقضي فترة طويلة في المستشفى . كما كنت ذلك الصيف مشغولًا بالتحضير للمناهج الدراسية **الثلاثة** التي كلفت بها في الفصل الدراسي القادم . طبعت من الديوان ألفي نسخة وهي ضعف الكمية التي طبعت من **أشعار من جزائر اللؤلؤ** وتولت احدى دور النشر البيروتية توزيع الديوان في عدد من البلاد العربية ، وإن كان العدد الأكبر من النسخ قد بيع في البحرين وفي منطقة الخليج .

إثر عودتي إلى الرياض فوجئت بأنه تم اختياري ، دون علمي ، للسفر إلى اليمن لأعمل مستشاراً للجانب السعودي في لجنة السلام وكان يرأسه الأستاذ عبد الله السديري . لم يكن أمامي سوى يوم واحد لترتيب أموري وجمع حقائبي قبل السفر إلى صنعاء . لقد قضيت في اليمن قرابة تسعة شهور وكانت المهمة هناك مثيرة مليئة بالتحديات وبقدر من الخطر الشخصي . خلال هذه الفترة انتقلت فجأة من عالم الدراسة والتدريس إلى عالم السياسة الفعلي بأهوائه وتياراته . وهناك رأيت ، على نحو مؤلم فاجع ، الفارق بين الشعارات البراقة والواقع الحزين . على أنني بدخول هذه المرحلة أكون قد تجاوزت الفترة الزمنية التي يغطيها ديوان **قطرات من ظما** ودخلت في مرحلة جديدة تنعكس في ديوان **معركة بلا راية** .

الفصل الخامس

مَعركة بلا راية

وماذا عن اليوم ؟ عن أمّةٍ ... تحرّر أوطـانها بالسبـابْ

صواريخها في فضاء العروض ... وأسطولها مبحر في الحبابْ

وتقتـل .. تغتـال أولادهـا ... وتلقي العدو بحلو العتابْ

وفي كل شبرٍ مذيعٌ فصيحٌ ... لديه إذا صاح فصل الخطابْ

يقـول سلامٌ على التابـعين ... وويلٌ لمن لم يسر في الركابْ[1]

(١) « اسطورتان » **معركة بلا راية** — دار الكتب — بيروت ١٩٧١م . ص.ص. ٢٨—٣٠ .



إذا كان **أشعار من جزائر اللؤلؤ** يعبّر عن تجربة فتى غر في مجتمع كبير جديد و **قطرات من ظما** يعبر عن تجربة الفتى الشرقي وهو يقف وجهاً لوجه أمام الحضارة الغربية بكل سيئاتها وحسناتها ، فإن **معركة بلا راية** يصعب ، بل يستحيل ، شرحه على هذا النحو المبسّط . لقد كتبتُ قصائد هذا الديوان بين سني الخامسة والعشرين والثلاثين ، وقد شهدت هذه الفترة من حياتي العديد من التجارب الحافلة في أكثر من ميدان . في هذه الفترة بدأت حياتي العملية ؛ وسافرت إلى لندن لاستكمال دراستي العليا والحصول على الدكتوراه ؛ تزوجت ؛ وُلدت ابنتي يارا ؛ فقدت ثلاثة من أقرب الأشخاص إلى قلبي . أما على المستوى القومي فقد شهدت تلك الفترة إرهاصات الانهيار الشامل الذي انتهى بمأساة العرب القاتلة في حزيران الأسود ، هذه المأساة التي كانت طعنة نجلاء في قلب الأمة العربية لم تفق منها بعد ، ولا أتوقع أن تفيق منها إلا بعد فترة مريرة طويلة . كل هذه التجارب ، وغيرها ، انعكست ، على نحو أو آخر ، في قصائد **معركة بلا راية** .

ولو قمت باستفتاء بين القراء والنقّاد لوجدت أن **معركة بلا راية** يعتبر الديوان المفضّل من دواويني لدى غالبيتهم . وأعتقد أن سبب ذلك يعود إلى أن المعاناة الإنسانية التي وُلد الديوان بين أحضانها أصبحت أغني وأوسع وأنضج مما يجد القارىء في الديوانين السابقين . وإذا كنت من الناحية الفنية أستطيع أن أتبيّن ذلك بوضوح ، فإنني من الناحية الشخصية لا أستطيع أن أعتبره « أحسن » من البقية . هذا الديوان ، بدوره ، مرآة أمينة لمرحلة غالية من مراحل العمر .

ولعل من المناسب هنا أن أتحدث قليلًا عن التجارب الرئيسية التي انعكست في قصائد الديوان ، بادئاً بتجربة العمل . لقد كتبت كلا من الديوانين السابقين في مرحلة الدراسة وهي مرحلة مهما قيل عن مصاعبها ومتاعبها إلا أنها في حقيقة الأمر معزولة عن الصراعات والمشاكل التي تكتنف دنيا العمل . لا يمكن للطالب المتفرغ للدراسة ، مهما كان ذكاؤه ، أن يتصور جو العمل اليومي وما يحيط به من متع

ومنغصات . لأول مرة ألتقي مع الآخرين في علاقات تتجاوز علاقات الزمالة الدراسية ، وأتعامل معهم على نحو مختلف رقيق حيناً ، وعنيف حيناً . ولا أشك أن تجربة العمل قد تركت بصماتها على نفسي وعلى الشعر الذي كتبته في هذه الفترة .

ولقد كانت هذه الفترة من الناحية الثقافية من أخصب فترات حياتي . كنت قد كتبت رسالة الماجستير عن مؤلف ألماني أمريكي شهير في حقل العلوم السياسية ، هانس مور جنثاو ، وتناولت بالشرح والتعليق نظريته في العلاقات الدولية . هذه النظرية يمكن تلخيصها بأن السياسة بكل أشكالها وأنواعها وفروعها ليست سوى صراع من أجل القوة . ولقد استغرق إعداد الرسالة ضعف الوقت المخصص في العادة لرسائل الماجستير وتطلب قراءات واسعة في نظريات القوة ، قديمها وحديثها . حتى إذا ما انتهيت من كتابة الرسالة كنت تلميذاً مخلصاً من أتباع مورجنثاو مؤمناً إيماناً قاطعاً أن القوة وحدها هي المفتاح السحري الذي يمكننا من فهم السياسة ، سواء على المستوى النظري أو على مستوى الممارسة الفعلية .

غير أنني عندما بدأت دراستي في لندن على يد أستاذ من ألمع أساتذة المدرسة الحديثة في العلاقات الدولية ، جون بيرتون ، تبينت تدريجياً أن نظرية القوة ، وحدها عاجزة عن شرح كل ما يدور في عالم السياسة. منذ ذلك الوقت وأنا أدرك أن كل النظريات التي تحاول اختزال مجموعة هائلة من الظواهر في « عامل » واحد أعجز من أن تشكل تفسيراً موضوعياً دقيقاً لهذه الظواهر . ينطبق هذا على نظرية فرويد في الجنس ؛ ونظرية ماركس في التفسير المادي للتاريخ ؛ ونظرية مورجنثاو في القوة ؛ وعلى كل نظرية أخرى سواء طرحها عالم في كتاب أو إنسان عادي في مجلس . وأستطيع أن أقول بدون مبالغة إنني منذ ذلك الحين فقدت القدرة ، فكرياً ، على التعصب أو التطرف لصالح أي نظرية من النظريات ، بل أي فكرة من الأفكار . منذ ذلك الحين وأنا أدرك أنه لا يمكن أن نقسم الألوان إلى لونين اثنين ، أسود وأبيض ، وإن هناك آفاقاً لا تنتهي من الظلال والألوان .

لقد كتبت رسالة الدكتوراه عن التاريخ السياسي ، الداخلي والخارجي ، لليمن خلال فترة حكم الإمام أحمد . ولقد كان اختيار هذا الموضوع نتيجة من نتائج عملي في اليمن . لقد تطلبت الرسالة إلماماً واسعاً بالتاريخ السياسي العربي الحديث . كما تطلب إعدادها إجراء عدد كبير من المقابلات الشخصية وكتابة عدد

من الرسائل الخاصة . كانت هذه المقابلات والرسائل تجربة نافعة إلى أقصى الحدود ، وأوجدت عدداً من الصداقات التي لا زالت قائمة حتى اليوم .

خلال الفترة نفسها ، سنة ١٩٦٨م — (١٣٨٨هـ) تزوجت . ولقد كان الزواج ، بحمد الله ، سعيداً موفقاً وكان له أثر كبير في حالة الاستقرار النفسي والسكينة العاطفية التي عشتها منذ تلك اللحظة . هناك من يقول إن الشعر الحقيقي لا ينبع إلا من الحرمان أو من الحب الفاشل . إن هذا القول ، بالنسبة لي على الأقل ، مرفوض جملة وتفصيلاً . صحيح أن الحب في ظل الزواج أكثر هدوءاً ووقاراً من حب النزوة العابرة ، إن جاز لنا أن نسمي هذا حباً ، ولكنه بالتأكيد أكثر عمقاً وصدقاً وأبعد أثراً . حب الزواج هو تلك « المودة » و « الرحمة » التي تحدث عنها القرآن الكريم ، وهو أعلى درجات الحب . إنني لا أريد أن أحول هذه السطور إلى دعاية مجانية للزواج ولكنني أود أن أقول إن إنتاجي الشعري ، فيما أعتقد ، لم يصب بأي نكسة نتيجة الزواج .

ولقد شهدت هذه الفترة ثلاث مآس شخصية أليمة . أما أولها فوفاة جدتي سعاد في خريف سنة ١٩٦٥م — (١٣٨٥هـ) وكنت أيامها في مؤتمر حرض في اليمن . اتصل أخي عادل بالصديق عبد الله السديري ، رئيس الجانب السعودي في اللجنة ، وأخبره بوفاة جدتي ورجاه أن يسمح لي بالسفر إلى بيروت . ولست أنسى ، مهما طال بي العمر ، لعبد الله موقفه النبيل فقد طلبني وأبلغني أن جدتي مريضة في المستشفى وطلب مني السفر صبيحة اليوم التالي ثم أبقاني بجانبه طيلة الليل كيلا يترك لي مجالا للقلق أو التفكير . لم أعرف بوفاة جدتي إلا بعد وصولي إلى الفندق في بيروت . عندما عرفت بوفاتها شعرت لأول مرة باليتم ومعنى فقدان الأم . لقد كتبت في رثاء جدتي قصيدتين ، إحداهما منشورة في الديوان[1] ، أما الثانية التي تصف الساعات العصيبة التي قضيتها قبل أن أعرف بالوفاة ، فلم أنشرها بعد . تقول القصيدة :

حبيبـــــــتي
الليل مطروح على الخيامْ
وفي يدي رســالة

(١) « أمــاه » **معركة بلا راية** ص.ص. ٣١—٣٧ .

سطورها تهتز في ضوء النجومْ
حروفها تطفو على الضباب سرب بومْ
رسالة تقــول لي : ســعادْ
ــ وفوقها عبء السقام والسنين والحياة ــ
تصارع السقام والسنين والفناءْ
ســعاد يا همـــومْ !

*

حبيبـــــتي
الفجر مصلوب على الهضـابْ
وطفلك المشدوه محمول مع السحابْ
عيناه تسألان .. تسألان .. ثم تصمتانْ
خوفاً من الجواب .

*

حبيبـــــتي
ضوء المطار يلسع المســــــاءْ
وطفلك المشدوه موجتان تنبضان
بالرجاء والشقاءْ

*

حبيبـــــتي
الفندق الصاخب .. والصديق
والسؤال والجوابْ
سكت يا حبيبتي
وعربد العذابْ
لو أننا نموت عندما نريد أن نموت
كنت لديك في الترابْ .

*

أما المأساة الثانية فقد كانت وفاة أخي نبيل ـــ بغتة ـــ في الرابعة والثلاثين من العمر في سنة ١٩٦٩م ـــ (١٣٨٩هـ) . لقد كان نبيل ، بالإضافة إلى كونه شقيقي ، رفيقاً قريباً من قلبي وكان إنساناً بسيطاً زاهداً في الماديات منصرفاً إلى التأمل والقراءة . كانت له مكتبة شخصية عامرة وكان يعقد فيها كل أسبوع ، وأحياناً كل مساء ، « الندوة » وهي لقاء يجمع بين عدد من الأصدقاء ويقتصر البحث فيه على الأمور الأدبية والفلسفية والفكرية ، وقد أشرت إلى هذه الندوة في أكثر من قصيدة . لقد كانت وفاة جدتي صدمة أليمة ولكنها لم تكن مفاجئة ، إذ كانت في السبعين تشكو من عدد من الأمراض . أما نبيل فقد كانت وفاته مفاجئة نزلت علينا كالصاعقة . لقد كتبت بعد وفاة نبيل مجموعة من القصائد ، ضممتها إلى قطع نثرية كتبها عنه عدد من أفراد العائلة وإلى مقتطفات من رسائلة ومقالاته ، ونشرتها في كتاب سميته **في ذكرى نبيل** . كان قصدي من الكتاب أن يبقي سجلًا خاصاً يرجع إليه الذين أحبوه ، ولهذا فإنني لم أطرحه للبيع في الأسواق .

وكانت المأساة الثالثة وفاة ملك ، زوجة شقيقي عادل ، رحمها الله ، في أوائل سنة ١٩٧٠م ـــ (١٣٩٠هـ) على أثر حادث تصادم ولم تكد تبلغ التاسعة والعشرين من العمر . كانت ملك إنسانة نبيلة سخية كريمة الأحاسيس تحب الناس وتحب الحياة . ولقد جاء موتها بعد موت نبيل بشهور قليلة ، صدمة جديدة حركت الجرح الذي لم يندمل بعد :

ولم نفق يا أخت بعد من نبيلْ
لم تسقط الجمرة من عيوننا
لم يرحل الكابوس عن جفوننا
ولا استرحنا لحظةً
من حمل جرحنا الثقيلْ
وعندما قلنا اكتفى منا القدرْ
نلنا الأمان ريثما
نسترجع الشارد من صوابِنا
تسلل الفناء في
أمسيـةٍ بلا قمـرْ
باغتنـــا

في الأجمل الأنبل من أحبابنـا
خلفّنـــا
لمنجلٍ يوغـل في أعصابنـــا
للبقع الحمراء في ثيابنـا
لراية منسوجةٍ من الكــدرْ
تخفق في صمتٍ على أبوابنا(١)

هذا كله على المستوى الشخصي ، أما على المستوى القومي فقد شهدت هذه الفترة نكبة حزيران الأسود ، هذه الفاجعة التي تغلغلت إلى أعماق كل عربي . لقد كانت هزيمة حزيران نقطة تحول في حياتي بالمعنى الحقيقي ، أي أنني بعدها أصبحت إنساناً ثانياً يختلف عن الإنسان القديم . لقد وضعني حزيران الأسود وجهاً لوجه أمام التمزق العربي والعجز العربي والذل العربي . لقد كتبت عدداً من القصائد بعد مأساة حزيران ، نشر عدد منها في **معركة بلا راية** وبقي الآخر مطوياً لم ينشر ، ولكنني أعتقد أن أثر الهزيمة في نفسي كان أعمق وأوسع صدى من مجرد تفجير قصائد معدودة .

لم يكن إحساسي بهزيمة حزيران تجربة عقلية أو فكرية ، ولكنه كان احساساً شخصياً مباشراً . لقد شعرت ــ بالفعل ــ أن الهزيمة هزيمتي أنا لا هزيمة « أنظمة » أو « دول » . ولم يكن ما قلته في وصف مشاعري في تلك الأيام العصيبة من قبيل المبالغة الشعرية :

كانت الدنيا دوارا
وغضبنـا وصرخنـا
وارتمينـــا
شهقة مخنوقة تنضح عارا
وعرفنا لوعة العجز بكينا كصبيـة
أوغلت في جسمها البض أيـاد همجية(٢)

---

(١) « يا ملك » **معركة بلا راية** ص.ص. ١٥٦ــ١٦٤ .

(٢) « بعد سنة » **معركة بلا راية** ص.ص. ٥٦ــ٦٣ .

لقد أحسست إحساساً غريزياً أن حزيران لن يكون نهاية الآلام بل على العكس بداية فترة طويلة من السنوات العجاف في تاريخنا . كنت مقتنعاً أيامها أن على العرب أن يتجرعوا المزيد من كؤوس الذل والمهانة ، وها هي ذي الأيام تثبت هذه الحقيقة من جديد .

على المستوى الفكري ، فقدت بعد حزيران كل ثقة بالشعارات السياسية وأصبحت لا تثير في نفسي سوى الاشمئزاز والاحتقار . لقد تجسد العدو في نظري فأصبح عدواً واحداً وإن تعددت أسماؤه ووجوهه وأشكاله . إن العدو الأول ليس إسرائيل ، فليست قوة إسرائيل سوى انعكاس لضعفنا الرهيب . ولا الاستعمار العالمي ، فالمستعمرون لا يستعمرون إلا من يجدون لديه قابلية لأن يستعمر . وليست الزعامات العربية ، فكل اناء بالذي فيه ينضح وكما تكونون يولّى عليكم . منذ تلك اللحظة ، أصبح العدو الأول — في نظري — هو التخلف : كل خطوة نخطوها للابتعاد عن التخلف ، بأنواعه المادية والفكرية والاجتماعية والسياسية هو خطوة للتخلص من الهزيمة والانطلاق إلى الانتصار . وأعتقد أنني لا أبالغ إذا قلت إنني منذ ذلك الحين كنت أسأل نفسي ، بوعي أو على مستوى اللاوعي ، وأنا أجابه أي حدث من الأحداث : هل يساعد هذا الحدث على التخلص من التخلف ، فأصنفه ضمن التطورات الإيجابية ، أم يكرس التخلف ويؤصله ، فاعتبره تطوراً سلبياً . منذ ذلك الحين جعلت محاربة التخلف هدفاً سخرت له إمكانياتي وطاقاتي المحدودة كلها ، وسأمضي في هذا الطريق حتى آخر لحظة من لحظات حياتي ، بإذن الله .

هذه التجارب ، وكثير غيرها ، تنعكس في **معركة بلا راية** . إنني لا أعتقد أن قصائد هذا الديوان أقل ذاتية من قصائد الديوانين السابقين . لا بل إنني أعتقد أن كل شعر حقيقي هو بالضرورة شعر ذاتي . كل ما هنالك أن اهتمامات الذات نمت وتوسعت وتأثرت بعدد من التطورات العامة والخاصة ، مما جعل الشعر الذي كتبته في تلك الفترة مختلفاً عن أشعار المراهقة ومقتبل الصبا .

على أثر عودتي من اليمن في ربيع سنة ١٩٦٦م — (١٣٨٦هـ) واصلت العمل في الجامعة . ولقد قضيت صيف تلك السنة في لندن لاختيار جامعة أواصل فيها الدراسة وقد وقع اختياري على جامعة لندن . وقبل أن يبدأ العام الدراسي بأسابيع قليلة انتقل إلى رحمة الله الدكتور أحمد السمّان الذي كان رئيس قسم

العلوم السياسية وقتها بالكلية . وقد وجدت نفسي مضطراً إلى تدريس ما كان يتولى تدريسه من مناهج بالإضافة إلى المناهج الأصلية التي كلفت بتدريسها . لقد درست تلك السنة سبعة مناهج ، وهذا رقم قياسي في دنيا التدريس الجامعي . وفي صيف سنة ١٩٦٧م — (١٣٨٧هـ) ذهبت إلى ندوة هارفرد الدولية التي كان يديرها ويساهم في نشاطاتها الدكتور هنري كسينجر ، وهي ندوة تستغرق ستة أسابيع وتضم حوالي أربعين شخصاً من قادة الفكر والرأي من الشباب من مختلف دول العالم . كانت الندوة تجربة فكرية مفيدة . وفي نهاية الصيف انتقلت إلى لندن لأبدأ التحضير للدكتوراه .

على خلاف اللقاء الأول مع المجتمع الأمريكي لم يكن اللقاء بالمجتمع البريطاني تجربة مفاجئة أو مثيرة . من ناحية ، لم تكن هناك مشاكل اللغة والتأقلم التي واجهتني في المرحلة الأولى . من ناحية ثانية ، كنت في السابعة والعشرين من العمر مسلحاً بحصيلة لا بأس بها من التجارب . ومن ناحية ثالثة ، ظل ارتباطي بالوطن قوياً طيلة المرحلة الجديدة . ومع هذا فإن بصمات المجتمع الغربي تبدو في عدد من قصائد **معركة بلا راية** . كما أن الحنين إلى المجتمع القديم لا يزال يظهر هنا وهناك في الديوان .

في خريف سنة ١٩٧٠م — (١٣٩٠هـ) أنهيت الدراسة وتوقفت في بيروت لطبع الديوان . لم يكن هناك تردد بالنسبة للاسم إذ كنت قد قررت قبلها بمدة أن يحمل الديوان اسم القصيدة الأولى من قصائده . لقد اعتقد الكثيرون أن المعركة التي يشير إليها العنوان هي معركة العرب القومية ودللوا على ذلك بالقصائد التي تتحدث عن الهزيمة . إن هذه الاعتقاد غير صحيح فقد كتبت قصيدة « معركة بلا راية » قبل هزيمة حزيران بستة أشهر . والمعركة التي تتحدث عنها القصيدة ليست معركة سياسية أو عسكرية ولكنها ملحمة الإنسان مع الحياة نفسها . لقد كتبت القصيدة في أمسية شتائية حزينة قارسة البرد وفي حالة نفسية كئيبة شعرت معها أنني لم أقدم شيئاً للحياة أو للناس وأن أيامي لم تكن سوى معركة بلا راية :

أحس بأن أيامي
كهذي الليلة الحمقاء : عاصفة بلا معنى

صراع دونما غايةْ
ومعركة بلا رايةْ
طواف حول دائرة من الأوهام
تبدأ كلما قلت انتهت وتطول قدّامي
وأحلامي
كؤوس إن تعبت شربتها وسكرت
فاستسلمت للدرب
ويا قلبي !
أتعرف أننا ضعنا ؟[1]

لقد طبعت من الديوان الجديد ثلاثة آلاف نسخة وزعت في عدد من الدول العربية . وأعتقد أن هذا الديوان نال من الانتشار بين القراء ومن عناية النقاد ما لم ينله أي ديوان من دواويني الأخرى التي سبقته .

لقد كانت الفترة التي كتبت فيها قصائد **معركة بلا راية** أكثر الفترات غزارة في الإنتاج ، باستثناء الفترة التي شهدت مولد **أشعار من جزائر اللؤلؤ** . غير أن الإنتاج انخفض بعد طبع الديوان الثالث وبقي على مستوى واحد من الغزارة حتى الآن : خمس أو ست قصائد في السنة الواحدة . إنني أسجل هذه الحقيقة كظاهرة شعرية لا أعرف لها تعليلًا ولا أعلّق عليها قليلًا أو كثيراً من الأهمية .

إن ديوان **معركة بلا راية** ، بخلاف الديوانين السابقين ، يصعب أن يصنف كديوان غزل ، ولعل هذا ما دفع بعض النقاد إلى اعتباره مرحلة جديدة في مسيرتي الشعرية تختلف عن النهج الرومانسي السابق . إنني لا أجادل في هذا الحكم ولكنني أستطيع أن أقول إنني لم أتعمد وأنا أكتبه أن أدخل مرحلة جديدة أو انتهج خطاً يختلف عن الخط القديم . إن تفسيري الخاص هو أن التجارب تغيرت ، والمرحلة الزمنية اختلفت ، فجاء الديوان على نحو مختلف .

ومع هذا فلا بد لي أن أشير أنني أجريت في هذا الديوان بعض التجارب الجديدة ، بالنسبة لي ، من حيث الشكل . في قصيدتين من الديوان ، هما

---

(١) « معركة بلا راية » **معركة بلا راية** ص.ص. ٥ــ١٠ .

« كلمات لصديقة »[1] و « السيمفونية الصامتة »[2] استعملت عدة بحور مختلفة وراوحت في القصيدة الواحدة بين الشكل التقليدي والشكل الحديث . كما أنني كتبت قصيدة تقليدية من رباعيات ، كل رباعية من بحر مختلف[3] . وفي الديوان نفسه كتبت لأول مرة قصيدة تتحرر تحرراً شبه نهائي من القافية هي « الموت في حزيران »[4] . كما أن الرموز المستمدة من التراث الفولكلوري ، ومن ألف ليلة وليلة بالذات ، تظهر لأول مرة في هذا الديوان . غير أن الديوان لم يختلف عن الدواوين السابقة في احتوائه على عدد متقارب من القصائد التقليدية والقصائد الحديثة .

إثر رجوعي إلى الرياض عدت إلى كلية التجارة مدرساً فرئيساً لقسم العلوم السياسية فعميداً . ثم انتقلت إلى مرحلة جديدة في حياتي الوظيفية بانتقالي إلى عمل إداري بحت بعيد عن المجال الأكاديمي . هذه الفترة من حياتي تنعكس في ديوان **أنت الرياض** .

---

(١) **معركة بلا راية** ص.ص. ٢٣ــ٢٦ .

(٢) **معركة بلا راية** ص.ص. ١٤٥ــ١٥١ .

(٣) « رباعيات عاشقة » **معركة بلا راية** ص.ص. ٤٧ــ٥١ . أنظر ما يلي ص .

(٤) **معركة بلا راية** ص.ص. ١٦٥ــ١٧١ .

الفصل السادس

أبيات غزل

أتيه بالشعر بالأبيات أنحتها من الضلوع كما تستوقد النارُ

لا لن يمرّ غبار الذل في شفةٍ يمـدّها بلحون الكبر تيَّـارُ

تلك القصـائد سر الفجر في كبدي فكيف يكمن في أبياتها العارُ[1] ؟

---

(١) « كبرياء » **أبيات غزل** ص.ص. ٥٨ــ٥٩ .



في سنة ١٩٧٦م ــ (١٣٩٦هـ) طبعت ديوان **أبيات غزل** . ولا بد لي من أن أعترف اعترافاً واضحاً أنني ارتكبت خطأ كبيراً بطباعة هذا الديوان ، وأن أقول إنني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما طبعته على الاطلاق .

لقد كانت الفكرة التي دفعتني إلى طبع الديوان معقولة ومنطقية ، في رأيي على الأقل . لقد رأيت أن يضم الديوان نوعين من القطع : المقطوعات القصيرة التي لا يمكن تصنيفها كقصائد والتي لم أتمكن لذلك من نشرها في الدواوين السابقة ؛ ومقتطفات قصيرة من قصائد أطول لم تنشر من قبل إما لأن القصيدة الكاملة غير صالحة للنشر أو غير قابلة للنشر ، وهذا هو الجزء الأكبر من الديوان . ولقد حرصت على تسمية المجموعة **أبيات غزل** ليكون العنوان بمثابة انذار للقارىء بأنه لن يعثر على قصائد متكاملة بل مجرد أبيات متناثرة . وكان في ظني أن القارىء سيقبل على قراءة المجموعة وهو مدرك كل الادراك ما تحتويه وبدون توقعات كبيرة .

كانت هذه هي النظرية . غير أن الأمور لم تجر على هذا النحو في الواقع . من ناحية ، أدى اختيار قطع صغيرة من قصائد إلى الاخلال بالوحدة العضوية للقصيدة . وإذا كنت لم أتبيّن ذلك ، باعتباري أعرف الأصل الكامل ، فإن القارىء الذي لم يقرأ سوى أبيات ثلاثة أو أربعة لم يستطع أن يتبين المقصود من القطعة . من ناحية ثانية ، أدى الجمع بين قطع كتبت في فترات زمنية مختلفة إلى وجود تباين واضح في المستوى لا حظه القراء . ومن ناحيــة ثالثة ، جاء **أبيات غزل** بعد **معركة بلا راية** فتوقع القراء ديواناً ذا مستوى مماثل أو مقارب . وغني عن الذكر أن خيبة أملهم كانت كبيرة وهم يرون قطعاً صغيرة لا يربط بينها رابط ولا توجد منها قطعة واحدة يمكن أن تسمى قصيدة .

وعندما أمعن النظر في الأمر اليوم أجد أنني كنت على خطأ بيّن وكان القراء على حق واضح . لا يمكن للمرء أن يحذف من قصيدة ما تسعة أعشارها ويتوقع أن

يعبر العشر الباقي عن التجربة النفسية التي أوحت بالقصيدة . وما كان للقارىء وهو يطالع العنوان أن يدرك ما تحتويه المجموعة . وما كان من المناسب أن تضم مجموعة صغيرة شعراً كتب في السابعة عشرة وشعراً كتب في الثالثة والثلاثين .

ولكي يدرك القراء الفرق بين القصائد الكاملة وبين المقتطفات التي تضمنها **أبيات غزل** أورد فيما يلي مثلين :

أولهما قصيدة بعنوان « يا سميا » وقد جاءت في **أبيات غزل** على النحو التالي :

يا سميا ــ يفيض ينبوع سحر   في سطوري إذا كتبت سميّا ــ
أتراني نشدت عندك نجماً   يتأبى عن الرجوع إليّا ؟
لا تخافي من الجواب فإني   قد تعودت أن أعود شقيّا[1]

أما القصيدة الكاملة ، وقد كتبتها أيام الدراسة في القاهرة سنة ١٩٥٩م (١٣٧٩هـ) فهي على النحو التالي :

« أنا أهواك .. » قلتها لرفاقي   فأجابوا « لقد غدوت غبيّا
كيف تهوى بدراً تلألأ في الأفق مضيئاً .. فعانقته الثريّا
أجنونٌ .. أم تلك نزوة قلب   لم يزل يعشق القصي القصيّا
اطرد الوهم لا تكن ككثيرٍ   لم ينالوا ممن أحبوه شيّاً
قد عذرت الرفاق يا فتنة الشعر وأوغلت في الظنون مليّا
وتساءلت أهو ذنبي إن جاش لهيب الحنين في جانبيّا
شاء لي الحسن أن أحب فألقاك بدربي وصاح بالقلب « هيّا ! »
اعذريني إذا عشقت ولومي   ناظراً ساحراً وثغراً شهيّا

*

آه لو تفهمين معنى قواف   تتلظى كالنار في شفتيّا
لترددت وابتسمت ورفّتْ   نظراتٌ تهدي رضاك إليّا

---

(١) **أبيات غزل** ص.ص. ٦٩ ــ ٧٠ .

لو تكونين لي .. صببت على عينيك فجراً منضّراً عبقرياً
لو تكونين لي .. ضفرت على رأسك تاجاً من الزهور نديّا
ونثرت الحنين في مسمع الليل .. وأودعته ندائي الشجيّا

*

أتقولين من أنا ؟ طالعيني شاعراً مات بالصبابة حيّا
باحثاً خلف سرّه .. خلف حبٍّ يتصبّاه منذ كان صبيّا

*

يا سُميّا — يفيض ينبوع سحر في سطوري إذا كتبت سميّا —
طال عهد النوى وقلت سأنساك وعدنا فعاد حبيّ فتيّا
أو ما طالعتك خلف عيوني نظرة تفضح الحنين الخفيّا ؟

*

يا سميا جن السؤال فردّي قبل أن يملأ السماء دويّا
أتراني نشدت عندك نجماً يتأبّى عن النزول إليّا ؟
ومددت اليدين شوقاً إلى الحب فهل يملأ الظلام يديّا ؟
لا تخافي من الجواب فإني قد تعودت أن أعود شقيّا

أما ثانيهما ، فقصيدة بعنوان « لا تعتذري » وقد وردت في **أبيات غزل** على النحو التالي :

لا تعتذري
هذا قدري
أن أضرب في البحر الأزرقْ
أنا والزورقْ
والقلب الطفليّ الأخرق
حتى نغرقْ[1]

(١) **أبيات غزل** ص.ص. ١٠٥–١٠٦ .

هذا هو المقطع الأول من القصيدة الكاملة ، وقد كتبتها في لندن سنة ١٩٦٨م — (١٣٨٨هـ) .

أما بقية القصيدة فعلى النحو التالي :

أأظل هنا في مينائكْ
أتغزّل في الشعر الأسودْ
وأجوب مجاهل سينائكْ ؟
لا ياذات القلب المقعدْ
لن أبقى والحب المجهدْ
لأردّد أحـــلى أسمائكْ
وأمجّد أغبى أهـــوائكْ
لا .. في روحي ألف قصيدةْ
بعد ستولدْ
ألـف نشيدة
عن فجرٍ مصبوغٍ بالنارْ
عن دنيا تسبح في أسرارْ
عن سير الإنسان الضائع
نحو الإيمان
عن مجد الواقف في القمّةْ
يتحدّى أشباح الأذعان

*

ماذا ألمح خلف عيونك
خلف الألوانْ ؟
ألمح لا شيْء !
ماذا أسمع خلف لحونك
تسبي الآذانْ ؟
أسمع لا شيْء !
وإنا لا أبحث في الأنثى

إلا عن شيءْ
يتلقّاني
حين تشبُ الصحراءُ .. بفيءْ
ويحدّثني
عن تاريخ الركب الساري
عن معنى خوض الاعصارِ
ويحررني من إعيـــائي
من سجنٍ لا يبصره الناسْ
ويحوّلني
كومـــة أزهـــارْ
شعلـــة أنـــوارْ
في درب النـــاس

*

لا تعتذري
سألاقي الشيءْ
أو أضرب في البحر الأزرقْ
أنا والزورقْ
والقلب الطفليّ الأخرقْ
حتـــى نغـــرقْ

لقد تصورت — وقتها — أنني اخترت أحسن ما في القصيدتين . أما اليوم فأنني أدرك أن كل ما فعلته هو أنني اعتديت — بدون وجه حق — على « الوحدة الإقليمية » للقصيدتين . والأمر نفسه يصدق بالنسبة لبقية القصائد . إنني أدرك الآن أن الطريق الوحيد لاصلاح الخطأ هو نشر القصائد التي وردت في المجموعة كاملة غير منقوصة . وهذا ما أنوي أن أقوم به يوماً من الأيام ، بإذن الله ، حين أنشر كل ما كتبت من شعر ، جيده ورديئه ، في ديوان واحد كامل .

هناك كلمة أخيرة . لقد كان **أبيات غزل** أول ديوان أنشره بعد تكليفي بأعباء الوزارة . والمفترض في الناس ، أو معظمهم أو بعضهم ، أن يجاملوا ، على

نحو أو آخر ، من يتولى مثل هذا المنصب . والكتّاب بشر يسري عليهم ما يسري على الآخرين . كان المفروض ، اذن ، أن تكون الكتابات التي عالجت **أبيات غزل** مليئة بالمجاملة متضمنة الكثير من التقريظ . غير أنني أشهد شهادة مخلصة أن كل من تناولوا الديوان بالبحث ، بدون أي استثناء تقريباً ، قالوا آراءهم صريحة دون مواربة . إن أحداً من الذين كتبوا عن الديوان لم يزعم أنه عظيم أو رائع . ولئن كنت قد أخطأت في نشر الكتاب فالقراء والنقّاد لم يخطأوا في تحليله . وأحمد الله أن كلمة الحق تقال ، ولو كانت على حسابي .

الفصل السابع

أنتِ الريَاض



رأيتُ عبر الليـــالي ما لستما تريـــانِ
سمعتُ عبر الليـــالي ما لستما تسمعـــانِ
فمات قلبي . وماتت روحي .. ومات لساني[1]

(١) « هيا خذاني » أنت الرياض ــ المكتب المصري الحديث ــ القاهرة ١٩٧٧م . ص.ص. ٧٤ــ٧٧ .



كتبت قصائد **أنت الرياض** فيما بين سنّي الواحدة والثلاثين والسادسة والثلاثين ، باستثناء ثلاث قصائد كتبتها في مرحلة سابقة . كانت هذه الفترة تتميز بالاستقرار والهدوء بعد فترة طويلة من السفر والتنقل المستمر . صحيح أن هذه الفترة بدورها كانت حافلة بالأحداث ولكنها أحداث من نوع آخر تختلف عن الأحداث التي شهدتها المراحل السابقة . لا توجد هذه المرة تجربة مع مجتمع جديد ولا صدمات حضارية . لم يعد هناك ذلك التساؤل المضني عن الذات وعن الحياة وعن المستقبل . تلاشى الحديث عن الضياع ، أو كاد يتلاشى . لم تجدّ في هذه الفترة تجارب على المستوى الشخصي تركت نفس الأثر العميق الذي تركته تجارب المرحلة التي شهدت مولد **معركة بلا راية** .

على أن هذه الفترة شهدت تجارب من نوع آخر . لأول مرة أقضي خمس سنوات متواصلة في الوطن منذ تركته صبياً لم يكد يبلغ الخامسة . جدّت تطورات هامة في خطي المهني سواء داخل الجامعة ، عندما توليت عمادة الكلية ، أو خارجها عندما انتقلت للعمل بمؤسسة الخطوط الحديدية ثم عندما عيّنت عضواً بمجلس الوزراء .

لقد انغمست إثر رجوعي في دوامة سريعة من العمل المتواصل . كنت أقضي فترة الصباح في الكلية . أما فترة بعد الظهر فقد كنت أقضيها في مكتب أحد الأصدقاء المحامين الذي سافر لاستكمال دراسته العليا وطلب مني الاشراف على المكتب في غيابه . أما فترة المساء فقد كنت أقضيها متنقلًا بين معهد الادارة العامة ووزارة المالية والاقتصاد الوطني إذ كنت أعمل مستشاراً غير متفرغ بالجهتين . وقد زادت هذه المسؤوليات ثقلًا عندما توليت عمادة كلية التجارة الأمر الذي اضطرني إلى التخلي عن الاشراف على مكتب المحاماة .

كانت جامعة الملك سعود (الرياض) أيامها تمر بمرحلة انتقالية شهدت انتقال جميع الوظائف الحسّاسة في الكليات من أعضاء هيئة التدريس المتعاقدين إلى

أعضاء هيئة التدريس السعوديين . كان الوضع قبل الانتقال لا يخلو من غرابة . كان بإمكان الشاب السعودي المؤهل أن يتولى أعلى المناصب في الدولة ، كالوزارة أو وكالة الوزارة ، في سن مبكرة أما في الجامعة فقد كان من المستحيل عليه أن يصبح رئيس قسم أو عضواً في مجلس الكلية . كان هناك شعور متزايد بضرورة تغيير هذا الوضع . ولقد أسعدتني الظروف بالمساهمة في وضع النظام المعدل الذي سمح لأعضاء هيئة التدريس السعوديين أن يتولوا كافة المناصب الأكاديمية في الجامعة . على أنه إذا كان الوضع الجديد إيجابياً في جملته فإنه لم يخل من سلبيات . كان أعضاء هيئة التدريس السعوديون من أعمار متقاربة ودون فروق تذكر في الأقدمية العلمية مما أدى إلى نشوء تنافس شديد وإلى انعدام روح الانضباط التي تفرضها ، عادةً ، فوارق السن والخبرة والأقدمية . إن هذه ظاهرة مؤقتة بدأت تتلاشى مع قدوم أجيال متعاقبة من أعضاء هيئة التدريس السعوديين ولكنها كانت ثمناً لا بد من دفعه في البداية .

لقد كانت هذه الرغبة في انتقال الوظائف الهامة في الكليات إلى السعوديين هي السبب في تكليفي بالعمادة . والواقع أن هذا التكليف جاء كأمر مفاجىء لم أكن أتوقعه أو أتطلّع إليه . خصوصاً وقد كان في الكلية من الزملاء السعوديين من هم أقدم مني . لقد ترددت كثيراً قبل أن أوافق . من ناحية ، كان اختياري للعمل في الجامعة نابعاً عن رغبة حقيقية في البحث والتدريس ولم أكن حريصاً على القيام بأعمال إدارية . من ناحية ثانية ، كنت أخشى أن يعتبر هذا التكليف تشريفاً وأن يثير في بعض النفوس شيئاً من عدم الرضا ، وقد صح ما توقعته فيما بعد .

على أنني بعد تردد قصير اخترت قبول التكليف . وقد كان وراء القرار سببان رئيسيان . أما السبب الأول ، فهو اعتقادي الجازم طيلة حياتي أننا مهما خططنا لحياتنا أو اتخذنا من القرارات بشأن مستقبلنا نبقى في النهاية محكومين بما قدره الله لنا . أنني لم أنسب أي نجاح حققته في حياتي ، على المستوى الدراسي أو العملي ، إلى كفاءة ذاتية أو عبقرية شخصية بل كنت أؤمن إيماناً لا يتزعزع أن إرادة الله سبحانه وتعالى هي التي منّت عليّ بهذا النجاح . إن عجبي لا ينتهي من الذين يعتقدون أنهم حققوا ما حققوه « على علم عندهم » ومن الذين « يخططون » للوصول إلى الوزارة أو غيرها من الوظائف . أما السبب الثاني فقد كان شعوري العميق أن الجامعة ــ ككل ــ بحاجة إلى أن تحث خطوها في مواكبة التطورات

الجامعية العالمية ، وشعوري أن بامكاني المساهمة في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الجامعة . لقد كانت فترة العمادة مليئة بالتحديات والارهاق ولكنها كانت مليئة بالإنجازات . كان مجلس الجامعة ، وعلى رأسه وكيل الجامعة الدكتور عبد العزيز الخويطر ، متجاوباً مع كل اقتراح جديد نافع . شهدت الجامعة الكثير من التغييرات الإيجابية ، كالتحول إلى اليوم الدراسي الكامل ؛ وإعادة النظر في نظام الامتحانات العتيق الذي نقل بحذافيره من مصر ؛ وتطوير مجموعة من الحوافز للطلبة المتفوقين ؛ وتشجيع البحث العلمي . وعلى مستوى الكلية كانت هناك تطورات هامة . انتهى العمل في منهج جديد وسّع عدد التخصصات ؛ ابتعث عدد كبير من المعيدين وعيّن عدد أكبر ؛ صدرت مجلة علمية للكلية ؛ وكثف النشاط الثقافي والاجتماعي . لقد ارتكبت خلال فترة العمادة بعض الأخطاء بحق عدد من الزملاء ، وارتكب بعض الزملاء عدداً من الأخطاء بحقي ، وأعتقد أنه لم يكن بالإمكان تفادي هذه الأخطاء . على أنني أحمد الله أن الخلافات كانت ، في معظم الحالات ، سحابة صيف تقشعت . وعندما انتهت فترة تكليفي بالعمادة كان هنا اصرار قريب من الاجماع بأن أبقى ولكنني أصررت على عدم البقاء فترة أخرى ، وقد كان هذا شرطاً تمسكت به منذ البداية .

بعد بضعة شهور من التخلي عن العمادة عرض عليَّ الأديب الأستاذ محمد عمر توفيق وكان وقتها وزيراً للمواصلات أن أنتقل لأعمل معه مديراً عاماً لمؤسسة الخطوط الحديدية في الدمام . لقد وضعني هذا العرض أمام حيرة شديدة وكان القرار غاية في الصعوبة . لم يكن من السهل أن أترك الكلية التي عشت فيها ، وأحببتها ، فترة تقارب عشر سنوات ، ولم يكن من السهل عليّ أن أترك التدريس . على أنني في النهاية وجدت أنني أعطيت الكلية كل ما سمحت لي الظروف بإعطائه ورأيت أن العمل الجديد لا يخلو من إثارة وتحديات من نوع مختلف . وفي الحفلة التي أقامها الزملاء لوداعي ألقى الصديق الدكتور أسامة عبد الرحمن قصيدة طريفة يداعبني فيها :

ما للسيـــــــاسة مالها   وإدارة السكك الحـديدْ ؟
هلا غدوت « كسنجرا »   يختــال كالعلـم الفريـدْ
بيديــه مفتــاح السلام   وعنـده كسـر الجليدْ ؟

وقد رددت عليه بقصيدة طويلة جاء فيها :

إن السياسة فاعلمن في كل ميدان تفيدْ
فن القيادة ليس من علم السياسة بالبعيدْ
والكون تحكمه السياسة في القديم وفي الجديدْ
حتى الإدارة من أفانين السياسة تستفيدْ
فإذا شككت بما أقول وأنت ذو رأي سديدْ
فاسأل « سليمان السليم » فإنه رجل رشيدْ
أو سل « فتى السعدون »[1] أو سل يا أخي «عبدالحميدْ»[2]

وإذا كنت قد ترددت كثيراً قبل الانتقال إلى عملي الجديد فأنني لم أندم لحظة واحدة على القرار الذي اتخذته . كان العمل شيقاً ممتعاً وقد بدأت منذ أول يوم صداقة وطيدة بيني وبين الأخوة العاملين في المؤسسة ولا زالت قائمة حتى اليوم . لم أكد أكمل سنة ونصفًا في المؤسسة حتى عيّنت وزيراً للصناعة والكهرباء وقضيت في هذا المنصب ما يزيد على ثمان سنوات .

لقد أشرت بإيجاز إلى هذه التطورات أما التفاصيل فتحتاج إلى كتب . على أنه لا يهمنا هنا ما فعلت ، أو لم أفعل ، كعميد كلية أو مدير مؤسسة عامة أو وزير . الذي يهمنا أن هذه التجارب كلها ألقت بي في خضم عالم جديد يختلف عن العالم الأكاديمي . لقد بدا عهد الدراسة والتدريس من موقعي في العالم الجديد عهدا بريئاً صافياً يذكر ، في عزلته السعيدة ، بالأبراج العاجية التي يتحدثون عنها . اختفت الدنيا التي كنت أعرفها وظهر لي العالم بملامح مخيفة لم أرها من قبل .

كنت أسمع من قبل بطبيعة الحال عن كلمات مثل « المصالح » و « الحسد » و « الحقد » و « الغيرة » ولكنني لم ألتق بها كحقائق مرعبة إلا في هذه الفترة . لم أكن لأصدق ـــ لولا أن التجربة المريرة علمتني ـــ أن إنساناً لم تره ولم يرك ولم تعرفه ولم يعرفك يمكن أن يكرهك وأن يكيد لك . ولم أكن لأصدق ـــ لولا أنني رأيت بعينّي ـــ كيف تنقلب الصداقة فتوراً يشبه العداء إذا مشى الطموح بين

(١) الدكتور حمد السعدون .
(٢) الدكتور عبد الحميد أبو سليمان .

الصديقين . لم أكن قد شاهدت عن كثب من قبل كيف تنقضّ المصالح الخاصة على المصلحة العامة في صراع قاس غير متكافىء . باختصار ، لقد أتاحت لي التجربة الجديدة أن أطلّع على جوانب من الطبيعة البشرية كانت خافية عليّ . لا أقول إنني أصبحت بعدها أقل ثقة بالناس ولكنني أقول إنني أصبحت أكثر معرفة بهم .

ومن هنا فإن الحنين إلى عالم طفولي بريء بعيد عن المطامع والمطامح والأهواء أصبح يشكل جزءاً هاماً من الشعر الذي كتبته خلال تلك الفترة . ولقد انعكس هذا الحنين في عدد من قصائد **أنت الرياض** مثل « العودة إلى الواحة »[١] . و « هيا خذاني » وقد سبقت الإشارة إليها في مطلع الفصل ، «واذهبي»[٢] ، على أن هذا الحنين ينعكس بصورة عنيفة مباشرة في قصيدة « الحب والموانىء السود »[٣] ، وهي القصيدة التي كدت أسمّي الديوان باسمها . هذه القصيدة تتحدث عن تحول الطفل إلى رجل ، فاقداً في كل مرحلة من مراحل التطور جزءاً من براءته وطهره وعفويته ماراً بأربعة موانىء يتعلم من خلال إقامته فيها الخوف والكذب ويعشق المال والمجد .

ولأول مرة يعكس ديوان من دواويني صوراً من البيئة السعودية على نحو مباشر . « **أنت الرياض** »[٤] ، القصيدة التي استعرت من اسمها اسم الديوان ، تصور كيف تمتزج الحبيبة والمدينة فيصبحان شيئاً واحداً ، تذكّرك المدينة بالحبيبة والحبيبة بالمدينة ، والحب في النهاية هو نفس الحب . هناك قصيدة عن « أبها »[٥] هذه المدينة الحالمة الجميلة التي زرتها لأول مرة خلال هذه الفترة . صور المطر والصحراء تتكرر في أكثر من موضع في الديوان .

هناك في الديوان عدة قصائد رثاء . واحدة في رثاء الملك فيصل ، رحمه الله [٦] ، وواحدة في رثاء الصديق زياد بخيت[٧] وثالثة في رثاء الصديق محمود

---

(١) **أنت الرياض** ص.ص. ٦٦ــ٦٩ .
(٢) **أنت الرياض** ص.ص. ٣٦ــ٣٩ .
(٣) **أنت الرياض** ص.ص. ١٢٤ــ١٣٤ .
(٤) **أنت الرياض** ص.ص. ٦ــ١١ .
(٥) **أنت الرياض** ص.ص. ١١٦ــ١١٩ .
(٦) « فارس القدس » **أنت الرياض** ص.ص. ٥٨ــ٦٥ .
(٧) « موت إنسان » **أنت الرياض** ص.ص. ٥٢ــ٥٥ .

نصيف[1] اللذين توفيا في ميعة الشباب وفي ظل ظروف فاجعة ، رحمهما الله . وهناك قصيدة في رثاء أبي الذي توفي سنة ١٩٧٦م — (١٣٩٦هـ) وكان عمره يناهز المائة :

وفي لحظةٍ يا أبي وصديقي   فقدتك عدت يتيماً صغيرا
يغالب بين الجموع الدموع   ولا يستطيع فيبكي كثيرا
وأنت هنالك فوق الرقاب   تلوح كعهدي كبيراً كبيرا
مهيباً برغم انطفاء الحياة   ورغم انسدال الستار شهيرا[2]

لقد تحولت علاقتي بأبي عبر السنين من علاقة احترام وخوف إلى علاقة محبة وصداقة حقيقية . أنني أشعر أن عاطفتي نحو أبي أكبر وأعمق من أن تعبر عنها قصيدة واحدة ، وأستغرب لأنني لم أكتب عنه سوى هذه القصيدة . التاريخ الأدبي يحدثنا عن شعراء فقدوا أحباء قريبين إلى قلوبهم ولم يكتبوا عنهم كلمة واحدة[3] ، وهذا بدوره سر من أسرار العملية الشعرية التي لا نكاد نعرف عنها شيئاً . لقد قال لي الشاعر عمر أبو ريشة إنه كان متعلقاً بأبيه تعلقاً نادراً ومع ذلك فلم يستطع أن يكتب عنه بعد موته سوى أربعة أبيات . إنني أشعر أنني مهما كتبت من شعر عن أبي فإني لا أستطيع أن أفيه حقه . إنني كلما تقدمت بي السن ازددت اعجاباً بهذا الإنسان العظيم . ولا أعتقد أن يوماً واحداً قد مرّ بي دون أن التقي في شرق المملكة أو غربها أو شمالها أو جنوبها بإنسان عرف أبي معرفة حميمة واحتفظ له بأجمل الذكريات . إن هذا أثمن ما يخلفه أب لابنه ، رحم الله أبي وجزاه خير ما يجزي به عباده الصالحين .

لقد قلت من قبل إن شعر الرثاء لصيق بقلبي ، ولقد قال أحدهم ذات يوم ، على سبيل الانتقاص والاستهزاء ، أنني شاعر رثاء . إنني لا أتبرأ من هذه « التهمة » ، لا بل إنني على العكس ، أعتز بها . شعر الرثاء يعبق بعطر الوفاء ، والوفاء عاطفة من أنبل العواطف البشرية وأندرها . وشعر الرثاء يندى بالصدق ،

(١) « كيف أبكيك ؟ » **أنت الرياض** ص.ص. ٩٠—٩٣ .

(٢) « أبي » **أنت الرياض** ص.ص. ١٢٠—١٢٣ .

(٣) على سبيل المثال ، قال لي الأخ عبد الرحمن رفيع إنّه لم يتمكن من كتابة بيت واحد في رثاء أبيه ، رغم ما يكنّه له من حب عميق .

لأنه يُكتب في حالة من الذهول الحزين لا يستطيع معها المرء أن يتحكم في مشاعره أو يخفيها . ومن هنا فإن من أجمل قصائد الشعر العربي كله في نظري قصيدة مالك بن الريب في رثاء نفسه ، وقصيدة ابن الرومي الدالية في رثاء ابنه ، وقصيدة متمم بن نويرة في رثاء أخيه ، وقصيدة المتنبي في رثاء جدته ، وقصائد عبد الرحمن صدقي في رثاء زوجته ، وقصيدة نزار قباني في رثاء ابنه . ولا أعتقد أنني سأشعر بأي غضاضة إذ قيل أن الشعر الذي كتبته في الرثاء هو أفضل ما كتبت من شعر .

وفي **أنت الرياض** واصلت التجربة التي بدأتها في **معركة بلا راية** في التحرر المطلق من القافية وقد استخدمت هذا الأسلوب في ثلاث قصائد هي « وحين أكون لديك »[1] و « حبك »[2] و « موت إنسان » التي سبقت الإشارة إليها . إنني أشعر أن نجاحي في هذه التجربة لم يكن كاملًا . بقدر ما يتيح هذا الأسلوب من حرية في الاسترسال تسمح بتداعي الأفكار وانثيالها ، إلا أن قدراً من الموسيقي التي توفرها القافية يضيع ويتبخر .

وقد استمرت الهموم العربية تؤرق **أنت الرياض** . حالة اليأس التي خدّرت الوجدان العربي على أثر هزيمة حزيران هي محور قصيدة « حزيران الأثيم »[3] . تصفية العمل الفدائي الفلسطيني هو موضوع قصيدة « حكاية النجم المذبوح »[4] . الأمل في معجزة تعيد للعرب كرامتهم المهدورة يتجلى في قصيدة « الأخطبوط »[5] . الشعور بأن القصائد لا تقدم ولا تؤخر هو منطلق قصيدة « السكوت »[6] . لم أكتب عن حرب اكتوبر سوى قصيدة واحدة تتحسر على نهايتها الأليمة ومطلعها :

تبـــكي الأزهـــــارْ
تتنـــــاثر أوراق الأشـــــــجارْ
ويجيء خريف همجي دامي الأظفـــــارْ

---

(١) **أنت الرياض** ص.ص. ١٨ــ٢٣ .
(٢) **أنت الرياض** ص.ص. ١١٠ــ١١٥ . انظر ما يلي ص. ٢٨٣ .
(٣) **أنت الرياض** ص.ص. ٩٨ــ١٠١ .
(٤) **أنت الرياض** ص.ص. ١٢ــ١٧ .
(٥) **أنت الرياض** ص.ص. ٣٠ــ٣٥ .
(٦) انظر ما يلي ص. ٢٨١ .

فيمــرّ على خـــد الأشـــياءْ
ويمــزق أجنحـــة الأطيـــارْ
ويحـــطم أوكار الأشـــعارْ
لـــكني يـا شعبي البكّـــاءْ
يـا شعبي الضـــارب في الأقـــطارْ
يـا شعبي المنـــفيّ مـن الـــدارْ
أتـرقب في ليـــل الأذعـــانْ
عـــودة رمضـــانْ
بـربيع يصـــنعه الإيمـــانْ
تحمله أعـــلام الفـــــرسانْ

ولقد نشرت المقطع الأخير من القصيدة في الديوان ، بعنوان « عودة رمضان »(١) .

والحب لا يزال الموضوع الرئيسي لعدد من القصائد في **أنت الرياض** ولكنه لم يعد الحب بمعناه « العاطفي » القديم . الحب هنا ليس صبوة متأججة متّقدة ولكنه حالة من الصفاء والروحانية . الحبيبة ليست أحلى النساء ، ولكنها تلك الإنسانة التي تتعايش معها دون قناع أو خداع . وهي تلك الإنسانة التي تذكّرك دائماً بواجبك نحو الناس ونحو القيم والمثل . هذا المفهوم أكثر نضجاً من مفهوم الحب في الدواوين السابقة . وهو على أي حال مفهوم ما كان لمراهق ، أي مراهق ، أن يدركه وما كان لشاب في فورة الصبا أن يتفهم أبعاده .

بعد **أنت الرياض** نشرت ديواناً باللغة الإنجليزية اسمه من الشرق والصحراء FROM THE ORIENT AND THE DESERT(٢) يحتوي على خمسة عشر قصيدة اخترتها من الدواوين الأربعة . ولهذا الديوان قصة طريفة . عندما كنت في ندوة هارفرد الدولية ، التي سبقت الإشارة إليها ، أقيمت أمسية شعرية ساهم فيها الشعراء من أعضاء الندوة ، وكانت الفكرة أن يلقي كل شاعر قصائده بلغته الأصلية ثم يلقي ترجمة إنجليزية لها . وقد اخترت لهذه المناسبة ثلاث قصائد ترجمتها

(١) **أنت الرياض** ص.ص. ١٠٨—١٠٩ .

(٢) ORIEL PRESS LTD. LONDON 1977.

إلى اللغة الإنجليزية بمساعدة أحد الزملاء الذين حضروا الندوة وهو شاعر يكتب بالإنجليزية . لقيت القصائد الكثير من الاستحسان وقد اقترح عليّ بعض الذين حضروا الندوة أن أطبع مجموعة بالإنجليزية ولكنني لم أعر الفكرة أي اهتمام . بعدها بحوالي سنة قام الصديق سليمان السليم بترجمة قصيدة « في شرقنا »[1] إلى الإنجليزية ونشرها في مجلة الكلية التي كان يحضّر فيها للدكتوراه في الولايات المتحدة . وقد أخبرني أن ردود الفعل كانت ممتازة ، الأمر الذي أثار فكرة طبع مجموعة كاملة مرة أخرى . بعدها سمعت الاقتراح عدة مرات من عدد من معارفي الذين يتحدثون الإنجليزية . غير أن الفكرة لم تختمر إلا عندما أصرّ أحد الأصدقاء ــ وهو فنان بريطاني معروف ــ أن أقوم بنشر الديوان ويتولى هو تزيينه بالرسوم . وهذا كان . لقد طبعت من الديوان طبعتان ويفكر الناشر الآن أن يصدر طبعة ثالثة . كما أنه متحمس لطبع ديوان آخر أرجو أن تسمح لي الظروف باعداده . لقد كانت الفكرة من طبع الديوان هو ايصال صوت عربي شعري معاصر إلى قراء الإنجليزية ، وأعتقد أنني ، بفضل الله ، نجحت في تحقيق جزء من الهدف .

---

(١) انظر ص. ٢٧٣ .



الفصل الثامن

الحـــمّى



يا أعز النساء ! أين مضى الطفل ..
وأيـن ابتســامـةُ المعســولُ ؟

أين ولّت براءتي ؟ أين طهرى ؟
أين غاب الفتى العفيف الخجولُ ؟

كبر الطفل .. شيبته لياليه ..
وعرتـه من صبـاه الـفصولُ

قبضة الأربعين تهصر روحي
فأحـاسيسى العـذارى كهــولُ

لم تعـد ثمَّ شـعلةٌ من حمـاسٍ
سُـكِب الزيت .. واستراح الفتيلُ[1]

(١) « يا أعز النساء » **الحمّى** تهامة ، جـدة الطبعة الثانية ص.ص. ١٨٢ــ١٨٣ . جميع الاشارات إلى ديوان **الحمّى** من الطبعة الثانية .



كتبت معظم قصائد **الحمّى** بين سني السادسة والثلاثين والحادية والأربعين . هناك محوران رئيسيان تدور حولهما قصائد الديوان وعدة محاور فرعية . أمّا المحور الأول ، فهو الانتقال من مرحلة الشباب إلى مرحلة الكهولة ، منتصف العمر كما يقول التعبير الانجليزي ، بكل ما يواكب هذا الانتقال من مشاعر حزينة معقدة حادة . هذا الانتقال يحمل معه غالباً ، الشعور باختفاء مشاعر الطهر والمثالية والبراءة التي تقترن في أذهاننا ، عادة ، بفترات الطفولة والصبا وربما مطالع الشباب . أما المحور الثاني ، فهو الهزيمة العربية الكبرى التي بدأت بالزيارة المشؤومة إلى القدس المحتلة وانتهت بالصلح الأسود بين إسرائيل ومصر الغالية . أقول إنها الهزيمة الكبرى لأن كل هزائم العرب السابقة ، حتى كارثة حزيران ، كانت ، بالمقارنة ، هزائم صغرى . بعد ذلك هناك محاور صغيرة عديدة ، مشاعر الأبوه ، تجربة العناء في عمل مرهق ، تطور المجتمع بسرعة مذهلة ، ومشاعر الحب (وان كنت اعتقد أن حصيلة هذا الديوان من قصائد الحب تقل عن أي ديوان آخر من دواويني) . والآن ، إلى المزيد من التفاصيل .

يزعم علماء النفس ، أو بعضهم على أية حال ، أن لكل فترة من عمر الانسان ملامحها وبصماتها ومشاكلها وهمومها . يزعم هؤلاء أننا نستطيع أن نتبين في كل مرحلة شخصاً يختلف قليلاً أو كثيراً عن شخص المرحلة السابقة وشخص المرحلة التالية ــ ما بين العشرين والثلاثين نجد شخصاً مشغولاً بانهاء دراسته وبدء حياته العملية وتأسيس بيت الزوجة على نحو لا يترك مجالًا لأية اهتمامات أخرى . بين الثلاثين والأربعين نجد شخصاً منهمكاً في ذلك الصراع الأعمى المحموم الذي يغذيه الطموح للوصول إلى القمة ــ سواء كانت القمة وظيفة عالية في المؤسسة التي يعمل فيها أو نجاحاً مادياً في عمل تجاري أو تفوقاً في مجال فني أو شهرة في مجال أدبي أو عملي . ما بين الأربعين والخمسين نجد شخصاً وصل إلى ما أراد وبدأ يتساءل عما إذا كان الثمن الذي انفقه يتساوي مع النجاح الذي حققه ، شخصاً يشعر أن شبابه قد ضاع سدى ويحاول أن يتشبث بآخر

دقيقة من الشباب العابر . بعد الخمسين نجد شخصاً أهدأ وأسعد ، شخصاً يقبل نفسه على علاتها ، ينظر إلى ماضيه بشيء من التسامح والغفران ويتطلع إلى مستقبله بقدر من السلام والطمأنينة .

سواء صح هذا التحليل أو لم يصح ، وهناك تفريعات مختلفة عنه قليلًا أو كثيراً ، فقد وجدت نفسي في نهاية الثلاثينات ضحية شعور ملحّ بتسرّب الشباب ، بكل ما يتضمنه هذا الشعور من حسرة على الماضي وخوف من المستقبل . بل أنني بدأت ، فجأة ، أتذوّق أشعار البكاء على الشباب في تراثنا الشعري ، وقد كان ابن الرومي ، في رأيي ، أعظم من بكى على الشباب . كما وجدت نفسي ، فجأة ، أكتب عن هذه التجربة الأربعينية — حتى قبل الوصول إلى الأربعين — المرّة تلو المرّة ، حتى غدا الأمر موضع تعليق دائم لا من الأصدقاء الخُلّص فحسب بل من القراء الذين لا يعرفونني ولا أعرفهم .

هذه التجربة الأربعينية — أو « قصائد في الأربعين » إذا استعرنا اسم ديوان الشاعر يوسف الخال — تنتشر في كل مكان من **الحمّى** بشكل مباشر واضح حيناً وبأشكال غير مباشرة أحياناً أخرى . تتضح مباشرة في قصائد « أمام الأربعين »[1] و « نحن كنا الشعر »[2] و « المومياء »[3] و « الإفلاس »[4] . وتتضح ، بصورة مبطّنة أو رمزية في عدد من القصائد الأخرى : « هناك »[5] و « أمة الدهر »[6] و « يا أعز النساء[7] » — ولنا عودة إلى هذه القصيدة الأخيرة بعد قليل . لكل قصيدة من هذه القصائد مضمونها الخاص وتجربتها المتميزة — إلا أنها في النهاية تحمل شيئاً واحداً مشتركاً : توديع مرحلة واستقبال مرحلة . كل هذه القصائد تحن إلى براءة اختفت ، وإلى طهر تلاشى . وكل هذه القصائد مثقلة بمشاعر من الحزن تخفت حيناً وتنفجر ، عالية ، حيناً آخر .

---

(١) **الحمّى** ص.ص. ١٦٣—١٦٦ .
(٢) **الحمّى** ص.ص. ١٨٩—١٩٢ .
(٣) **الحمّى** ص.ص. ١٩٥—٢٠١ .
(٤) **الحمّى** ص.ص. ١٥٣—١٦٠ .
(٥) **الحمّى** ص.ص. ١٤٥—١٥٠ .
(٦) **الحمّى** ص.ص. ٦١—٦٦ .
(٧) أنظر ما سيلي ص. ٢٨٩ .

بل أن هذا الحزن « الأربعيني » يتغلغل ، على نحو لم أشعر به عند الكتابة ، وإن كنت أشعر به الآن بعد سنوات من كتابة القصائد ، في شعر الحب الذي تضمنه الديوان . قصيدة « وتعطين كالبحر »[١] ، على سبيل المثال ، تتحدث عن « جمع النوارس تدفع هذا الشراع العتيق » . وقصيدة « حسبى وحسبك »[٢] تقول :

يا زهــرةً بطيوب الصبح عـابقــةً
إني أتيت وريح الليل في كبدي

وقصيدة « قفى »[٣] تقول :

وأعجب كيف يغرينى طريقي
وموتى فيه أقرب من نجاحي

ولن أستغرب لو وجد باحث في كل قصيدة من قصائد الديوان ظلًا أربعينياً لم يخطر ببالي الواعى يوم أن كانت القصيدة تختمر ثم تظهر إلى الوجود .

أما محور الديوان الثاني فهو الهزيمة العربية الكبرى . لقد كنت ، باعتباري من دارسى العلوم السياسية ، أدرك أن الهزيمة الحقيقية ليست في فقد الضحايا ولا فى خسارة المعارك ولا في ضياع الأرض ، على فداحة هذا كله ، ولكنها في قهر الارادة السياسية للخصم وإجباره على الخضوع للارادة السياسة المعادية . ومن هنا كنت اعتقد أن اسرائيل لم تتمكن من تحويل انتصاراتها العسكرية المتوالية في ١٩٤٨ وفي ١٩٥٦ وفي ١٩٦٧ إلى انتصارات سياسية مماثلة لأن الارادة السياسة العربية ظلت تقول « لا » مهما كانت هذه « اللا » ضعيفة وعارية من المقاومة العسكرية الفعالة . إلا ان إسرائيل حققت الانتصار الذي ظلت تخطط له منذ وجودها ، وربما قبل وجودها ، عندما « حج » إليها رئيس أكبر دولة عربية ، الدولة التي كانت حتى تلك اللحظة ، تمثل قلعة الصمود العربي في رحلة للسلام

(١) الحمّى ص.ص. ١٦٩—١٧٤ .
(٢) الحمّى ص.ص. ٧٥—٧٧ .
(٣) الحمّى ص.ص. ١٠٩—١١٢ .

كان من الواضح لكل ذى عينين أنها لن تنتهى إلا باستسلام للارادة السياسية الأقوى وهذا ما كان .

كنت ليلة الزيارة / المأساة أرقب التفاصيل على الشاشة الصغيرة وأنا أبكي بحرقة . لا أذكر أني بكيت منذ وفاة سيدي الوالد ، رحمه الله ، كما بكيت ليلتها . والبكاء ، بطبيعة الحال ، ليس موقفاً بطولياً ولكنه ، في رأيي ، أشرف ، بكثير ، من مواقف اللامبالاة وأنبل ، بمراحل ، من مواقف التهليل والتصفيق للهزيمة النكراء التي جاءت تدعى أنها انتصار مبين . لم أصدق ، لحظة واحدة ، ما قيل وقتها ، عن « المكاسب الاعلامية » ، وعن « مجابهة إسرائيل في عقر دارها » وعن « الدفاع عن المطالب العربية المشروعة » كنت أرى بحدس يشبه اليقين أن النتيجة ستكون سلاماً منفرداً تتبعه حالة من التمزق العربي تعنى ، في غياب معجزة يصعب حصولها ، هيمنة إسرائيلية فعلية على العالم العربي بأكمله . إلا انه مع البكاء كانت قصيدة جديدة تولد — ومع انتهاء البرنامج التيلفزيوني كانت القصيدة قد انتهت .

هذه القصيدة ، « لا تهيء كفنى »[1] ، رغم خطابيتها ومباشرتها وتقريريتها ، تظل من أقرب قصائدى إلى نفسي . ربما لأنها تمكنت أن ترى ، قبل أن يحلل المحللون ويبحث الباحثون ، نتائج الزيارة . وربمّا لأنها عبرت عن مشاعر الكثيرين — فقد شاعت وذاعت فور نشرها — وأعيد نشرها مرات ومرات . وربما لأنها أثبتت ، لى على الأقل ، أن شعاع الأمل يمكن أن ينبثق من ظلمات الهزيمة .

الخطاب في القصيدة كلها موجه إلى « بطل » الزيارة :

لا تهيّئ كفني .. ما متُ بعدُ
لم يزل في أضلعي برقٌ ورعدُ
أنا إسلامي .. أنـــا عزّتـــه
أنا خيل الله نحو النصر تعدو
أنا تاريخي .. ألا تعرفـــه ؟!
خالدٌ ينبض في روحي وسعدُ

---

(١) الحمىّ ص.ص. ١٠١—١٠٥ .

وتنتهي :

قل لمن طار به الوهم ..اتئدْ[1]
ليس للظامىء في الأوهام وردُ

أيّ سلم ترتجي من رجلٍ
يده بالخنجر الدامي تمدُّ؟

أيّ سلم ترتجي من رجلٍ
ضجَّ في أعماقه الحقد الألدُّ ؟

« دير ياسين » على راحته
لعنةٌ تتبعه أيّان يغدو

ستري اذ تنجلي عنك الرؤى
انه للحرب لا السلم يُعدُّ

أن ما ضيع في ساح الوغى
في سوى ساحتها لا يُستَرَدُّ

كانت هذه القصيدة الأولى عن الكارثة ، ولكنها لم تكن الأخيرة . هناك قصيدة « رويدك »[2] وقصيدة « امتى »[3] ، التي كتبتها على أثر توقيع السلام المنفرد . وقصيدة « بيروت »[4] وكان هناك عدد آخر من القصائد كتبت بقدر من الانفعال والحدّة لم يجعل بالإمكان ان تنشر .

هذان المحوران ، الأزمة الشخصية « الأربعينية » والأزمة العربية القومية ، يلتقيان ويتداخلان ويمتزجان في قصيدة « يا أعز النساء »[5] . ولو سألني سائل عن قصيدة واحدة تختصر روح **الحمىّ** لما ترددت في اختيار هذه القصيدة . لقد قال لي أكثر من صديق ان هذه القصيدة هي أحسن ما كتبت على الاطلاق .

(١) من الغريب أن كل ما تكشف من تقارير عن الزيارة فيما بعد سواء من مصادر عربية أو إسرائيلية ، كان يشير إلى ان « بطل » الزيارة كان ، بالفعل ، يعيش في عالم من الأوهام ليس له أي علاقة بحقائق الموقف .

(٢) **الحمىّ** ص.ص. ١٣٩ــ١٤١ .

(٣) **الحمىّ** ص.ص. ٥٣ــ٥٨ .

(٤) **الحمىّ** ص.ص. ٣٣ــ٣٨ .

(٥) أنظر ما سيلي ص. ٢٨٩ .

وأنا ، عادة ، لا أجادل أحداً حول حكم شخصي كهذا وإن كنت أعترف هنا أنها من القصائد القليلة التي ظلت لصيقة بقلبي حتى بعد انتهت لذة الجدة . ولكل جديد لذة ، كما يقول شاعرنا القديم .

نعود بعد ذلك إلى المحاور الصغيرة المتعددة — اثر تعيني وزيراً للصناعة والكهرباء اندفعت بفورة وحماس لاهب في المهمات الجديدة . كانت المملكة على أعتاب خطة خمسية ثانية استهدفت إقامة بنية أساسية كاملة وقاعدة صناعية عريضة . كان الهدف وقتها يبدو مستحيلًا — أو شبه مستحيل لدى المتفائلين .

وتخرّص المخرصون أيامها وشكّك المشككون . على أن أولئك الذين كانوا في وطيس المعركة التنموية لم يطف ببالهم أي شك ولم يخالج أذهانهم أي تردد . ولقد كان من قدري أن أكون في تلك المعركة مسؤولًا عن قطاعين من أهم قطاعات التنمية .

على أن المجال هنا ليس مجال الحديث عن التنمية[1] ، ولا عن ما قام به الشخص الذي كلف بأعباء الصناعة والكهرباء خلال تلك الفترة . حديثنا هنا يقتصر على الشاعر . ولقد وجد شاعرنا نفسه خلال السنتين الأولتين من الوزارة يعيش نشوة لا تكاد تعادلها نشوة : نشوة التحدى ، نشوة الانجاز ، نشوة الرحلات الرسمية ، نشوة المؤتمرات الصحيفة ، نشوة الخطب . ولعله من الطبيعي في بداية كل عمل مثير ، كالوزارة ، أن تكون الأيام الأولى مليئة بهذا الشعور السحرى . كان صاحبنا يبدأ يومه العملي في الثامنة ولا ينهيه إلا قبيل منتصف الليل — ويتمنى لو وجدت ساعات أكثر للعمل . إلا أنه مع مرور الأيام ، ثم الأعوام ، بدأ صاحبنا يتساءل عن جدوى هذا الارهاق كله . بدأ ينظر إلى المشاكل التي سببها العمل في علاقاته مع الكثيرين ، بدأ يراجع ثمن الإنجاز . تأثيره على الصحة وعلى الحياة العائلية (كانت تمر به أحياناً عدة أيام دون ان يرى أولاده) . ظل الجهد كما كان ، ولكنه أصبح جهداً يثيره الواجب بدلًا من أن تحفزه النشوة .

هذا الشعور بالإرهاق ، وهو شعور متناقض لأنه يحمل في ثناياه الحب ونقيضه ، ينعكس في عدد من القصائد . هناك على سبيل المثال ، قصيدة « فيم

---

(١) بإمكان القراء المهتمين بالتنمية الرجوع إلى غازي عبد الرحمن القصيبي **التنمية وجهاً لوجه** تهامة — جدة ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م الطبعة الأولى .

العناء »[1] وقد كتبتها في الطائرة عائداً من مهمة رسمية شاقة متوجها إلى أخرى أشق منها . خيّل إليّ وقتها ، أن حياتي بأكملها أصبحت مهمة رسمية :

وكل الوجوه
تطاردني عند كل وداعْ
تلاحقنى عند كل لقاءْ
سواءْ
ففيم العناءْ ؟
ففيم العناء ؟

وفي قصيدة « بسمة من سهيل »[2] هناك تساؤل عن جدوى الصراع الدائب :

وعدت يا سلمى
ممزّقاً بعد العناء الشديدْ
لن أدرك الحلما
ففيم أمضى في صراعى العنيدْ ؟

حتى النجاح ، بالمقاييس المعتادة ، وما يصاحبه من شهرة ونفوذ وجاه ومال يتحول إلى علامة استفهام كبرى كما جاء في قصيدة « امام الأربعين » :

« نجحت » يقول بعض القوم عنّى
وعُـدت تَخُبُّ بالفـوز المبينِ
« وأعطتك الحياة .. فمن شمالٍ
سقتك كؤوسها .. ومن اليمينِ »
وأعجب ما النجاح .. عذاب روحي ؟
وعربدة السهاد على جفونى ؟[3]

---

(١) الحمىّ ص.ص. ٩٣—٩٧ .
(٢) الحمىّ ص.ص. ٢٧—٣٠ .
(٣) الحمىّ ص.ص. ١٦٥ .

هناك محور صغير ثان هو قصائد الأبوة . هناك قصيدة عن ابنتي يارا ، وقصيدة عن ابني سهيل ، وقصيدة عن ابني فارس ، إلا أن القصائد الثلاث ترتبط بتجارب أخرى غير تجربة الأبوة والبنوة . في قصيدة « يارا والرحيل »[1] يتحول حب الابنة إلى رغبة في العمل الجاد للمساعدة في بناء مستقبل أجمل لها ولزميلاتها :

أبوك .. في المكتب لما يزلْ
يهفو إلى الطيب والأطيبِ
يصنع حلماً خير أحلامه
ان يسعد الأطفال في الملعبِ
من أجل يارا .. ورفيقاتها
أولع بالشغل .. فلا تغضبي

وفي قصيدة « بسمة من سهيل » شعور بضرورة التشبث بالمثالية :

وذاك ــ لو يدري ! ــ
لبسمةٍ ساحرة من سهيل[2]

أما قصيدتي عن فارس « يا أهلا بك » فقد كتبت أثناء الزيارة المشؤومة وقد خيل لي وقتها انه لم يبق ثمة أمل إلا في الأطفال :

يا أهلًا بك في زمن الأفّاقين
الكذابين المرتدّينْ
من بصقوا في جرح فلسطينْ
من ساقوا لفراش هولاكو
كل بنات صلاح الدينْ
ورموا حطّينْ
للبيع بسوق النخاسينْ
يا أهلًا بك في زمن الجوع إلى الأبطالْ

---

(١) الحمّى ص.ص. ٨١ــ٨٤ .
(٢) الحمّى ص.ص. ٣٠ .

في زمن الكافر والدجّـالْ
في زمنٍ لم يبق نقى فيه
غيـر الأطفـالْ[1]

وهناك محور الحب . والحب الذي تتحدث عنه قصائد **الحمىّ** ، في الغالب الأعم ، حب رفيق رقيق تخلص من حرمان المراهقة ومن عنف الصبا . الحب هنا ، دائماً ، مصدر رقة وحنان .« يبعثرني الشوق حين تغيبين فوق الجبال وتحت البحار »[2] بدون الحبيبة يصعب على الشاعر مواجهة الحياة :

قفى — لا تحرميني والليالى
نصال في ضلوعى — من سلاحي[3]

وهي تعطي كالبحر[4] . وتستطيع ، بحبها ، أن تحقق ما يشبه المعجزة : أن تعيد الطفل القديم :

أحرقي روحىَ بالشوق فقـدْ
ينجلى الثلج الذي يغزو صميمي
طهّرى قلبى بالحب فقـد
يولد الطفل المسجّى في هشيمى[5]

ثمة كلمة عن قصيدة « **الحمىّ** » التي سميّت الديوان بإسمها (وهي من بحر الرجز الذي قل استعماله هذه الأيام في الشعر التقليدي بقدر ما زاد في الشعر الحديث !) . لقد كانت معركة التنمية الشاملة التى خاضتها المملكة تجربة إيجابية حققت نتائج مذهلة ، تكاد تكون خرافية ، إلا أنها ، كأي عمل بشري ، لم تخل من سلبيات . ولعل أول السلبيات النزعة المادية الشرهة التى لا يشبعها شيء . لقد تحدثت في محاضرة عن التنمية عن هذه الظاهرة :

---

(١) **الحمىّ** ص.ص. ١٢٢—١٢٣ .
(٢) **الحمىّ** ص.ص. ٢١ .
(٣) **الحمىّ** ص. ١١٠ .
(٤) **الحمىّ** ص. ١٦٩ .
(٥) **الحمىّ** ص. ١٩٢ .

إنني ألاحظ ، وأرجو أن أكون مخطئاً ، أننا نوشك أن نتحول شيئاً فشيئاً إلى مجتمع من أفراد متوترين نفسياً نسوا طعم القناعة وطعم الرضا ، وبالتالي طعم السعادة . لا أكاد أرى أحداً خارج المكتب أو داخله إلّا وهو يعاني شعوراً حاداً بالكآبة . ولا أكاد استمع إلّا إلى المطالبة اللحوح أو الانتقاد اللاذع أو التذمر المرير . لقد فقدت الأشياء التي كنا نستمد منها شعورنا بالسعادة معانيها وتحولت إلى مشاكل .. تلك اللمسات الانسانية التي كانت ملمحاً أصيلًا جميلًا من ملامح حياتنا بدأت تتلاشى الواحدة بعد الأخرى وقرانا تتحول إلى مدن ، ومدننا تتحول إلى أحراش من الحديد والأسمنت[1] .

هذه هي الظاهرة التي تتحدث عنها قصيدة الحمىّ . القصيدة بلسان المتكلم وتعبر عن معاناة شخصية إلا أنه يمكن في بعض مقاطعها ان نتصور الحديث صادراً من مجتمع يحن ، ببعض قلبه على الأقل ، إلى ماض أكثر بساطة :

هل تذكرين الآن ؟ ذكريني
براءتي في سالف القرون[2]

ويشكو النهم الجديد الذي لا يرويه شيء :.

يمنحني المال .. ولا يغنيني
يسكب لى الماء .. ولا يرويني[3]

تنتمى قصائد الديوان ، شأن الدواوين السابقة ، إلى الشكلين التقليدي والحديث مع تفوق عددى بسيط في صالح الأول . هناك قصيدة واحدة هي «المومياء» متحررة من القوافي تماماً . وكما كان الشأن في القصائد المماثلة في الماضي وجدت أن هذا الشكل يحقق قدراً أكبر من الحرية في استقصاء التجربة غير أنه يحرم القصيدة جزءاً لا يستهان به من موسيقيتها . ولعل هذا الشكل أصلح ما يكون لتصوير التداعي النفسي المتلاحق الذي ينتقل من فكرة إلى أخرى بسرعة لا تتيح للقوافي متابعتها . كما أنني جربت في هذا الديوان تجربة الترجمة شعراً فهناك قصيدة

---

(١) « أوهام واضغاث أحلام في ملحمة التنمية » **التنمية وجهاً لوجه** مرجع سابق ص.ص. ١١٤ــ١١٥ .

(٢) — (٣) **الحمىّ** ص. ١٦ . انظر ما يلي ص. ٢٨٦ .

لبيرون[1] وهناك مقطوعات شعر يابانية مترجمة عن الانجليزية[2] وقد أعود إلى هذا اللون مستقبلًا اذا عثرت على قصائد تقبل الترجمة شعراً . بعد خبرة لابأس بها في هذا المجال وجدت أن الندرة النادرة من القصائد هي التي تقبل الترجمة شعراً إلى لغة أخرى دون أن تفقد أهم أسرار روعتها .

بقيت كلمة عن وسيلة إيصال الشعر إلى الجمهور . لقد نشرت مؤسسة تهامة ديوان **الحمىّ** عبر طبعتين متلاحقتين . بيعت من الطبعة الأولى قرابة خمسة آلاف نسخة . ولما نفدت الطبعة الأولى اقترح عليَّ الصديق الأستاذ محمد سعيد طيب العضو المنتدب في مؤسسة تهامة ، أو لعلني اقترحت عليه ، أن تحتوي الطبعة الثانية على شريط « كاسيت » يحتوى على قصائد مسجلة بصوتي . وهذا ما كان . وبيع من الطبعة الثانية ثلاثة أضعاف ما بيع من الطبعة الأولى . لابد ، والحالة هذه ، أن يكون « للكاسيت » دخلٌ في زيادة المبيعات . ولعل هذا النجاح هو الذي دعا الأستاذ محمد سعيد طيب إلى اقتراح « طبعة ثالثة » تسجّل بأكملها على شريط « فيديو » . إلا أنني طلبت مهلة للتفكير . ولا ازال أفكر (من يريد ان يشاهدنى ألقى قصائد ديوان كامل ؟!) . على أنه بصرف النظر عن تجربتي الشخصية فلقد بدأت أقتنع أن على الشعر ان يتسلل إلى قلب هذا العصر عن طريق المسجّل والفيديو بدلًا من أن يظل رهين الدواوين . لا بل أنني أوشك أن أذهب أبعد من ذلك فأقول إنني أرى ان مستقبل الشعر متوقف على نجاحه في الإفلات من دفّتى الديوان وتغلغله إلى داخل الفيديو الذي يقبع في منزلك .

---

(١) **الحمىّ** ص.ص. ١٢٧—١٢٨ .

(٢) **الحمىّ** ص.ص. ١١٥—١١٨ .



الفصل التاسع

العودة إلى الاماكن القديمة



سمراء ! هل يرجع الماضي .. اذا رجعتْ
رؤاه .. تخطر بين القلب والهُدبِ ؟

وهل يعود إذا عدنا له زمنٌ
من البراءة .. منقوشٌ على الحقبِ ؟

وهل أعود صبّياً كله خجلٌ ؟
وهل تعودين بنتاً حلوة الشغبِ ؟

وهل تعود مكاتيبٌ بلا أملٍ ؟
تجرنـــا لمواعيــــدٍ بلا أربِ ؟[1]

(١) « اغنية حب للبحرين » **العودة إلى الأماكن القديمة** ــ دار الصقر للنشر البحرين ــ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ص.ص. ١٣٨ــ١٤٥ .



يكاد ديوان **العودة إلى الأماكن القديمة** أن يكون جزءاً ثانياً من ديوان **الحمّى** . بل اننى لا أعرف أى ديوانين من دوواويني يتشابهان كما يتشابه هذان الديوانان . لقد كتبت معظم قصائد الديوان ، باستثناء اربع قصائد تعـود إلى مرحلة سابقة ، **ما** بين سنىّ الثانية والأربعين والخامسة والأربعين . وكما كان الشأن فى **الحمّى** فان المحورين الرئيسين هما الأزمة النفسية المتصلة بالعبور إلى الكهولة ، وأزمة التمزق العربي الذي تبع مأساة السلام المنفرد ، بالاضافة إلى محاور فرعية عديدة .

على أننى أتصوّر أن قصائد هذا الديوان تتحدث عن التجربتين بشكل أكثر حدة وإلحاحاً من قصائد **الحمّى** . من ناحية ، لم تعد مفارقة الشباب مرحلة توشك أن تحين ، بل أصبحت مرحلة جاءت واستقرت . ومن هنا يبدو الحنين إلى الطفولة ، وإلى الأماكن القديمة ، أوضح وأعمق وأكثر تفصيلاً منه فى أى ديوان

بدأ يظهر على نحو لا يستطيع أشد المتفائلين أو أشد المكابرين إنكاره . وزاد الطين بلة ، الأقتتال العربى المخيف الذى ظهر في هذه المرحلة بعنف وضراوة لم يسبق لهما مثيل فى التاريخ العربى المعاصر . وانعكس هذا كله على القصائد الوطنية التى تضمنها الديوان .

يبدو الحنين العنيف إلى الماضي فى عدد من قصائد الديوان . ولعله لا يبدو بكل أبعاده وآماده كما يبدو فى قصيدة « **العودة إلى الأماكن القديمة** »[1] لقد تصور البعض أنى كتبت هذه القصيدة فى البحرين على إثر عودتى للعمل سفيراً للمملكة فيها سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) . إلا أنها في حقيقة الأمر كتبت قبل ذلك بسنتين عندما دعتنى وزارة الاعلام البحرينية لإحياء أمسية شعرية فى البحرين ، كانت الأولى فى قرابة عقدين من الزمان . شعرت وقتها أن الماضى يعود إليّ بكل

---

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٥ — ١٥ وانظر ما يلي ص. ٢٩٣ .

أوجاعه وأفراحه ، الأزقة ، الشخصيات التى تسكنها ، تجارب الحب البرىء الأول ، أيام اللهو ، الصيد فى البحر ، كل هذا عاد ليسكن أبيات القصيدة التى رأيت أن أعطى الديوان إسمها . والحنين إلى الماضى ينتظم عدداً من القصائد الأخرى « يارا والشعرات البيض »[1] و « نفر .. فديتك ! »[2] و « تباريح البئر القديمة »[3] .

بل أن التجربة « الأربعينية » أدت إلى أن تتكرر كلمة « الأربعين » مع كل قصيدة من قصائد الحنين إلى الماضي . فى « يارا والشعرات البيض » :

يا دميتى حاصرتنى الأربعون مُدىً
مجنونة .. وحراباً أدمت العُمرَا ![4]

وفى قصيدة « العودة إلى الأماكن القديمة » :

عدت كهلاً تجره الأربعونَ

وفى قصيدة « أغنية حب للبحرين » :

الأربعون غضون خطّها قلمٌ
من الشجون .. وتاريخ من النصب[6]

وفى قصيدة « الموت حباً » :

والأربعون عويلٌ ملء أوردتى
وفى شفاهى .. يبكى الصيف واللبنا[7]

وفى قصيدة « الموعد » :

وتساقطت عنى السنون .. كأننى
فى الأربعين رجعت طفلاً يولدُ[8]

---

(١) العودة إلى

(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص

(٣) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٨٣ — ٨٨ .

(٤) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٢٠ .

(٥) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٥ .

(٦) العودة إلى الأماكن القديمة ص ١٤١ .

(٧) العودة إلى الأماكن القديمة ص ١٣٢ .

(٨) العودة إلى الأماكن القديمة ص ١٠٩ .

من الواضح أنه إذا كانت التجربة « الأربعينية » قد بدأت مع **الحمى** فإنها قد وصلت أوجها ونضجها فى **العودة إلى الأماكن القديمة** . ولعل هذا هو المكان الأنسب لأن أطمئن الأصدقاء والقراء الذين بدأوا يسأمون ذكر الأربعين أنه لم يعد الآن مجال للحديث عن الأربعين وقد تجاوزتها بسنوات .

كما أن الهموم العربية تشكل المحور الرئيسى الثانى فى الديوان . فى « **بنت الرياض** »[1] التى كتبتها إبان احتفال جامعة الملك سعود (الرياض) بمرور ربع قرن على إنشائها ، يكاد التمزق العربي أن يكون أهم ملامح القصيدة :

طاف الهوان بنا كأسا .. ونشربها
ولا نفيق ... وبئس الذل صهباءَ
يستأسد القزم السفاح يوسعنا
ذبحاً .. ونوسعه لثماً وإطراءَ
من « دير ياسين » والتقتيل حرفته
لم يبق طفلاً .. ولم يستبق عذراءَ
ونحن حرفتنا موتٌ .. كأن لنا
عهداً مع الموت أن نرضاه أحياءَ[2]

« نهر من الدم »[3] تصور المذابح العربية التى تواكب الاقتتال بشكل منفعل وحاد ومباشر . « مرثية الناى والريح »[4] ترثي بالإضافة إلى خليل حاوي ، الشاعر العربي المأساوى العظيم ، لبنان الجميل الذى ذهب مع الريح :

أو ما طالعته « نهر الرمادْ »
يغمر القمر من حنين والسفح ..
بأرتال الجرادْ ؟
فإذا جاء الحصادْ
لم نجد غير الدموعْ

---

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٤٢ — ٤٩ .

(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٤٨ .

(٣) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٧٤ — ٧٩ .

(٤) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٥٩ — ٦٤ .

أيها المفتون بالبيدر
فى « البيـدر جوع »
وجواسيس .. وغربان .. ورعب وحبائلْ[1]

كما أن قصيدة « شعرنا موتنا »[2] لم تكن رثاء للشاعر العربي العظيم أمل دنقل فحسب ، بل كانت بكاء على ذهاب الصمود العربي :

يا زمان الهمومْ !
كيف يحلو الغناءْ
وعلى الروض بومْ
ناعقٌ : يا كليبُ !
لم تمت كالرجالْ
مُتَّ موتَ الإماءْ[3]

وإذا كان شبح الواقع العربي المهلهل قد تسلل ، بعلمي أو دون أشعر ، إلى قصائد الرثاء فان شبح الأزمة الأربعينية قد تسلل ، بشكل أوضح ، إلى قصائد الحب . بل أن هذه الأزمة تشكّل فى بعض القصائد التجربة الاساسية ، التى يبدو الحب بجانبها تجربة فرعية .

فى « نفر .. فديتك ! » تصبح الحبيبة المعبر إلى الماضى الجميل الذى ذهب .

وهاتى من الرف سيارتينْ
ستغلب سيارتى فى السباق
بطرفة عيْن
وهاتى الدمى .. سوف
نختار من بينها طفلتينْ
ونبنى من الرمل ارجوحتينْ
ونغرق .. نغرق فى ضحكتينْ[4]

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٦١ — ٦٢ .
(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ١٠٢ — ١٠٦ .
(٣) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ١٠٤ — ١٠٥ .
(٤) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٣١ وانظر ما يلي ص ٢٩٩ .

وفي « أغنية في ليل استوائى » هناك مفارقة واضحة بين صبا الحبيبة وكهولة الشاعر :

فيا لؤلؤتى السمراء ! ...
ما أعجب ما يأتى به القدرُ
أنا الأشياء تحتضرُ
وأنت المولدُ النضرُ[1]

وفى « الموعد » تمثل الحبيبة الصبا الضائع نفسه :

ما الأربعون ؟ وما هموم خريفها ؟
إن السراب على الندى يتبددُ[2]

بل إنه يمكن القول انه ما من قصيدة حب فى هذا الديوان لا يداخلها ، بشكل أو بآخر ، الحنين إلى الشباب أو الفزع من المشيب .

والحب هنا ، شأنه شأن الحب فى **الحمىّ** ، رفيق رقيق . فهو يسحر ضمير القفار فيبلل أقدام الحبيبين بالعشب[3] . والحبيبة تلوح « عبر ازدحام الفنادق خلف زجاج الحوانيت »[4] . وهى التي تضمد « هموم النهار وذلّ المساء وشوك القنافذ »[5] . إلا أنه بالإضافة إلى هذا الحب الذى كان ، هناك تساؤل عن الحب الذى كان يمكن أن يكون :

ماذا سيكونْ
لو أنى أسلمت العقل لجنيات
القلب المفتونْ
لو انى بعت الحاضر والماضي
ببريق عيونْ
لو أنك عانقت الحب دقائق

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٩٥ .
(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ١٠٩ .
(٣) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٢٩ .
(٤) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٥٢ .
(٥) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٧٢

نلمس فيها قاع البركانْ
نعرف فيها
كيف يموت ويحيا الإنسانْ ؟[1]

بالإضافة إلى حديث عن الحب الذى لا يمكن أن يكون :

يا صديقةْ !
أتريدين الحقيقة ؟
أنا لم أبصر هنا الأنثى ...
رأيت الشاعرةْ
أنت ما أحببتنى ...
أحببت أنت **الظاهرةْ**[2]

وأعتقد أننا نستطيع أن نتبين فى هذا الديوان محوراً جديداً هو الألم . صحيح أن الألم ، باعتباره رفيق التجربة الإنسانية ، **كان ينفجر** فى أكثر من قصيدة فى أكثر من ديوان سابق . إلا أنه فى هذا الديوان يكتسى طابعاً من الحدة والحرارة . ولعلّ بالإمكان ان نرجع الألم الجديد هذا إلى تجربتى القصيرة المثيرة وزيراً للصحة بين عامى ١٤٠٣ ــ ١٤٠٤هـ (١٩٨٣ ــ ١٩٨٤م) . هذا العمل وضعني ، **وجهاً لوجه ، أمام مشاهد من العذاب لا يراها الإنسان عادة إلا في الروايات السينمائية أو في القصص . لا يهمنى هنا ماذا فعل وزير الصحة أو لم يفعل ، ما أنجز ،** إن كان أنجز شيئاً ، أو لم ينجز . الذى يهمني أن الشاعر الذى يعيش تحت ثياب الوزير تعذب خلال تلك الفترة عذابا نفسياً لم يعرف له مثيلاً من قبل .

كنت أزور المستشفيات ، بصفة شبه يومية ، وأعود ، فى كل مرة ، محملاً **بزاد من الدموع والآهات . ولعل أقسى مشهد كان مشهد الشباب المصابين بالشلل في حوادث السيارات . كثيراً ما كنت أخرج من العنبر قبل الطواف بجميع** الأسرة حتى لا أبكي عليهم أمامهم . كما كانت زيارة المرضى فى المستشفيات النفسية بدورها من التجارب القاسية المريرة التى كانت كثيراً ما تنتهى بي فى ليلة من الأرق المتواصل حتى الصباح . لا شك أنه من الخطأ أن يسمح إنسان لمشاعره

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٤٠ ــ ٤١ .
(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ١١٨ .

أن تتدخل فى عمله على هذا النحو ، إلا أن ذلك كان أمراً ليس لى خيار فيه . وإذا نظرت الآن إلى تلك الفترة أمكننى القول ، دون أى مبالغة ، أننى لا أعرف فى حياتى كلها فترة مملوءة بالمعاناة اليومية الحادة كتلك الفترة .

دون أن أشعر ، وقتها ، تسللت تلك التجربة الحزينة إلى كل القصائد التى كتبتها في تلك الشهور ، حتى قصائد الفرحة بالحب . فى قصيدة « أغنية فى ليل استوائى » تطفو كلمة الأسقام مباشرة من العقل اللاواعى :

أتيتك ...
صحبتى الأوهام والأسقام
والآلام والخورُ
ورائي من سنين العمر ..
ما يعيا به العمرُ
قرون كل ثانية
بها التاريخ يختصرُ
وقدامى
صحارى الموت تنتظرُ[1]

وفى قصيدة « الموعد »:

ورجعت للدنيا أجرّ كآبتي
خلفي .. أقوم مع الجموع وأقعدُ
أخفيتُ عن كل العيون مواجعي
فأنا الشقيّ على السعادة أحسدُ
وأنا العليل أجس أدواء الورى
وأنا المرقط بالجراح .. اضمّدُ[2]

ولا أعتقد أن هناك أية غموض يلف التجربة التى ولد منها البيت الأخير .

وفى « شاعرة » :

---

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ٩٦ .

(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ١١١ .

تتسلين بنقش الصفحات العاطرةْ
وأنا أسكن فى يأس الجراح الغائرةْ
أنت لا تدرين ما الحزن ..
ولا عرس المعاناة ..
ولا حلم النفوس الصابرةْ
أنت لا تدرين ما الحبّ ..
ولا كيف يكون العشق ..
درب الآخرةْ[1]

وكما كان الشأن في الماضي ، فالشكلان القديم والحديث يتقاسمان ، بالقسطاس ، قصائد هذا الديوان . ويبدو أننى سأظل أكتب بعض قصائدى شعراً تقليدياً وبعضها شعراً حديثاً ما دمت أكتب . وكالعادة هناك قصيدة متحررة من القوافى تماماً « غريب !. غريب !. غريب »[2] (بالإضافة إلى قصيدة أخرى قصيرة كتبت فى مرحلة سابقة)[3] . وكالعادة ، انقسم القراء ، أو معظمهم ، إلى أولئك الذين يتذوقون الشعر التقليدي وينصحوننى بالابتعاد عن « العبث » الجديد ، وأولئك الذين يتذوقون الشعر الجديد وينصحوننى بالابتعاد عن « العبث » التقليدي .

فى هذا الديوان لمحات كثيرة من البيئة السعودية . هناك قصيدتان فى رثاء الملك خالد[4] ، رحمه الله ، وقد كان إنسانا قريباً إلى روحي شعرت يوم موته أننى فقدت أبي مرة ثانية . هناك قصيدة عن حائل[5] التى زرتها لأول مرة تلك الفترة . وهناك قصيدة تتغنى بانتصار « الجبيل » على تخرصات المشككين ومخاوف المتخوفين[6] . هناك قصيدة تستحق الوقوف لديها بعض الوقت : « تباريح البئر القديمة » (وقد كدت أسمى الديوان باسمها) .

---

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ١١٧ ــ ١١٨ .
(٢) العودة إلى الأماكن القديمة ص ص ٦٨ ــ ٧٣ .
(٣) العودة إلى الأماكن القديمة « فى الظلام » ص ص ١٣٥ ــ ١٣٦ .
(٤) العودة إلى الأماكن القديمة « واخالداه » ص ص ٨٩ــ٩٢ « سلاماً .. يا أبا بندر » ص ص ١٢٣ــ١٢٩ .
(٥) العودة إلى الأماكن القديمة « حائلية » ص ص ٩٩ ــ ١٠١ .
(٦) العودة إلى الأماكن القديمة « جبيل ! » ص ص ١١٩ ــ ١١٢ .

تتحدث القصيدة عن بئر مهجورة فى الصحراء لم تعد **تزورها القوافل** ولا فرسان القوافل :

وأين رفاق القدامى ..
رفاق الرَحل بين الأراك
وعبر الخزامى
وأين عباءة « راكان »
أين ابتسامة « مزنة »
أين اصطفاق الدلال .. وهمس الندامى ؟

وقد رأى ناقد كريم فى القصيدة دعوة مرفوضة إلى « البداوة » إلا أن الناقد ، على ما يبدو ، لم يستطع أن ينفذ إلى ما وراء الألفاظ . التجربة هنا تجربة شخصية صرف من ناحية : نفس الشاعر بئر مهجورة تحن إلى عهدها القديم . كما أنها من ناحية أخرى تجربة المجتمع الذى يرى كثيراً من أشيائه القديمة تضيع فى طوفان من أشياء جديدة . ليس للقصيدة ، فى حقيقة الأمر ، علاقة ببداوة أو حضارة .

لقد قال لي بعض الأصدقاء ، وبعض النقاد ، أنهم تبينوا فى قصائد **العودة إلى الأماكن القديمة** بداية مرحلة جديدة فى شعرى تختلف عن كل المراحل السابقة . والحق أقول انى حاولت ، جاهداً أن أتلمس ما يدعم هذا الرأى فى **قصائد الديوان فلم أستطع** . على أية حال ، إذا كان الديوان **يضم شعراً حقيقياً فهذا يكفي : ويستوى عندى أن يكون من « الصنف القديم » أو من « صنف جديد » والحكم ، في البداية والنهاية ، للقراء وحدهم .**



الفصل العاشر

عن طبيعة الشعر

وتـــرٌ في اللهـــاة ما للمغنـــي
من يد في صفائـــه أوليانـــــه

شوقي



إنني أعتبر كوني شاعراً حقيقة من أهم حقائق وجودي كإنسان ، ولكنني لا أعتقد أن هذه الحقيقة تمثل كل معاني وجودي كإنسان . إنني ، كبقية البشر ، ظاهرة مركبة ذات جوانب متعددة وليس كوني شاعراً سوى جانب واحد منها . لقد قال لي الصديق الأديب الدكتور محمد جابر الأنصاري مرة إن « مشكلتي » أنني لا أعتبر الشعر حياتي كلها وأنني شاعر « هاو » أو « غير متفرغ » وقال لي إن الشاعر ، لكي يكون شاعراً عظيماً ، يجب أن يعتبر وجوده كله مسخراً لقضيته الأساسية ، وهي شعره . إنني بالتأكيد لا أنظر إلى الشعر نظرتي إلى هواية كجمع الطوابع أو التحف أو لعب الشطرنج ولكنني ، بالتأكيد أيضاً ، أرفض أن أختزل وأختصر وأصنّف في كلمة واحدة هي كلمة شاعر .

من هنا فإنني أعتقد أنني في نظرتي إلى الشعر أكثر موضوعية من الشعراء « المحترفين » الذين لا يتصورون لأنفسهم أي معنى خارج اطار الشعر . بل ربما كنت أكثر موضوعية من النقّاد المنقطعين لدراسة الشعر وتحليله . هؤلاء وأولئك ، بمنطق الأشياء ، يضفون أهمية مبالغاً فيها على الشعر وعلى مكانه في سنن الحياة ونواميس الوجود .

إن الشعر ، منظوراً إليه من زاوية معينة ، ظاهرة قديمة ثابتة عرفتها كل الشعوب المتمدنة والأمم المتحضّرة عبر مراحل تاريخها المختلفة . والشعر يغني الروح البشرية شأنه شأن بقية الفنون الجميلة كالرسم أو الموسيقى . والشعر ، بالنسبة للشاعر ، رئة يتنفس من خلالها ، وبالنسبة للقراء عالم جميل من النشوة والظلال والألوان . هذا كله صحيح وباستطاعتنا أن نقيم عليه الأدلة والبراهين . ولكننا ، من ناحية أخرى ، لا نستطيع أن ننكر أن الغالبية الساحقة من بني البشر عاشت وماتت دون أن تسمع كلمة واحدة من الشعر .

ولا نستطيع أن ننكر أن أعظم شاعر أمريكي أو أوروبي أو عربي اليوم لا يستطيع أن يبيع من ديوانه سوى بضعة آلاف من النسخ . ولا نستطيع أن ننكر أننا إذا نظرنا إلى المؤثرات الأساسية في التطور السياسي والفكري والاجتماعي اليوم وجدنا أن من المستحيل أن نعد الشعر أحد هذه المؤثرات ، سواء على مستوى البشرية ككل ، أو على مستوى عالمنا العربي .

إن الشعر اليوم أعجز من أن يشكل أثراً يذكر في تطور المجتمعات . وسبب هذا العجز لا يتعلق بطبيعة الشعر ولكنه يتعلق بطبيعة المجتمعات المعاصرة . مجتمعات اليوم تعرف الصحف والاذاعات والتلفزيون والسينما والفيديو ومباريات كرة القدم وتتجاوب معها على نحو لا يترك مجالا للشعر . ومن هنا فإن الشعراء الذين يحلمون بتغيير مجتمعاتهم عن طريق الشعر ، والنقاد الذين يحثونهم على ذلك ، يضربون في واد من المنى الجميلة البعيدة عن الواقع .

على أننا يجب ألا نخلط بين عجز الشاعر ، كشاعر ، عن التأثير في الظواهر الاجتماعية والسياسية ، في ضوء الظروف الحالية ، وعن حقه الأكيد في أن يتعرض لها كما يتعرض لبقية ظواهر الحياة . المهم أن يدرك الشاعر أن الحديث عن قضية سياسية لا يعني بالضرورة إنتاج أثر سياسي فعّال يمسّ هذه القضية . إن الشاعر الذي يعتقد أنه بمجرد كتابة قصيدة عن فلسطين ساعد على تحرير فلسطين شاعر يخادع نفسه . ليكتب الشعراء المعاصرون عن ما شاؤوا من قضايا ولكن يحسن بهم أن يتذكروا أن أشعارهم لن تغير ، فى حد ذاتها ، من طبيعة هذه القضايا . هذه حقيقة معاصرة ولكن الأمور لم تكن دائما على هذا النحو في الماضي ، وقد لا تكون على هذا النحو في المستقبل .

عندما يأتي اليوم الذى يحفظ فيه الأطفال أسماء الشعراء كما يحفظون أسماء لاعبي الكرة ، عندما يأتي اليوم الذى يبيع فيه شاعر ما ملايين النسخ من ديوانه ، عندما يأتي اليوم الذى نشاهد فيه الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية مكتوبة بالشعر ، نستطيع عندها أن نتحدث بثقة عن التأثير السياسى والاجتماعي للشعر .

وحتى يحين ذلك اليوم سيبقى الشعر وسيلة من وسائل المتعة الروحية والإثراء الذهني ، لا أكثر من ذلك ولا أقل .

إنني أعجب من الذين لا يكتفون من الشعر بذلك . ألا يكفي أن أفتح ديوان المتنبي اليوم بعد ألف سنة من وفاته فأقرأ أشعاره وأشعر بنشوة روحية غامرة ؟ ألا يكفي أن يقرأ إنسان قصيدة كتبتها فيشعر بتعاطف قوي مع التجربة البشرية التي تختفي وراء القصيدة ؟ لماذا نصرّ على أن يكون الشعر مجرد وسيلة نحو غاية أكبر كائنة ما كانت هذه الغاية ؟ إن الذين يصرون على « دور » للشعر يسيئون إلى الشعر من حيث يعتقدون أنهم يحسنون . ليس للشعر دور منفصل عن وجوده كشعر ؛ الشعر غاية في حد ذاته . الشعر يحقق كل أهدافه لمجرد أنه شعر .

إن الشعر ، من حيث المبدأ ، ظاهرة محايدة — كالموسيقى . ليس هدف الشعر إعادة تكوين العالم وليس هدف الشعر إبقاء العالم كما هو . هناك شعراء كتبوا شعراً ثورياً وهناك شعراء آخرون تغنوا بالوضع القائم . هناك شعراء يمينيون وشعراء يساريون ، شعراء مناضلون وشعراء قاعدون ، شعراء مخلصون وشعراء خائنون . أما الشعر ، في حد ذاته ، فلا يعرف اليمين ولا اليسار ولا يعترف بالشعارات السياسية : الشعر هو ذلك الكلام السحري الجميل . يتحدث الشعر عن الأطفال وعن الأبطال ، عن البشر وعن الحيوانات ، عن الانتصارات وعن الانهزامات ، ويبقى شعراً . ونحن نهين الشعر إذا تصورنا أنه « يرتقي » عندما يتحدث عن الأمور العظيمة و « ينحدر » عندما يتحدث عن الأمور التافهة . لا يوجد ، في نطاق الشعر ، مواضيع عظيمة ومواضيع تافهة . يوجد شعر ولا شعر . لقد احتفظ تاريخنا الشعري بقصيدة كتبت في رثاء هرّ وأهمل قصائد قيلت في الوجهاء والأعيان .

إن كثيراً من الخلط المتعلق بالشعر ينبع ، في رأيي ، من النظر إليه بمنظار غير منظار الشعر ذاته . إذا نظرنا إلى الشعر بمنظار سياسي وقعنا في ورطة : لا بد لنا أن نستبعد من نطاق الشعر أشعاراً معينة لأنها لا تتمشى مع أهدافنا السياسية . وإذا نظرنا إلى الشعر بمنظار أخلاقي وقعنا في ورطة أخرى : لابد لنا أن نستبعد من

نطاق الشعر الأشعار التي تتعارض مع قيمنا الأخلاقية . وإذا نظرنا إلى الشعر بمنظار الفلسفة وقعنا في ورطة ثالثة . وهلم جرا .

ومن هنا ندرك شطط الذين يطالبون الشعراء بأن يكونوا قادة الفكر والرأي وضمير البشرية الحيّ . إن الشعراء ليسوا أكثر ذكاء ولا أكثر حكمة ولا أكثر أخلاقية ولا أحدّ بصراً ولا أرق إحساساً من غيرهم من البشر . كل ما يميز الشعراء عن سواهم هو أنهم يحملون في ضلوعهم تلك الكيمياء العجيبة التي تنتج شعراً . ولقد كان العرب في الجاهلية على علم أكيد بهذه الحقيقة . ولهذا فإنهم عندما جُوبهوا بمعجزة القرآن كان ردّهم عليها أن القرآن شعر وأن النبي ﷺ شاعر . كان العرب يدركون أن الشاعر ، من حيث أنه شاعر ، لا يتطلّع إلى ما وراء كتابة الكلام الجميل والمجد الذي يتبع كتابة هذا الكلام الجميل . وكان رد القرآن عليهم ردّ من يعرف موقفهم تمام المعرفة . أجابهم القرآن أن الشعراء « في كل واد يهيمون » وهم بالفعل يتحدثون عن تجارب مختلفة متباينة دون حرص على اضطراد منطقي ودون مبدأ ثابت أو منطلق واضح . والشعراء « يقولون ما لا يفعلون » وهم بالفعل يعتبرون القول غاية تغني عن الفعل . وليس الأمر كذلك مع صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

كما أنني أستغرب من الذين يتوقعون من الشعراء أن يلتزموا بمعايير سلوك تختلف عن المعايير التي يلتزم بها غيرهم من البشر . إننا لا نصاب بالدهشة عندما نرى الفرد العادي يصانع ويجامل ويغيّر رأيه حسب تغيّر الظروف والأحوال ، ولكننا نستغرب ونستنكر مثل هذا المسلك من الشعراء . لنأخذ المتنبي على سبيل المثال : لقد ألّفت كتب لا تحصى تتهم المتنبي بالنفاق والتذبذب والطموح الأعمى والانتهازية ولا يزال الجدل حول أخلاقيات المتنبي قائماً على قدم وساق . ولو كان المتنبي إنساناً عادياً تنقّل من سلطان إلى سلطان وذم ومدح وغيّر رأيه أكثر من مرة لما وجدنا في سلوكه أية غرابة ولما تحمسنا هذا الحماس العجيب لانتقاد تصرفاته . إننا نتوقع أن يكون الشاعر « مختلفاً » عن الآخرين وحقيقة الأمرهي أن « اختلافه » لا يتجاوز قدرته على قول الشعر أما فيما عدا ذلك فهو إنسان عادي معرّض لكل ما يتعرّض له الإنسان العادي من نوازع الضعف البشري وتقلبات الطبيعة الترابية . المتنبي شاعر عبقري ولكنه لا يجب أن يكون المثل الأعلى لأحد في سلوكه الشخصي . وأبو نواس شاعر مبدع ولكنه أسوأ معلّم يمكن أن نتصوره

للأخلاق والفضيلة . وعمر بن أبي ربيعة شاعر رقيق ولكن قضاء العمر بأكمله في مطاردة النساء الجميلات لا يجب أن يكون هدفاً لأي إنسان عاقل .

إنني أضحك عندما أرى الأسئلة التي توجّه إلى بعض الشعراء في المقابلات الصحفية . وكثيراً ما تذكّرني هذه الأسئلة بالأسئلة الموجهة إلى ممثلات السينما ممن لا يعرفن القراءة أو الكتابة تستطلع آراءهن في ظواهر علمية واجتماعية وسياسية معقدة . إن البعض يتصور أن الشاعر ، لمجرد أنه شاعر ، قادر على أن يتحدث في كل موضوع وأن نظراته إلى القضايا العامة أكثر عمقاً ونضجاً من غيره . إنني أضحك عندما أرى هذه الأسئلة وأضحك أكثر عندما أرى هؤلاء الشعراء ينساقون مع هذا الوهم فيحاضرون القراء المساكين في كل شيء من التاريخ إلى غزو الفضاء إلى الاجتماع إلى العلوم السياسية وهم في كثير من الحالات يهرفون بما لا يعرفون .

إنني أعجب لشاعر أوتي موهبة الشعر ، وهي موهبة ثمينة نادرة ، يحاول أن يثبت أنه أوتي بجانبها قدراً لا يستهان به من النفوذ السياسي والاجتماعي . شاعر يزعم أن قصائده كانت مفاتيح الانقلابات والثورات . وشاعر يزعم أن قصائده أعادت رسم المجتمع . وثالث يزعم أن آراءه السياسية لو اتبعت لكانت كفيلة بتحقيق الانتصارات . إن مثل هذه الادعاءات ، حتى ولو افترضنا صحتها ، لا تعني شيئاً في ميزان الشعر . إن أكثر الشعراء تأثيراً في الناس ليس بالضرورة أعظم الشعراء . قد نجد شعراً وسطاً يستطيع استثارة الجماهير وشعراً رائعاً لا يكاد يقرأه أحد .

أما أنا فأقول ــ مخلصاً ــ إنني لم أكن في أي لحظة من اللحظات مدفوعاً بأي هدف يتجاوز التعبير ، شعراً ، عما كنت أحسّه في تلك اللحظة . لم أكتب الشعر يوماً خدمة لخط سياسي معين ولم أكتبه هجوماً على خط سياسي معين . لم يكن هدفي من كتابة الشعر أن أغيّر نفسي أو أغيّر الآخرين . كان هدفي الوحيد أن أتحدث شعراً . لقد تركت أحداث الحياة المتعاقبة أثرها عليّ وعلى شعري كما رأينا في الصفحات الماضية ، ولكنني لم أشعر في أي يوم من الأيام أنني أردت من كتابة الشعر تحقيق أي هدف يتجاوز الشعر ذاته . لقد قيل في الحُطيئة إنه عبد من عبيد الشعر ، وأنا بدوري تابع بسيط من أتباع الشعر ، أما سادة الشعر فوضعهم يختلف بطبيعة الحال .

إن هناك تواتراً ، يكاد يبلغ الاجماع ، لدى من كتبوا عن شعري في تصنيفي ضمن الشعراء الرومانسيين . ولا أظنني بحاجة إلى أن أقول إن « الرومانسية » ليست أكثر التعابير دقة أو تحديداً . يقصد بالرومانسية ، أحياناً ، تلك الأشعار التي كتبت في أوروبا مع أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . وتستعمل « الرومانسية » أحياناً بمعنى انتقاصي لتشير إلى الأشعار « الذاتية » وإلى ما يسمى « الفن للفن » وتستعمل الرومانسية أحياناً بمعنى اصطلاحي للإشارة إلى أساليب وألفاظ واتجاهات تتكرر لدى مجموعة من الشعراء . كما تستعمل « الرومانسية » أحياناً بمعنى توفيقي لوصف الشعراء الذين يقفون في منتصف الطريق بين الكلاسيكيين والواقعيين . وكثيراً ما تستخدم الرومانسية لتعني هذا كله . إنني أترك مهمة تصنيفي للنقاد ولا أعتراض لدي على أن أصنّف ضمن فئة معينة ولكنني أريد أن أقول إن « التصنيف » يريح الباحث ويسهل مهمة الطالب ولكنه لا يقودنا بالضرورة ، إلى فهم أفضل للشاعر أو للشعر .

والتصنيفات تنقلب إلى خطر محقق على الشعر إذا اقترنت بحكم أخلاقي . إننا نسيء إلى الشعر إذا أصررنا على إدخاله في أحد الأقفاص الثلاثة « الكلاسيكية » و « الرومانسية » و « الواقعية » . غير أننا نجرم في حقه إذا اعتبرنا « الكلاسيكية » أفضل أو أسوأ من « الرومانسية » أو « الواقعية » . إن كل شاعر حقيقي يجب أن يكون كلاسيكياً ورومانسياً وواقعياً في الوقت نفسه . يجب أن يكون كلاسيكياً فيتحدث بلسان قومه وبالأسلوب الذي يفهمونه وبالموسيقى التي تعوّدت عليها آذانهم وبالكلمات التي يحتويها تراثهم . ويجب أن يكون رومانسياً فيعايش تجاربه معايشة شخصية ذاتية مباشرة بحيث تمتزج التجارب بالذات وتصبح كلاً واحداً لا ينفصل . ويجب أن يكون واقعياً فيعيش مع البشر ويستنشق هموم البشر ويلامس مشاكل البشر .

من نظرتي إلى « دور الشعر » وإلى طبيعة الشعراء انطلقت عدة مواقف عملية محددة . نظراً لاقتناعي بأن الشعر غاية في حد ذاته وليس وسيلة نحو غاية أكبر رفضت أن أجنّد شعري لخدمة أي قضية من القضايا . لا أذكر أنني كتبت قصيدة ما لأن أحداً اقترح عليّ أن أكتبها أو لاعتقادي أن جمهوراً ما سيقابلها بالاستحسان . ولقد خاب أمل كثيرين أرادوا أن أكون متحدثاً شعرياً باسم

قضاياهم وكثيراً ما اتهمت « بالذاتية » و « اللا التزام » و « العبث » . إن هذه التهمة هي ثمن استقلالي الشعري ، وهي لا تزعجني اليوم ، ولم تزعجني في يوم من الأيام .

ونتيجة اقتناعي بأن الشعراء لا يتميزون عن غيرهم من البشر بشيء سوى قول الشعر فإنني لم أحرص ، كما يفعل بعض الشعراء ، على التعرف على أكبر عدد ممكن من « زملاء الحرفة » . وأرجو ألا يفهم أحد أنني أنظر نظرة عداء أو شك أو ريبة إلى بقية الشعراء انطلاقاً من قاعدة « عدو المرء من عمل عمله » فهذا أمر لم يخطر لي ببال . كل ما أعنيه أنني لم أتعمد اصطناع المناسبة للتعرف على شاعر ما . لقد جمعتني الظروف بعدد لا بأس به من الشعراء ، ولكن هذه الظروف جاءت مصادفة ودون تخطيط . إن عدداً من أصدقائي يكتبون الشعر أو يتذوقونه . ولكن عدداً آخر من أقرب أصدقائي المخلصين ينفرون من الشعر . أذكر أنني في السنة التي صدر فيها **أشعار من جزائر اللؤلؤ** طلبت من زميلي في السكن ، محمد إبراهيم كانو ومحمد صالح الشيخ عبد الله وهما صديقان حميمان أعرفهما منذ سن السادسة ، أن يحفظا بيتاً واحداً من الديوان ولكنهما عجزا عن ذلك . إن الاعتقاد بأن هناك خيطاً خفياً يربط بين الشعراء أو صلة روحية تجمع بينهم هو اعتقاد لا يوجد في رأيي ما يبرره من الحقيقة والواقع .

ونظراً لأنني أعتبر نفسي إنساناً ذا جوانب متعددة ، بالإضافة إلى كوني شاعراً ، فإنني لا أحرص على أن أحيط نفسي بما يذكّرني بأني شاعر . لا توجد لديّ ، كما توجد عند أكثر الشعراء الذين أعرفهم ، ملفات تحتوي على ما كتب عني . إنني أشعر بالحرج عندما يطلب مني أحد الباحثين أن أوافيه بما كتب عنى من دراسات سابقة لأنني لا أحتفظ بهذه الدراسات ، اللهم إلا إذا كانت في كتاب أو أطروحة جامعية . كما أنني لست من هواة النوادي الأدبية أو الجمعيات الشعرية ، ولا أذكر أنني ساهمت في مؤتمر أدبي أو لقاء شعري .

وانطلاقاً من اعتقادي بأن أثر الشعر في هذا العصر محدود ضيق لم أحرص على لأن تحصل دواويني على انتشار واسع وكان يكفيني أن يتمكن متذوقو الشعر ، وهم قلّة بطبيعتهم ، من الحصول عليها . ولعلي للسبب نفسه لا أميل إلى الإكثار من الأمسيات الشعرية . وأعتقد أن عدد الأمسيات التى ساهمت فيها منذ انتهاء

فترة الدراسة الثانوية لا تتجاوز أصابع اليدين . وهو عدد أقل بكثير من عدد المحاضرات العامة التي ألقيتها في الفترة نفسها . انني كلما دعيت إلى إلقاء محاضرة أو إلقاء قصائد من شعري اخترت المحاضرة .

إن شيئاً ما لا يزعجني بقدر ما يزعجني أن يطلب مني إنسان لا أكاد أعرفه في وسط مجموعة لا أكاد أعرفها أن ألقي شعراً . إن الشاعر ليس جهاز راديو يفتح ويغلق تمشياً مع ما يطلبه المستمعون . على هواة الشعر أن يطلبوه في مظانه وأماكنه . إن عجبي لا ينتهي من الشعراء الذين يتطوعون بإلقاء قصائدهم في كل مجتمع أو يهبّون للاستجابة لأي طلب ، حتى عندما يكون أغلب المستمعين بعيدين كل البعد عن فهم الشعر وتذوقه . إن هؤلاء يسيئون إلى أنفسهم وإلى الشعر ، هذا الكائن الرقيق الوديع الذي لا يستطيع أن يتنفس إلا في الهواء النقي .

إن اقتناعي بأن تذوق الشعر عملية عفوية شخصية ولّد لديّ نفوراً من الشعر الذي لا يُفهم . إنني مع الذي قال « لم لا تقول ما يفهم » ضد الذي أجاب « لم لا تفهم ما يُقال » يذهب عدد من الشعراء الحديثين أن قراءة القصيدة ليست تسلية أو متعة ولكنها مغامرة فكرية شاقة . يقول هؤلاء ان القصيدة لا تكشف عن نفسها ولا تفتح مغاليقها إلا لأولئك الذين يجابهونها بعزم وإصرار ويقضون الساعات في استجلاء أسرارها . إنني لا أؤيد هذا الرأي فالقصيدة ليست أحجية أو لغزاً أو شفرة . انني لست على استعداد لأن أصارع قصيدة ما زمناً طويلاً لأعثر في النهاية على مقصد الشاعر ، إن كان له مقصد .

على أن « مشكلة » الغموض في الشعر لا تزعجني . انني أعتقد أنه لا بد من وجود حد أدنى من الألفة النفسية والفكرية واللغوية بين الشاعر والقارىء ليستطيع الثاني أن يتذوق شعر الأول . إن الغموض قد لا يكون عيباً في القصيدة أو عيباً في القارىء ولكنه نتيجة لانعدام الحد الأدنى . إن عجزي عن فهم اثنين يتحدثان بالفرنسية ليس طعناً في الفرنسية ولا في قدراتي العقلية ولكنه نتيجة طبيعية لعدم إلمامي بالفرنسية . إننا لا نستطيع أن نشرح الفرق بين اللون الأصفر واللون الأخضر للمصابين بعمى الألوان ولا نستطيع التقاط إذاعة معينة إذا كان مذياعنا لا يحتوى على ذبذبة هذه الاذاعة . والأمر نفسه يصدق بالنسبة للشعر . إنني أقرأ ما أتذوق وأهمل ما لا أتذوق ، مدركاً أن العملية تتعلق بذوق يختلف من

شخص إلى آخر . انني لا أتهم أحداً بالغباء لأنني لاأفهم شعره وأرفض أن يتهمني أحد بالغباء لأنني عجزت عن تذوق قصيدة ما .

إن هذه النظرة إلى تذوق الشعر تجعلني أستغرب الجدل البيزنطي الذي يثور بين حين وآخر حول « أشعر » الناس . لقد كتب أحد الباحثين مرة رسالة دكتوراه « يثبت » فيها أن شوقي « أشعر » من المتنبي . ولا يزال الجدل حول خلافة شوقي في إمارة الشعر قائماً . ولا يزال هناك من الشعراء من يتطوع لهذا المنصب أو يرشّح له أحد أصدقائه . إن « أشعر » الناس حكم يختلف من إنسان إلى إنسان ، بل إنه يختلف عند الإنسان الواحد بتغيّر الحالة النفسية . إنني معجب بالناقد العربي القديم الذي حاول حسم الجدل حول « أشعر » الناس فقال إن فلان أشعرهم إذا طرب والآخر أشعرهم إذا غضب والثالث إذا رغب . إن هذا حكم أدبي رائع ولكنه حكم ناقص وتكملته : إن فلاناً أشعر الناس إذا غضب القارىء ، والثاني أشعر الناس إذا طرب القارىء وهلم جرا .

إن هذا العالم يضجّ بأعداد هائلة من التجار والصيّادين والزرّاع والصنّاع والمهندسين والأطباء ، وباستطاعة العالم بالتأكيد أن يستقبل أعداداً أكبر من الشعراء دون أن يشتكي الزحام . إن الشعر ليس تنظيماً بيروقراطياً هرمياً يحتاج إلى رئيس ونواب ومدراء إدارات . والشعر ليس إرثاً ينتقل من مالك إلى مالك . وفي الشعر لا يوجد جهاز تشريفات يمنح النياشين والأوسمة والألقاب . من طبيعة الشعر أن تعجب أنت بشاعر ما وأعجب أنا بشاعر غيره . ومن طبيعة الشعر أن تعتبر أنت قصيدة ما رائعة وأعتبرها تافهة سخيفة . ومن طبيعة الشعر أن تهمل فترة زمنية شاعراً ما لتكشفه فترة زمنية أخرى . إن الأمور لا بد أن تكون على هذا النحو وإلا كنا بصدد « ديكتاتورية » شعرية لا تقل في سوئها عن بقية الديكتاتوريات .

انني لا أدري هل ترك شعري أي أثر ، سلبي أو إيجابي ، في المجتمع أو في الناس . ولا أدري هل سيحتفظ التاريخ باسمي في قائمة الشعراء . ولا أدري هل استفادت هذه الأرض من كوني شاعراً . كل ما أدريه أنني منذ البداية كنت صادقاً مع الشعر ، أميناً مع الشعر ، مقيماً على عهد الولاء .



الجــزء الثاني

ويسألونك عن الشعر



الفصل الحادى عشر

أنـــــا



على قلقٍ .. كأن الريح تحتي
أوجّهها جنوباً .. أو شمالاً

المتنبي



في البداية : « من أنت ؟ »

● من أنت ؟

راشد الجودر

□ إنسان طفا على سطح الحياة فرأى الكثير الكثير من الدموع ، والقليل القليل من الابتسامات . فحاول أن يمسح من الدموع دمعة ، وأن يضيف إلى الأبتسامات أبتسامة . وأن يتحدث عما مّر به شعراً . فنجح حيناً ، وأخفق أحياناً . ولا يزال يحاول .

هوية ركضك ؟! ولون نبضك ؟!

● من أنت ؟ وما هوّية ركضكِ ؟ وما لون نبضك ؟ وهواك ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ من أنا ؟! أتريد الأجابة شعراً أم نثراً أم سجّع كهان ؟ أم عبارة ذكية ؟ أم جملة تجري مجرى الأمثال ؟ أم مزحة طريفة ؟ ليتنى أستطيع ! ليتنى استطيع ! هذه « الأنا » أعقد بكثير من التعريف ، أصعب بكثير من التصنيف ، أعند من الانسياق للتأطير . أتعرف لماذا ؟ لأنها لا تتكون من « أنا » واحدة ــ ولكن من « أنا » ... و « أنا » ... و « أنا » ... أعوذ بالله منها جميعاً . ولا أقصد « الأنا السفلى » و « الأنا العليا » التى ابتدعها العم الخرف فرويد . ما أقصده هو أنه يوجد « أنا » بسيط متفائل انفعالي مرح كطفل . ووراءه بالضبط كما تلتف قشرة البصلة بأختها ، ومعذرة لهذا التشبيه غير الشذيّ ، يقف « أنا » عملى واقعى انتهازي أقرب ما يكون إلى سوء الطويّة والشك . ووراءهما « أنا » ثالث :يتجاذبه الأثنان بلا رحمة ، فيبدو مرة كالوليد الحالم ومرة كرجل الأعمال الشرس . ووراء هؤلاء يقف « أنا » وجودى يضحك من هذا ويسخر من هذا ولا يهتم بشيء ويختفي وراء فقاعة من فقاقيع الصابون . يجيء بعد هؤلاء « أنا » مسؤول إلى درجة الوسوسة يحسب وقته بالثانية ويضع لنفسه جدولاً صارماً للغاية . ثم يطلّ « أنا » شديد الشغب همه الوحيد ترتيب المقالب وإزعاج الأصدقاء وهناك « أنا »

الأب بكل ما يوجبه هذا الدور من وقار حيناً وتبسّط حيناً آخر ، حسب نظريات التربية الحديثة (الفرويدية الخرفة غالباً !) . ثم هناك « أنا » الزوج ــ الإنسان الذى يحاول التعايش مع إنسانة دون تسلّط أو سيطرة . وهناك « أنا » الموظف هذا الكائن المزعج الذى يحمل فى عمق أعماقه كل عقد البيروقراطية ، رغم سخريته الدائمة منها . وهناك « أنا » الضيف عدو الولائم والعزايم بأنواعها وأشكالها . وهناك « أنا » السائق أجارك الله من الركوب معه . هل تريد بعد هذا أن أحدثك عن « أنا » الشاعر ؟ أرجو انك تمزح !

هوية ركضي ؟ للركض ، إذن هوّية ! لم لا ؟ ، الإنسان بدون هوّية ضائع كما اكتشف الفلسطينيون وكل المشردين عن ديارهم . لم لا تكون للركض هوّية حتى لا يتحول إلى مجرد « جوكنج » يمارسه غلاة الرياضيين ؟.

ركضى ، يا سيدي ، هو كما وصفته فى قصيدة « معركة بلا راية »

أحسّ بأن أيامي
كهذى الليلة الحمقاء .. عاصفة بلا معنى
صراعٌ دونما غايةْ
ومعركةٌ بلا رايةْ
طواف حول دائرة من الأوهام تبدأ ..
كلما قلتُ انتهتْ .. وتطول قدامّي
وأحلامي
كؤوس ان تعبت شربتها .. وسكرتُ ..
واستسلمتُ للدربِ
.. ويا قلبي !
أتعرف أننا ضِعنا ؟!
قضينا العمر نضرب فى دجى الصحراء ..
نرقب كوكب الحبّ
وهل يرعى دجى الصحراء
إلا كوكب الجدب ؟

لون نبضي وهواى ؟ كما تقول قصيدة « حنين »

تريدين لون حنيني إليك ؟ إذن طالعي الشمس عند المغيبْ

تريدين طعم حنيني إليك ؟ إذن لامسي بيديك اللهيبْ
تريدين حجم حنيني إليك ؟ إذن سافري في الفضاء الرحيبْ

صقراً ذهبيَّ الريش ؟!

● لو ولدت من جديد ، فماذا تختار ؟

خالد باطرفي

□ لعلك تتوقع منى أن أقول إنني أتمنّى لو كنت صقراً ذهبيَّ الريش ، أو ببغاء أفريقية رمادية اللون ، أو عصفوراً من عصافير الكناري ، أو سمكة من أسماك القرش . أو لعلك تتوقع أننى أتمنّى لو كنت عمر بن أبي ربيعة ، أو الأصمعى ، أو الرئيس ابن سينا . وربما توقعت أن أقول إنني أتمنى لو ولدت برشاقة ترافولتا — واحسرتاه ! — ووسامة الفيس برسلي وخفة دم عجوز « سيدتى » . لا يا أخى العزيز ! لو كان هناك خيار فسوف أفضّل أن أبدأ الكرّة من جديد ، كما أنا : ان أولد بالاسم نفسه ، فى ظل الظروف نفسها . قد يكون هذا عائداً إلى الخوف من المجهول أو إلى الألفة التى تجعل الإنسان يتعوّد على كل شىء . إلا أننى أفضّل أن أعتبره من باب الحديث بنعمة الله . فحياتى هذه ، بفضل الله ، ممتلئة وسعيدة ومثيرة .

شعر أو سياسة ؟

● اين يجد غازى القصيبي نفسه ؟ فى الشعر أم فى السياسة ؟

ايمان علي

□ دعينى ، أولاً ، أستبعد حكاية السياسة هذه ، فلست سياسياً محترفاً ، ولم أكن فى يوم من الأيام . لقد شاء قدري أن أتولى بعض المناصب الإدارية ضمن مسيرة طويلة من الخدمة العامة ، إلا أنها لم تكن فى تخطيطي أو حسابي عندما بدأت حياتي العملية بالتدريس فى جامعة الملك سعود بالرياض . كما أن هذه المناصب لم تحولنى سياسياً لا يجد نفسه إلا في ممارسة السياسة . بعد هذا أودّ أن أقول إنني لا أجد نفسى في شيء واحد ، كائناً ما كان هذا الشىء ، حتى الشعر . إن نفسي ، كنفسك ونفوس بقية البشر ، ظاهرة معقدة ، شديدة التعقيد ، يصعب اختزالها واختصارها وحبسها في نافذة واحدة من نوافذ النشاط الإنساني . إنني ، أولاً ، إنسان — وبعد ذلك شاعر . الشعر لا يمثّل سوى جوانب واحد من جوانب الإنسان ، قد يكون أهمّها في المدى البعيد ولكن ، في النهاية ، يبقى الإنسان فيّ أكبر من الشاعر .. وأشمل .

وهل تحلّق في السمٰوات ..؟!

● فى أى سماء تحلق ؟ وفي أى عالم تعيش ولمن أنت بعد منتصف الليل ؟!

خالد باطرفى

□ لا أحلق إلا عندما أكون في الطائرة ـــ إذا اعتبرنا هذا تحليقاً . وعندها يكون تحليقي في السماء الدنيا وفى الأجواء السعودية غالباً . أما العالم الذي أعيش فيه فهو هذه الكرة الأرضية ـــ ما غيرها ! ـــ وبين المكتب والمنزل . أما بعد منتصف الليل فأكون ، عادة ، مستغرقاً فى نوم عميق . لا أدرى لماذا تسألني هذه الأسئلة . ألا تعرف أننى موظف حكومي عليه أن ينهض في الصباح الباكر ليزاول عمله عبر ساعات طويلة ؟ وإن لدىّ من مشاغل الأرض وشجونها ما يغنيني عن التحليق في السماوات ؟ وانني لا أستطيع السهر إلا على حساب العمل ، وهذا يتنافى مع نظرتى إلى الوظيفة والمسؤولية العامة ؟.

كم يؤسفنى أن تجيء الاجابة جافة كهذه . وكم كان بودىّ أن تكون أكثر رومانسية . من يدرى ، بعد أن أتقاعد فقد يكون بإمكاني أن أحلق في سماوات المنى الوردية . وأعيش في عالم الأصداف والزهور . وأستسلم بعد منتصف الليل لحوريات القصيد . عندها ، يمكن أن توجه لي السؤال مرة أخرى .

بين الحلم .. والحقيقة :

● لحظة الحلم ماذا تمنحك ؟ وإلى أى مدى تصل بك ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ لحظة الحلم ولحظة الحقيقة توأمان لا ينفصلان إلا بموت أحدهما .. أو بمعجزة طبية . لحظة الحلم أمس هى لحظة الحقيقة اليوم . ولحظة الحقيقة أمس هى لحظة الحلم اليوم . الحلم هو المادة الخام للحقيقة . والحقيقة هى الشكل النهائي للحلم . الحلم هو الحقيقة كما نودّ أن تكون . والحقيقة هى الحلم الذى بدأ يشيخ .

عن الصوت .. والحزن .. والحقيقة الإنسانية :

● هل تستطيع تعريف صوتك وحزنك وحقيقتك الإنسانية ؟

خالد باطرفى

□ بالتأكيد ، وبكل سهولة . صوتى هو نتيجة مرور الهواء عبر الحبال بحنجرتى إلى لساني . أليس هذا تعريفاً جامعاً مانعاً ، كما يقول المناطقة ؟ حزنى هو مجموع المشاعر التى تصطخب في نفسي والتى يمكن تمييزها عن مشاعر السعادة . هذا التعريف أقل دقة من الأول ولكنه يفي بالغرض . حقيقتى الإنسانية لا تختلف كثيراً عن حقيقة أى إنسان . هناك فى الأعماق المزيج نفسه من نزعات الخير ودوافع الشر . هناك الصراع نفسه بين الغريزة والمثل العليا . هناك كل نواحى الضعف البشرى ، وكل نواحى القوة البشرية فى صراع خالد بين مد وجزر ، وانتصار واندحار . هذه هى حقيقتى . أنها لا تختلف عن حقيقتك . أو حقيقة القارىء الذى يقرأ هذه السطور هذه اللحظة . أو حقيقة الإنسان الذى يلفّ مشترواته بهذه الصفحة دون أن يقرأها .

وعن التطرف .. حباً وكرهاً ..

● في حياتنا لا نعرف القصد ، نبالغ في مواقفنا مع أو ضدّ .. فهل تجد نفسك طرفاً أو مستهدفاً لهذا التصرف أو ذاك ؟.

عبد الحميد المحادين

□ لا أدرى هل تقصد بنون الجمع بنى يعرب ، أو بنى البشر ، أو الشعراء . على أنه سواء كان التطرف من طباع البشر أو العرب أو الشعراء ، فقد حاولت جهدي ، وأعتقد أننى نجحت إلى حد كبير ، أن أحدّد من الوجود ومن الكائنات مواقف بعيدة عن التطرف . منذ سن مبكرة تعلّمت أن العالم مليء بالألوان المتشابهة المتشابكة والظلال ، وأدركت أن أولئك الذين لا يرون سوى السواد والبياض مصابون بعمى الألوان . منذ سن مبكرة فقدت القدرة على التعصب . غير أننى ، فى أحيان قليلة ، وجد نفسي هدفاً لحب أعمى أو بغض أعمى . ولا أدرى حتى هذه اللحظة أيهما أخطر الحب الأعمى .. أم البغض الأعمى .

عن لون الحلم وهويته

● لكل مرهف حلم ـــ ما لون حلمك ؟ وما هوّيته ؟

خالد باطرفي

□ إذا سلّمنا أننى من المرهفين ، وهذه من صفات السيوف لا الشعراء والله

أعلم ، فانني لا أستطيع أن أتحدّث عن حلم بعينه له هوّية بذاتها . كل يوم تولد وتموت عشرات الأحلام الصغيرة . . شأنها شأن الفراشات الصغيرة . . والزهور الصغيرة . كل يوم أضحك مع اطلاله ألف حلم ، وأبكي على أشلاء ألف حلم . آلاف الأحلام . هنا حلم شخصي لا أبوح به حتّى لنفسي . هناك أحلام لمن أحبّ . هناك أحلام تعانق الكون كلّه . هناك أحلام ترتبط بالعمل . وهناك ذاك الحلم المتجدّد فى أن أرى نفسي إنساناً أفضل ... يعيش فى عالم أفضل .

أنا ... والليل ...

● يزرعنا الليل أغنيات غزل على الصدور المثقلة بالحنان .. ليلك أنت .. اين ينتهى بك عادة ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ قصة الشعراء مع الليل قصة طويلة جميلة . بدأت منذ أن قال زعيمهم :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله   عليّ بأنواع الهموم ... ليبتلي

وعبرت بالبيت الخالد :

ياليلُ ! الصب متى غدهُ   أقيام الساعة موعدهُ ؟!

ومرّت بالبيت الجميل :

ياليل ! طل ! أو لا تطلْ   لا بد لي أن أسهَركَ !

انتهاء بليل عبد الصبور فى الشعر الحديث :

والحزن يولد في المساء لأنه حزنٌ ضريرْ
حزنٌ كما امتدّ الطريق ...
من الجحيم إلى الجحيمْ

حكايتى مع الليل لا تختلف عن حكاية هؤلاء :

أقضّي نهارى بالحديث وبالمنى   ويجمعنى بالهم في الليل جامعُ

في الليل تتحررّ الأشياء من حرفيتّها ونثريتها ورتابتها . هل حاولت أن تشمّ الياسمين في النهار وتشمه في الليل ؟ أن ترقب البحر فى النهار وترقبه مع بدر المساء ؟ أن تروى شعراً فى النهار وترويه فى الليل ؟ أتعرف مشكلتى مع الليل ؟ مشكلتى أن « الأنا » المنضبط الذى يسكن مكاناً ما في داخلي يذكرنى أن عليّ أن أنام لأن عليّ

أن أصحو لأن عليّ أن أذهب إلى « الدوام » ليلى ، إذن ، ينتهى عادة قبل أن أشبع منه أو يشبع منى بالتقهقر إلى الفراش وفى يدى كتاب مُمِلّ لاستدراج النوم . أليست هذه نهاية مفجعة ؟!

وهل يفهمك أحد ؟!

● هل وجدت أخيراً من يفهمك ؟

خالد باطرفي

□ لا أدرى ماذا تقصد بأخيراً . ذلك أنّه لم يسبق لى أن اشتكيت فى سرّ أو علن من عدم فهم الناس لي . ولماذا لا يفهمنى الناس ؟ هل أتحدث بالسريانية ؟ أو بلغة أهل بابل أو بأسلوب بعض الشعراء من أهل الحداثة ؟ لقد كنت قادراً فى كل مراحل حياتى أن أتفاعل مع الآخرين فيفهمونى وأفهمهم ، ويفهمون عنى وأفهم عنهم . أرجو ألّا تحاول إضافة « مواصفة جديدة » إلى « مواصفات » الشعراء وهى صعوبة الفهم — فالشعراء لا يختلفون في هذا المجال عن غيرهم . ان أكثر الشعراء الذين أعرفهم كتب مفتوحة لا يحتاج فهمها إلى قليل أو كثير من ذكاء أو فطنة .

قل لي من تقرأ !...

● لمن تقرأ من الشعراء العرب ؟ ولمن تقرأ من الشعراء العالميين ؟ سواء الأحياء أو الذين رحلوا . ولماذا تخصّهم بقراءتك ؟ أعنى ، ماذا يشدك فى تجربتهم وشعرهم ؟

عبد المنعم إبراهيم

□ من القدامى أعود بين الحين والحين إلى المتنبي ، بإعجاب يتزايد مع مرّ السنين . وإلى ابن الرومي . والعباس بن الأحنف . وجرير .

ومن شعراء هذا القرن أحب عمر أبو ريشة وبدوى الجبل والأخطل الصغير وأمين نخلة ومحمد مهدى الجواهري وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازى وأمل دنقل (وهذا الأخير في رأيي هو ألمع شاعر كتب خلال العقدين الأخيرين) . ونزار قباني .

وفيما يتعلّق بالآداب العالمية ، فإن معرفتى باللغات الأجنبية تقتصر على الانجليزية . الأمر الذى يحصر قراءاتى إما في الشعر الانجليزى أو فى الشعر المترجم إلى الانجليزية .

من الشعر الانجليزي أقرأ لشكسبير (مقتطفات ، لا الروايات كاملة) ولشعراء البحيرة وللشعراء الرومانسيين عموما . وفى العصر الحديث أقرأ لتوماس ديلون وروبرت جريفز ، وفروست من الشعراء الأمريكيين .

كما تعجبنى قصائد الشاعر الألمانى « ريلكه » ــ ولعله شاعرى المفضل خارج اللغة العربية . وأعجب إعجاباً بالغاً « بالهايكو » وهو ضرب من الشعر الياباني يتكون من ثلاث جمل قصيرة تحمل الكثير من المعنى .

فيما عدا ذلك ، توجد شذرات متفرقة من هنا وهناك .. وهنالك .. من آداب عالية عديدة .

لماذا أقرأ ما أقرأ ؟ لأنى أجد مع هؤلاء الشعراء « ألفة نفسية » تجعلني أعشق ما يكتبون .. « وللناس فيما يعشقون مذاهب » !

المتنبي ... لماذا ؟!

● أنت معجب بالمتنبي . فما مصادر هذا الاعجاب ؟

عبد الحميد المحادين

□ أستطيع أن أعطيك ألف سبب . أن اسرد لك ألف مرجع . أن أحيلك إلى أستاذنا إبراهيم العريّض الذى أعتبره أعظم دارسي المتنبي المعاصرين . ومع هذا فسوف يبقى السؤال بدون جواب شاف . إن الاعجاب يتعلق بائتلاف الأرواح واختلافها لا بتحليل ذهنى جامد . هذه الألفة هى التى تشدّك إلى شاعر ما تجعلك تحسّ أنه يعبر عن أحاسيسك أنت بصدق وروعة . تجعلك تقول « كيف عرف هذا ؟! » . تجعلك تصرخ « ليتنى قلت هذا أنا ! » . هذه « الألفة » هى التى تجعل حكمة « المتنبي » شيئاً نابضاً بالحياة يختلف عن « حكمة » أبي العتاهية ومقصورة ابن دريد التى « حوت جميع المعاني » . هذه « الألفة » إما أن توجد أو لا توجد . صدقنى ودع عنك تبريرات النقاد وتقعّراتهم .

اسئلة .. سريعة الطلقات !

● بمن تأثرت ؟ ولمن تكتب ؟ وأين هو الأديب والشاعر من قضايا أمته ؟ وهل يمكن فصل الفكر عن السياسة ، أو العكس ؟

عبد الله الشيتى

□ هذا ليس سؤالا ! هذه قذائف من مسدّس سريع الطلقات ! ولكننى **سأجيب باختصار ، حتى لا ينام القارىء ، هذا إذا لم يكن قد نام منذ البداية ؟**

يا سيدى ! الذين تأثرت بهم من شعراء أو كتاب أو أساتذة أو أقارب أو أصدقاء أكثر من أن أحاول أن أحصيهم هنا ، ولو تمكنت من إحصائهم لما كان في ذلك فائدة تذكر . التأثر عملية نفسية عقلية عاطفية بالغة التعقيد تحتاج إلى دراسة متكاملة لرصدها . وأى مناقشة عابرة تسيء إليها . إذا أردت أن **تعرف بمن** تأثر شاعر ما كان عليك أن تدرس بيئته الثقافية والسياسية والإجتماعية والاقتصادية وجذوره الحضارية ونشأته الأولى ، بالإضافة إلى عشرات المتغيرات الأخرى . لقد **كتبت فصلاً قائماً بذاته عن الموضوع في سيرة شعرية . وحتى هناك لا أعتقد** أننى أعطيت الموضوع حقه .

تقول لي لمن تكتب ؟ أكتب لنفسي وللناس لنفسى أولاً ، وللناس ثانياً . وأحيانا أكتب لنفسي وللناس في الوقت نفسه . إلا أننى أكتب أبداً للناس دون نفسى . أنا قارئي الأول !

نعود إلى موقف الشاعر أو الأديب من قضايا أمته . ولى رأى أوضحته مراراً **وتكراراً ، وهوجمت عليه مراراً وتكراراً . باختصار ، ليس على الشاعر أى مسؤولية** سوى أن يكون شاعراً صادقاً مع نفسه والأمر نفسه يصدق بالنسبة للرسام أو الروائى أو الموسيقي . إذا كتب الشاعر شعراً انتهى دوره كشاعر . أما ما يتردد بين الحين والحين عن ضرورة « التزام » الشاعر فإنه في رأيي قيد رهيب على حرّية الشاعر ذلك أنه يصعب التفريق بين « الالتزام » و « الإلزام » .

تبقى ثمة حقيقة وهى أن الأديب الحقيقي يجد من الصعب عليه أن يعيش بمعزل عن قضايا أمته . هذه القضايا تمثل البيئة التى يتنفس فيها والتى لا بد أن تنعكس ، على نحو أو آخر ، في إنتاجه . من هنا فالسياسة ، بأوسع معانيها ، حقيقة من حقائق الحياة التى يصعب أن تتجاهلها أى تجربة أدبية ناضجة .

والمتنبي .. مرة أخرى !

● يقال إنك مشدود إلى المتنبي وإلى شوقي وإلى أبي العلاء ــ هل نعلم لماذا ؟

عبد الله الشيتى

□ لا ! لست « مشدوداً » إلى شوقي ولا إلى أبي العلاء . تعجبني لشوقي قصائد وومضات هنا وهناك . ومقاطع من «**مجنون ليلى** » و « **مصرع كليوباترا** » . وتعجبني لأبي العلاء عدة قصائد في **سقط الزند** وأبيات نادرة فى **اللزوميات** . أما المتنبي فهو الحضن الشعرى الرؤوم الذى أعود إليه ولا أكاد أفارقه . لماذا ؟ لأنك كل ما قرأت المتنبي عثرت على كنز جديد لم تلاحظه من قبل . حتى الأبيات التى أحفظها منذ الطفولة أكتشف فيها كل يوم أبعاداً وظلالاً جديدة . لأنه « أحدث » الشعراء وأكثرهم حضوراً . لأنه إذا قال شعراً « أصبح الدهر منشداً » . ألا يكفى هذا ؟!

تترنم .. أولا تترنم ؟!

● أبيات لك تتغنّى بها وتترّنم . وأبيات لغيرك ؟

عبد الله الشيتى

□ دون أن أدعى أى موهبة فى « الترنم » أود أن أقول إن الأبيات التى أرددها غالباً ما تكون لغيرى ، وهى تختلف وتتغير باختلاف المزاج النفسي .

فإذا كنت في حالة عشق قفز إلى ذهنى بيت عمر بن أبي ربيعة :

ليس حب فوق ما أحببتكـــــمْ
غير أن أقتل نفسي .. أو أجـــنْ !

وإذا كنت في حالة حب رددت مع ناجي :

هو عمـــر واحـــد عشت به
كل أعمـــار الـــورى مجتمعـــات

وإذا تنكرّ لي صديق قلت مع القائل :

وكـــنت أخـــي بإخـــاء الزمـــان
فلمـــا نبـــا صرتَ حربـــاً عُوانـــا
وكـــنت أعـــدّك للنائبـــات
فأصبـــحت اطـــلب منك الأمانـــا

وإذا ذكرت الصبا الأول رددت مع ابن الرومي :

أأفجــع بالشبــاب .. ولا أعــــزّى ؟
لقــد غفــل المعــزّى عن مصابي !

وإدا اشتقت للوطن قلت مع شوقي :

ويــا وطنــي ! رأيــتك بعــد يأس
كأني قد لقــــيت بك الشبابـــــا

وإذا ابتليت بثقيل قلت :

كيــف لا تحمــل الأمانـــة أرضٌ
حملت فوقهـــا أبـــا عمــــران ؟!

وإذا أكثرت عليّ أسئلتك رددت مع القائل :

ولـو كان جرحــاً واحــداً لشفيتــه
ولكنــه جرح .. وثــانٍ .. وثــالثُ !



الفصل الثاني عشر

.. والشعـــر



قوافٍ إذا سرن عن مقـــولى
وثبـن الجبـال وجبــن البحـــارا

المتنبي

في البداية : البيت الأول

● هل تذكر أول بيت شعرٍ قرأته في حياتك ؟

محمد همّام

□ كلا .. للأسف الشديد . ولكنى أكاد أجزم أننى عثرت عليه مع الأناشيد القومية التى كنا نحفظها في المدارس الابتدائية والتى تلاشت ، كما يبدو ، من مناهجنا هذه الأيام . أعتقد أننى مررت بأول شعر في حياتي مع :

نحن الشبـــــــــــــــابْ لنـــا الغـــدُ ومجده المخلّـــدُ

أو مع :

بلاد العـــــرب أوطـــــاني من الشام لبغـــــــــــدانِ

أو مع :

علـــــيك منــــــى السلامْ يا أرض أجـــــــــدادى
ففـــــيكِ طاب المقـــــــامُ وطـــــــــــــاب إنشادي

هل تسمح لي أن استطرد فأرجو وزراء التربية والتعليم فى عالمنا العربي أن يعيدوا هذه الأناشيد إلى الصدور الصغيرة . لقد حرمنا واقع الوحدة العربية فهل من الكثير علينا أن نطمع في حلمها ؟

مواجع الشعر .. ومواويله .. وهمومه

● شعرك .. على أىّ المواجع يحكى ؟ وأى المواويل يؤدّى ؟ وأى الهموم يطرح ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ ليتنى أستطيع أن أقول كما قال شوقى :

كان شعـــــرى الغنــــــاء في فرح الشرق .. وكان البكـــاء في أحزانِــهْ

أو كما قال ، فيما يشبه وقوع الحافر على الحافر ، الأخطل الصغير :

أنا لا أمن .. رضيت أنى ثغرها
الشادي ... وإنّي جفنها المغرورقُ

إلا أن شعرى بلا وظيفة وبلا دور . صدّق أو لا تصدّق أن شعرى من سواقط القيد ومن مجهولى الهوّية . لا توجد له علامة فارقة . ولم يصنّف طبقاً لأى تصنيف . شعرى كائن منفصل عنيّ ، ومستقل إستقلالاً ذاتياً كاملاً . يلقى عليّ بتحية المساء أحياناً . ويتجاهلنى أحياناً . وهو جاهل بكل « رطانة » الشعر المألوفة . جاهل « بالحداثة » و « المعاصرة » و « الالتزام » . وهو مزاجي وعنيد إلى درجة غير معقولة . يتحدّث عندما يشاء . ويضرب عن الكلام عندما يشاء . مرة يلبس عباءة الحطيئة (إن كانت للحطيئة عباءة) . ومرة يلبس ثياب « البلاج » . وهو ليس موظفاً عند أحد . لا عندي ولا عند غيري . ولا يتحدث باسم أحد . لا إسمي ولا اسم غيري . ولا اسم المواجع القومية . ولا الضمير الإنساني . وهو ، ولا فخر ! ، لا يملك أى رؤية كونية أو نظرة شمولية أو عمق فلسفي . وأحياناً يقول أشياء سخيفة . وأشياء قديمة . إلا أنه نادراً ما يتحدّث بلغة غير مفهومة .

لقد فقدت الأمل ، في النهاية ، في فهم هذا الشيء وقبلته ، على علاته ، بكل نواقصه ومزاجياته وتقلباته . كيف أشرح لك ما لا أفهم ؟!

الشعر ... كل شيء ؟!

● ماذا يمثّل الشعر لغازى القصيبي ؟

ايمان علي

□ يمثّل الكثير الكثير . فهو ، بدون أية مبالغة شعرية ، غنائي في لحظات السعادة ، ودموعي عندما يجتاحنى الشوق إلى البكاء ومعه أعيش أوقاتاً لا تنسى ، وعن طريقه أصل تجربتي الذاتية بتجارب البشرية عبر القرون والسنين . ولكن الشعر ، بعد هذا ، لا يمثل بداية حياتى ونهايتها ، ولا الحرف الأول والحرف الأخير من قصتى على هذه الأرض . انه يعنى الكثير الكثير . ولكنه لا يعني كل شيء . ربمّا لو كان الشعر حياتي كلّها لأصبحت شاعراً أفضل .

ومشوارك مع الشعر ؟

● ماذا يمثّل الشعر بالنسبة لك ، هل كنت دائم التواصل معه من حيث الكتابة والنشر ؟ وهل حدث أن هجرت القصيدة أو هجرتك ؟ متى ؟ ولماذا ؟

عبد المنعم إبراهيم

□ كنت أتمنىّ لو قلت لك ، كما يفعل كل الشعراء أو معظمهم ، ان الشعر يمثّل حياتى كلّها وأنني لا أتصور لنفسى وجوداً بدون الشعر . إلا أن هذه مبالغة لا أجرؤ على الإقدام عليها . ولعل أصرح جواب ، وأصدقه ، هو أننى لا أعرف ، بالضبط ، ما يمثله الشعر في حياتى . أعرف ، بالتأكيد ، أنه ناحية هامة من نواحي وجودي . وأعرف ، بالتأكيد ، أنه يتيح لبركان التجارب والأحاسيس والمشاعر أن ينفس عن معاناته بين الحين والآخر على هيئة هذا الانفجار الغريب الذي نسمّيه قصيدة . وأعرف أنى سأكون شيئاً مختلفاً عن نفسى كما أعرفها الآن لو لم أكن شاعراً . هذا كل ما أستطيع أن أقوله دون أن أذهب أبعد من ذلك فأقول إن العالم سينتهى لو نضب الشعر عندى . إن الحياة تستمر فى دورتها ، بالشعراء وبدونهم .

لقد بدأت قصتى مع الشعر في سن الثانية عشرة ولم تنته ولا أتوقع أن تنتهى ما حييت . ومنذ أن بدأت كتابة الشعر وحتى الآن كانت فترات الخصب تعبر بفترات من الجدب . لقد كان أغزر إنتاجي في فترة المراهقة بين سنّى السادسة عشرة والعشرين . كانت تمرّ عليّ أيام متعاقبة أكتب خلالها كل يوم قصيدة ، وأحياناً أكثر من قصيدة . تبعت ذلك مرحلة من الجفاف لم أكن أكتب فيها إلا قصيدتين أو ثلاثاً في السنة . ولعل أطول فترة جفاف مرت بي استغرقت سنة ، وكنت في الثالثة والعشرين . كما أن الفترة بين الخامسة والعشرين والثلاثين كانت فترة خصب بدورها . منذ تلك السن — أى خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة — استقرّ الانتاج بمعدّل قصيدة واحدة كل شهرين .

لا تسألنى تفسيراً لهذه الظاهرة — لا ظاهرة الخصب ولا ظاهرة الجفاف . هذا من ألغاز العملية الشعرية وأسرارها . ومن قديم كان الشعراء يشتكون أن قلع ضرس من أضراسهم قد يكون أهون من كتابة بيت واحد ، كما قال شاعر مشهور . كل ما أستطيع ان أقوله إن الشاعر الحقيقي ، أو « المطبوع » إذا أردنا استخدام تعبير أثري ، لا يعدو أن يكون أداة طيعة في يد الشعر . الشعر هو الذي

يزور عندما يريد ، ويهجر عندما يريد ، ويغضب عندما يريد . الشعر هو أكثر المحبوبين دلالاً وكبرياء وعناداً . الشعر لا يقبل أن يناقشه أحد الحساب .

هذا عن الكتابة ، أما عن النشر فقد كان يتم فى دورات تستغرق كل منها قرابة خمس سنوات ، وهذه ظاهرة أخرى لا تعليل لها عندى ــ لقد طبعت **أشعار من جزائر اللؤلؤ** سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) . وبعده بخمس سنوات **قطرات من ظما** وبعده بخمس سنوات **معركة بلا راية** وبعده بخمس سنوات **أنت الرياض** وبعده بخمس سنوات **الحمىّ** وبعده بخمس سنوات **العودة إلى الأماكن القديمة** .

عندما بدأت كتابة الشعر كان معظم ما أكتبه لا ينشر ، إما لأنه غير صالح للنشر أو لأنه غير قابل للنشر . وقد استمرت هذه الظاهرة فترة من الزمن . أما خلال السنوات العشر الأخيرة فقد كنت أنشر كل ما أكتبه ، باستثناء نسبة ضئيلة لا تذكر . هذا قد يعنى أن المستوى تحسن . وقد لا يعنى إلا أننى أصبحت أكثر حذراً عند الكتابة .

الشعر حرّاً ... ومنثوراً !

● هل كتبت شعراً حُراً ؟ وهل تسمّى القصيدة المنثورة شعراً ؟

ايمان علي

□ أقصى « تحرّر » وصلت إليه في تجاربي هو إهمال القافية نهائياً والتمسك بالوزن وحده . وذلك في قصائد لا تتجاوز عدد أصابع اليدين . ولكنى لم أكتب شعراً « حراً » بمعنى الانفلات من الوزن والقافية معاً . أما عن قصيدة الشعر فقد تكون أجمل من الشعر ولكنها تبقى قصيدة نثر ... لا شعر .

ما يطلبه المستمعون !

● من أوّل من تقرأ عليه شعرك ؟ وإلى أىّ حد تتأثر بتقييمه ؟

خالد باطرفي

□ لا يوجد لدىّ « مستشار شعرى » يحظى بشرف (أو ألم) الاستماع إلى قصائدى لأول مرّة . بل أننى أستطيع أن أقول إن الغالبية العظمى من قصائدى

لا يستمع إليها أحد ولا يقرأها أحد إلاّ بعد أن تنشر . وفى الحالات النادرة التى يصدف فيها أن أجد صديقاً ذواقة بعد الانتهاء من كتابة قصيدة ما فقد أقرأها أمامه . أما عن تأثرى بتقييمه فيكاد يكون معدوما لا عن غرور ولكن إدراكاً أن الشعر وليد عملية نفسيه معقدّة وليس قطعة إملائية لغوية قابلة للتصحيح والشطب بالقلم الأحمر . ولا يوجد إنسان يضايقنى أكثر من الذى يطلب منى أن أسمعه آخر قصيدة وكأنني برنامج ما يطلبه المستمعون . انني ضنين بقراءة شعرى إلا على الذين يتذوقون بالفعل وهم ، بطبيعة الأمور ، قلة قليلة . والأغلبية العظمى من أصدقائى لا تحب الشعر ولا تحرص على سماعه ، والحمد لله !

قصائد قريبة من القلب ..

● أىّ قصائدك أقرب إلى نفسك ؟

نبيلة سليمان

□ هذه المنزلة ، عادة ، لا تدوم طويلاً لقصيدة . إلا أنه إذا كان ولا بد من الاجابة فبوسعي أن أشير إلى « أغنية قبل الرحيل » من ديوان **قطرات من ظما**[1] و «رباعيات عاشقة»[2] من ديوان **معركة بلا راية** . و «حبك» من ديوان **أنت الرياض** و « أعز النساء » من **الحمىّ**[3] **والعودة إلى الأماكن القديمة**[4] من الديوان الذي يحمل إسمها .

وماذا عن الشعر الدرامي ؟

● أين أنت من الشعر الدرامي ؟ ولماذا لم تهتمْ بهذا النوع من الشعر رغم إعجابك به عند الآخرين ؟

عبد الحميد المحادين

□ كل مُيسّر لما خلق له . وأعتقد أننى لا أملك أى موهبة تتجاوز حدود الشعر الغنائي ، هذا إذا كنت أملك أى موهبة هنا . ولهذا فلم أحاول فىّ الماضي ولا أعتقد أننى سأحاول فى المستقبل أن أكتب في غير هذا المجال .

---

(١) انظر ما يلي ص ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(٢) انظر ما يلي ص ص ٢٨٣ — ٢٨٥ .

(٣) انظر ما يلي ص ص ٢٨٩ — ٢٩٢ .

(٤) انظر ما يلي ص ص ٢٩٣ — ٢٩٨ .

لحظة الميلاد ..

● حدّثنا عن شعورك عند ميلاد القصيدة .

نبيلة سليمان

□ في معظم القصائد لا يبدأ الميلاد فجأة ولكن تسبقه إرهاصات تستغرق بضع ساعات ، وفي أحيان نادرة بضعة أيام ، وفي حالات أندر عدة أسابيع . يقفز في الذهن شطر بيت . ثم يختفى . لا أدرى من أين جاء . ولا أين ذهب . ثم يعود على هيئة بيت كامل . ثم يغيب قليلا . وأتساءل هل ثمة قصيدة تتحفّز أم أنها مجرد خواطر عابرة . لا أملك غير الانتظار . يصبح البيت بيتين . وفي هذه المرحلة تحدث أشياء كثيرة غريبة . تبدأ الإرهاصات ببيت تقليدى . وبيتين . وثلاثة . ثم فجأة يتحوّل الشكل شعراً حديثاً . وأحياناً يحدث العكس . أحياناً تتغير القافية . ويتغير الوزن . وأقف أنا حائراً عاجزاً لا أستطيع التحكّم فى شىء . حتى إذا نضجت القصيدة شعرت بالحاجة الجارفة إلى البقاء وحدى ، مع ورقة وقلم ، حتى تنتهى كتابة القصيدة . والشعور هنا ليس خارقاً أو مذهلاً . إنه مجرد تركيز كامل شامل على الكلمات المتساقطة من القلم وشىء شبيه بحمّى خفيفة تجعل الذهن متقداً ويقظاً ورغبة في إنهاء الميلاد بأسرع وقت ممكن . هذه المرحلة يندر أن تتجاوز ثلاث ساعات . وبنهايتها تكون القصيدة قد اكتملت — وبشكلها النهائى . ونادراً ما أعود إلى قصيدة ما بعد الانتهاء من كتابتها بالتنقيح أو التعديل .

الشعر .. جبناً !

● ما هى القصيدة التى كتبتها فأعجبتك — ثم جبنت عن نشرها ؟

خالد باطرفي

□ كنت أفضل لو أنك استخدمت كلمة أكثر دبلوماسية من « جبنت » مثل « ترددت » أو « أحجمت » .. أو « عدلت » .. ولكنك لم تفعل فجعلتنى أبدو كشاعرنا القديم الذى قال « دعونى ! فإنى آكل العيش بالجبن ! » . هناك قصائد كثيرة جبنت عن نشرها ، إلاّ أنى ألاحظ أنها تقلّ بمرور الأيام . عندما كنت فى سن العشرين كان معظم شعرى لا يقبل النشر أما الآن فنادرة هى القصيدة التى لا تنشر . قد يعنى هذا أن روح التمرد الصّبية استسلمت لروح الكهولة الوادعة . وقد يعنى أن التجارب اختلفت . وقد لا يعنى أىَّ شىءٍ على الإطلاق !

« ما قالته النخلة للبحر » .. عنّي ...

● في كتاب علوى الهاشمي « ما قالت النخلة للبحر » دارت تحليلات مستفيضة لدورك الشعرى — فهل اطلعت عليها ؟ وكيف وجدتها ؟

عبد الحميد المحادين

□ كتاب الأخ علوى الهاشمي سفر أدبي ضخم قرأته وأعجبت بما بذل فيه من مجهود كبير في التحليل والبحث والتنقيب . إلاّ أن الأخ علوى كان ، وإخاله لا يزال ، ينطلق في أحكامه الأدبية من منظار أيديولوجى خالص . الشعر ، لديه ، إما رومانسى متقوقع في زوايا النفس والضياع والخدر وإما واقعى يخدم قضية الإنسان ، كما يفهمهما ، وهذا وحده الشعر الحقيقي . ولسنا بحاجة إلى كثير من الذكاء لندرك أنه متى ما انطلق المرء من مسلّمات حاسمة كهذه كانت النتائج معروفة سلفاً . ولهذا كانت أحكام الأخ علوى على شعرى ، الرومانسى حسب تصنيفه ، كأحكام القاضى الذى دخل المحكمة وفي جيبه الحكم . إلا أنه لا اعتراض لديّ على ما كتبه الأخ علوى ، وما كتبه أو يكتبه أى ناقد آخر فأنا من المؤمنين بقول صاحبنا القديم « كدعواك .. كلّ يدّعي صحة العقل ! » .

القيود ... وبيكاسو .. والخربشة !

● يلاحظ على معظم قصائدك اعتماد القافية . ألا تقيدك القافية في الصياغة الشعرية ؟ لماذا تلجأ إليها كثيراً ؟

عبد المنعم إبراهيم

□ فلأبدأ بالإجابة على « لماذا » . والاجابة ، ببساطة ، لا أدري . وقديما قيل «من قال لا أدري فقد أفتى» انني لا أقرّر عند كتابة قصيدة هل ستكون مقفاة أو غير مقفاة ، من الشعر التقليدى أو الشعر الحديث . والواقع أننى حتى ظهور البيت الأول لا أدرى من أى نوع ستكون القصيدة ، كثيراً ما دارت بذهني قصيدة ما ، أثناء المخاض، كنت أرجو أن تولد بثوب تقليدي . ولكنها فاجأتنى وخرجت شعراً حديثاً . والعكس صحيح . ان تفاعل التجربة في العقل الشعرى اللاواعي هو الذي يحدد شكل القصيدة وليس لي دور كبير أو صغير في الإختيار .

نأتي بعد ذلك إلى مسألة « التقيّد » . لا شك أن القافية « قيد » . كما أن الوزن « قيد » . ولكنى لم أسمع أن أحداً قد عرّف الشعر — أو الفن عموماً — بأنه

الانفلات التام من القيود . هل يستطيع أحد أن يرسم دون « التقيد » بقواعد الرسم ؟ أو أن يكتب موسيقى دون « التقيد » بالنوتة ؟ أو أن ينحت تمثالاً دون « التقيد » بأصول النحت ؟ وهلم جرّاً . حتى عباقرة السرياليين ، كبيكاسو مثلاً ، لم يطرحوا القيود إلا بعد أن أثبتوا القدرة الكاملة على الابداع ضمنها .

هناك ، إذن ، حقيقة وهي أنه لا بدّ من « قيود » في الشعر . بعد هذا تأتى حقيقة أخرى وهي أن الكتابة بدون « قيود » أصعب كثيراً ، في نظري ، من الكتابة « بقيود » — والسبب في ذلك أنك عندما تتحرّر من « القيد » يجب عليك أن تبحث عن « نمط » آخر يحل محل « القيد » القديم . إذا تحررت من القافية فقدت الكثير من الموسيقى الخارجية وأصبح عليك أن تعوّضها بالكثير الكثير من الموسيقى الداخلية ، وهذه مهمّة عويصة . ولعل المأساة التي يمر بها شعرنا العربي ، في هذه المرحلة ، هي تصوّر الكثيرين أن الشعر الحديث المتحرّر من القافية والوزن أسهل من الشعر التقليدى . بينما الحقيقة هي العكس تماماً . ولو كنت ديكتاتوراً شعرياً — وأرجو ألا أكون ! — لفرضت على كل من يكتب الشعر الحديث أن يطبع ديواناً واحداً على الأقل من الشعر الموزون المقفى ، ثم يتحرر بعد ذلك ان شاء . هكذا فعل كل الشعراء الذين أبدعوا فى كتابة الشعر الحديث . أما أن يبدأ الشاعر تجاربه بدون وزن ولا قافية بحجة التحرر من القيود فهذا كمحاولة صبى في السابعة والثامنة أن يبدع لوحة سيريالية تحتلّ العين منها ضعف مساحة الرجل . والواقع أننا نجد « تجارب » شعرية هذه الأيام أشبه ما تكون بلوحات سيريالية من إبداع طفل في السابعة . هذا بطبيعة الحال لا يعنى ألا يكون لمثل هذه اللوحات السيريالية معجبون وقراء ونقاد — (من « شلّة » الطفل غالباً !) . إلا أن « الخربشة » شيء .. والفن شيء آخر . ويؤسف المرء أن يقول كثيراً مما ينشر هذه الأيام باسم الشعر الحديث لايعدو أن يكون « خربشة » .

وأين أحلى الكلام ؟!

● ما أحلى كلام أزهر على شفتيك ؟ ونما على عشب بوحك الجميل ؟

فوزى عبد الوهاب خيّاط

□ لو قلت أحلى كلام عندي لكان معنى هذا أنى انتهيت وانتقلت إلى متحف الشمع !

عندما كنت في الثامنة عشرة قلت :

آه ! كم أشقـــــــى بشيءٍ مبهمِ
ثائـــرٍ .. يشعـــل ناراً في دمـــي
مرسلاً اصداءه عبر فمـــــــــــي
عالم يسبـــح فيـــــه قلمــــــي
ثم يرْتُــــد كسيــــح القـــــدمِ
آه ! لو صورتُـــــه في كلمـــــي
لمنــــحتُ الدهــــر أحلى نغـــمِ
طاف في بال يراعٍ مُلهــــــــــمِ

وفي الخامسة والعشرين قلت :

لا تخدعنّك أبياتٌ أنمقّهـــا فإن زخرفة الأشعار من حِيَلي
وأصدق الشعر بيتٌ فرَّ من شفتي وضلَّ عن درب قرطاسي..فلم يَصل

وفي الخامسة والثلاثين :

ولماذا ..
كلما حركنا الشعر .. غزانـا النثرُ ..
فالألفـــــاظ فحـــــمٌ دون نار ؟!

وبعد الأربعين كتبت :

قصيـــــــــــــــدى خيره الصمتُ !

لا يزال الشعور القديم هو نفسه لم يتغير . أحلى الكلام هو الذي لم أكتبه بعد . أحلى الشفاه هى التى لم تهمس لي بعد . أحلى الضفائر هى التى لم تشر لي بعد . أحلى الجزر هى تلك البعيدة .. البعيدة .. البعيدة !

والشعر : يرفع أم يخفض ؟!

● قيل ان شعرك رفعك بأجنحته ــ كما قيل ان اجنحة شعرك قد تكسّرت فأضرّت بك ــ ما مدى صدق هذا ؟

على محمود

□ لم أنظر إلى الشعر يوماً ما على أنه « وسيلة » تقود إلى « غاية » . كنت

أعتبر الشعر دائماً غاية في حد ذاته . ولا أعتقد أن مساري المهنى قد تأثر بشعرى . أو أننى كتبت الشعر هادفاً تحقيق غرض معين في نفسي . لقد كان قدري أن أكون شاعراً ـــ والمرء لا يهرب من قدره . تسألنى ، يا سيدى ، هل ضرّنى الشعر أم نفعنى ؟ ليس هذا هو السؤال . هل بإمكاني إلاّ أن أكون شاعراً ـــ هذا هو السؤال !

شعرى .. في الأغانى ؟!

● هل تؤيد أن يتغنّى بأشعارك في الأغاني ؟

ايمان علي

□ لم لا ؟! إنها بكل، تواضع ، أحسن بمراحل من الأغلبية الساحقة من الكلمات التى اسمعها في الأغاني .

الشعر والغناء .. و« السّح الدّح » !

● الأغنية العربية تعانى من اهتزاز ورتابة وركاكة . أهى مسؤولية الشعراء الكبار المبتعدين عن إنقاذها ؟

عبد الله الشيتى

لا يحتاج الأمر إلى تدخل من شعراء كبار أو صغار . فالانتاج الشعرى الصالح للغناء كثير ومتنوع ومتوفر بسهولة سواءً من التراث أو من الإنتاج المعاصر . وقد أثبتت فيروز أن الكلمة الراقية يمكن أن تطرب وتسحر . كما أثبتت أم كلثوم الشيء نفسه في القصائد التى غنتها . وكذلك عبد الوهاب . إن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على المطربين والمطربات من الذين يفضلون « السح الدح » « واشرب كازوزة أنا » على الكلمات الرفيعة . كما يقع على الجمهور الذى يرضى أن يملأ أذنيه بالسّح المشار إليه أعلاه والكازوزة وبلاطه المرمر .

الشعر .. والالتزام

● من أبعاد التجربة تتكون عناصر القصيدة الشعرية .. ما علاقة تجربة الشاعر بموقفه ؟ وهل يعدّ ذلك نوعاً من « الالتزام » بمعناه النقدى المعروف ؟

« مجلة الفيصل »

□ أحب أن أختلف معك منذ البداية فأقول انني لا أعتقد أنه يوجد هناك « التزام نقدى معروف » . والواقع أننى أرى أن كلمة « التزام » من أكثر الكلمات غموضاً واضطراباً حيث أن كل إنسان يفهمها بمعنى يختلف عن فهم الآخرين . إن كل نقاش عن الالتزام ينتهي فى آخر المطاف بما يشبه « حوار الصم » ، في تجربتى الشخصية على أى حال . اننى أعتقد أن « الالتزام » مفهوم سياسي ، ويعنى ، في معظم الحالات ، ان الناقد أو القارىء يوافق على المنهج السياسي والخط الاجتماعي للشاعر ، فيعتبره « ملتزماً » . ومادام هذا المفهوم سياسياً خالصاً ، فإننى أشك فى إمكانية اعتباره مفهوماً نقدياً أو أدبياً نافعاً . إن الذي يعنينا من شاعرما هو شعره فحسب ، وأعتقد أن تجاوز ذلك للبحث والتنقيب عن « موقفه » أو « التزامه » هو من قبيل الشطط والتعنت خاصة وأن أى حكم سنصل إليه سيكون حكماً سياسياً أو حكماً أخلاقياً ولن يكون حكماً نقدياً . هل كان للمتنبي « موقف » ؟ هل نزار قباني « ملتزم » ؟ هل كان العباس بن الأحنف شاعر « عبث » أم شاعر « مبدأ » ؟ لا أستطيع أن أجيب على هذه الأسئلة إجابة قاطعة ، ولا تهمنى الاجابة الصحيحة ، إن وجدت ، بقدر ما يهمنى علمى أن هؤلاء الثلاثة شعراء حقيقيون وأنه بوسعى أن أقرأهم واستمتع بما أقرأ دون أن أضرب في معميات ومتاهات من الجدل حول مدى « التزام » الشاعر ، أو مدى ارتباط تجاربه « بموقفه » . هذا ، على أية حال ، رأيي كقارىء وللنقاد آراؤهم وفوق كل ذى علم عليم .

مسار الشاعر : نرصد أو لا نرصد ؟!

● إحساس الشاعر انطباعى يتغيّر بتغيّر المواقف والتجارب .. فكيف يكون رصد مسار الشاعر من خلال هذه المتغيرات .. والمواقف .. والتجارب ؟

«مجلة الفيصل »

□ لماذا نريد أن نرصد مسار الشاعر ؟ أليس الهدف من هذا الرصد أن ننتهي بحكم ذى طبيعة سياسية أو طبيعة أخلاقية فندين الشاعر سياسياً أو اجتماعياً أو أخلاقياً أو نمدحه ؟ إن قيمة ما يكتبه الشاعر يتوقف على مدى « فنية » ما يكتب ، يتوقف على روعة عطائه وصدقه وحرارته ، ولا يتوقف على التزامه موقفاً معيناً أو سيره على نهج معين . من هنا فإننى لا أرى أى ضير فى أقرأ لشاعر يتناقض مع

نفسه ومع مواقفه السابقة ومع منطلقه القديم . لا بل أنني أعتقد أن الإنسان السوى هو بالضرورة إنسان متناقض . من طبيعة النمو التخلى عن مواقف قديمة واكتساب مواقف جديدة ، الأمر الذي يبدو في نظر المراقب المتفرج نوعاً من التناقض . يكفي الشاعر أن يكون صادقاً مع تجربته عندما كتب عنها ، ولا يهم أن يتناقض معها مستقبلاً . المهمّ ألا يزيف الشاعر أحاسيسه ويعرضها للبيع أو للإيجار أو للإعارة . أما كون هذه التجارب تشكّل في مجموعها « مساراً » واضحاً محدّداً أو « التزاماً » معيناً ، فهو أمر قد يهم من زاوية أخلاقية أو سياسية أو إجتماعية ، ولكنه ليس بذى بال من زاوية فنية . لقد كنت ، ولا أزال ، أطالب بشدة بإبعاد المعايير السياسية والاجتماعية عن الشعر. ولقد كنت ، ولا أزال ، أرى أن أى معيار يزج به زجاً في الحكم على الشعر للوصول إلى نتائج ذات طبيعة أخلاقية أو سياسية هو معيار قليل الفائدة إن لم يكن ضاراً . لنذكر أن الشاعر إنسان قبل أن يكون شاعراً ، ومادمنا نغفر للبشر مختلف نواحى ضعفهم البشرى فلماذا نطلب من الشاعر أن يكون أنموذجاً مختلفاً للسلوك في الوقت الذي نطلب منه أن يعبر عن التجربة الإنسانية كما يراها ؟!

وماذا عن شعر الاخوانيات ؟!

● جانب من شعرك يغلب عليه الترف الفكري . ناهيك بجانب آخر هو شعر الأخوانيات والمداعبات . ما موقع هذا العطاء فى الشعر ؟ هل هو أدب ذاتى أم أدب مناسبات ؟

عبد الله الشيتى

□ لا يوجد فى شعرى ترف من أى نوع . ولكن دعنا من هذا الآن . تسأل عن أدب الاخوانيات . ان حصيلتي من هذا الباب كثيرة ولو أننى تعودت ألا أحتفظ بشيء من شعرى فى الاخوانيات ، لأننى لا أعتبره أدباً جديراً بالنشر والبقاء وعناية القراء . فهو يكتب ، عادة ، ارتجالاً أو شبه ارتجال . وهو لا يستند إلى تجربة نفسية حقيقة . ويندر أن يأتى بشيء ذى بال . وأعتقد أن القراء الذين يحرصون عليه يعجبهم ما ينطوى عليه ، غالباً ، من فكاهة ودعابة . إلاّ أن النكتة شيء ، والشعر شيء آخر .

الفصل الثالث عشر

.. والحيـــاة



ومـن لم يعشق الدنيـــا قديماً ؟

ولكـن لا سبيـل إلى الـــوصالِ

المتنبي



الشعر والصدمات الحضارية ...

● ماذا عنيت « بالصدمة الحضارية » التي واجهتك في القاهرة — « والصدمة الكبرى » التي اعتورتك في أمريكا ؟

علي محمود

□ في مجتمع الأحساء الذي ولدت فيه ، وفي مجتمع البحرين الذي انتقلت إليه وأنا في الخامسة ، كان أفراد المجتمع يعرف بعضهم بعضاً . وإذا تذكرت أنني ولدت في عائلة يقدر عدد أفرادها بالعشرات — وربما المئات الآن — أدركت أنني كنت محاطاً أينما ذهبت بوجوه أعرفها وتعرفني . في القاهرة ، تغيّر هذا الوضع إذ وجدت نفسي فجأة في مجتمع يتكون من ملايين لا أكاد أعرف منهم أحداً . كان هذا الوضع في بادئ الأمر مصدر وحدة ووحشة وألم ، وشوق إلى المكان القديم المألوف . ثم ، بطبيعة الحال ، مع مرور الأيام تطورت الأمور فأصبحت أشعر وأنا في القاهرة أنني في وطني . وعندما غادرت القاهرة بعد انتهاء سنوات الدراسة الجامعية كنت أشعر بالفعل أنني أترك بقعة لها موقع قريب من شغاف القلب وذكريات لصيقة بالروح (لا يزال الموقع ! ولا تزال الذكريات !) .

غير أن « الصدمة الحضارية » الحقيقية كانت في مجتمع الولايات المتحدة ، هذا المجتمع الذي يختلف جذرياً عن مجتمع المملكة ومجتمع البحرين ومجتمع مصر . السرعة المذهلة في كل شيء . التنافس الرهيب . المادية الواضحة. إنشغال كل إنسان بأموره الخاصة . التقدم التقني الرهيب . العلاقة المختلفة تماماً عن العلاقةِ في الشرق بين الجنسين . كل هذه أمور يقف أمامها كل طالب شرقي يذهب إلى الولايات المتحدة مبهوراً مذهولاً . وأعتقد أن قلة فقط من الطلبة الشرقيين هم الذين سلموا من شعور الوحشة الرهيب في بداية اتصالهم مع المجتمع الأمريكي . إلا أن كل « الصدمات » تخفّ بمرور الوقت . وقد كان هذا شأن تلك الصدمة الحضارية إذ

أنها بِدأت تتحوّل إلى تأقلم تدريجي وان كانت قد تركت في نفسي — وفي شعري — بصمات لا تنسى .

الأستاذ .. والوزير .. والشاعر :

● غازى القصيبي . شاعراً .. وأستاذاً جامعياً .. ووزيراً ... كيف تفاعلت هذه الجوانب مع بعضها البعض ؟ ماذا أخذ كل جانب من الجوانب الأخرى وماذا أعطى لها ؟

« مجلة أهلاً وسهلاً »

□ لقد تعلمت من بقائى فى الجامعة سنين طويلة ، طالباً وأستاذاً ، قواعد البحث العلمي والمنهج الموضوعي . وأعتقد أننى ، مسؤولاً ، حاولت ، قدر طاقتى ، اعتماد الطريقة المنهجية أساساً لصنع القرارات . من ناحية أخرى ، كنت دائما أذكر نفسي ، مسؤولاً ، إن السلطة ظاهرة زائلة عابرة وأن على المرء أن يبذل أقصى جهده لئلا تؤثر خمر السلطة على اتزانه ولعل كونى شاعراً قد ساعد على تكوين هذه الحصانة . من ناحية ثالثة ، لا شكّ أن عملى وزيراً قد ساعدنى على أن أرى جوانب من الطبيعة البشرية يصعب الاطلاع عليها إلاّ من مثل هذا الموقع . ولا أشك أن هذه الخبرة ستفيدني إذا عدت إلى التدريس الجامعي ، وربما كانت قد أفادتني شاعراً . تسألنى هل استفاد الشاعر من الأستاذ الجامعي ومن الوزير أم كان الضرر أكبر فأقول — صادقاً — إن هذا سؤال لا أعرف الإجابة عليه .

من الطالب ... إلى السفير :

● كيف تطوّر شعر غازى القصيبي : الطالب ، المراهق ، الابن ، العاشق ، الأب ، صاحب المناصب ، الوزير .. السفير ؟

ايمان على -

□ تطوّر مع تطوّر حياتي نفسها ، حادثة حادثة ، مرحلة مرحلة تجربة تجربة . وإذا عدت إلى **أشعار من جزائر اللؤلؤ** الذى كتبت معظم قصائده بين سنيّ السابعة عشرة والعشرين **والعودة إلى الأماكن القديمة** الذى كتبت معظم قصائده بعد سن الأربعين أحسست بالمسافة الهائلة التى تفصل شعر اليوم عن شعر الأمس . لقد تركت الأيام والليالي بصماتها على نفسي ، وبالتالي على قصائدي .

وهذا هو الأمر الطبيعي الذي ينسجم مع سنن الحياة ونواميسها . إن همو م المراهق غير هموم الشاب غير هموم الكهل (أما هموم الشيخ فلم أصل إليها بعد !) . إننى أتمنى أن يظلّ شعرى فى حالة تغيّر مستمر ويستوى عندي ، بعدها ، أن يكون التغيّر إلى الأفضل .. أو الأسوأ .

الشعر .. بين الزمان والمكان :

● إحساسك بالزمان يرتبط بالفجيعة ــ وإحساسك بالمكان مخالف لذلك ــ فما مردّ هذا التباعد ؟

عبد الحميد المحادين

□ لا ! الفصل بين الزمان والمكان ، شعرياً ، أمر مستحيل أو يكاد يكون مستحيلاً . ولو استطاع شاعر أن يتصوّر مكاناً بدون زمان ، أو زماناً بدون مكان لخرج علينا برائعة من روائع « اللا معقول » . هل تريد مثلاً ؟ زقاق في المنامة ... ــ ولكن متى ؟ . لهذا الزقاق رائحة في سن الخامسة ، ورائحة مختلفة في سن الخامسة والعشرين ، وثالثة في سن الخمسين .. فعن أى زقاق أتحدث ؟ تريد مثلاً ثانياً ؟ فتى فى العاشرة .. ولكن أين ؟ فى حصة الحساب التى يمقتها ؟ أم في حصة الإنشاء التى يعشقها ؟

لقد وضع ابن الرومي يده ببراعة على هذه العلاقة الديناميكية بين الزمان والمكان عندما قال :

وحــــبّب أوطـــــان الرجـــــال إليهم
مآرب قضاهـــا الشبـــاب .. هنالكـــا
إذا ذكـــروا أوطـــانهم ذكـــــرتهم
عهـود الصبـــا فيها فحنـــوا لذلكـــا

فالمكان (الأوطان) لا معنى له بدون الزمان (الشباب) . والشباب (الزمان) ضائع بدون الأوطان (المكان) .

عن الأماكن القديمة :

● من يقرأ أشعارك يحسّ بحجم الحنين الهائل الذى تحمله لزمن البراءة الأول ،

ولأماكن الطفولة الأولى ، فما قيمة الزمان والمكان في تجربتك الشعرية ؟

محمد همام

□ من منا لا يحن إلى الزمن القديم ؟ حتى ابنى فارس الذى لم يتجاوز الثامنة يتحدث معى أحياناً بحنين عن تجربة مرّت به « عندما كان صغيراً ! » كانت الحياة يوماً ما أقل تعقيداً ، أكثر براءة ، أغزر شعراً ، أو هكذا تبدو الآن . ثم جاءت الأيام والأعوام تقتل الأحلام الأولى تخنق الأوهام الأولى ، تغتال « الفارس القديم » كما يقول صلاح عبد الصبور ، تأخذ الهموم الصغيرة من الأكتاف الصغيرة لتضع الهموم الكبيرة على الأكتاف الواهنة : هموم الصراع مع العيش ، مع الواقع ، هموم المعركة الأزلية بين الإنسان والوحش والملاك اللذين يسكنان أعماقه ، وهموم الهزائم المتوالية في هذه المعركة . ألا يبدو الزمن الأول أرق وأحنى ؟ ألا تبدو الأماكن القديمة أكثر جمالاً وحناناً ؟

وما أدراك ما المناصب ؟!

● غازى السفير .. وزير الصناعة .. وزير الصحة .. الدكتور .. وغازى الشاعر .. هل الشعر يخدم فيك هذه المناصب ؟ أم هذه المناصب تخدم فيك الشعر ؟

عبد الحميد المحادين

□ المناصب لا تهم كثيراً أو قليلاً في ميزان الأدب . هل يهمك الآن أن بدوى الجبل كان وزيراً للصحة ؟ أو أن عمر أبو ريشة كان سفيراً ؟ أو أن « جوته » كان وزير المالية في مقاطعته ؟ أو أن أبا تمام كان « مدير عام » بريد الموصل ؟ أو أن ابن المعتز كان أمير المؤمنين لمدة ٢٤ ساعة ؟ أعتقد أن المهم هو الشعر وما ينطوى عليه من تجربة إنسانية صادقة . هذا ما سيبقى بعد أن تذهب الألقاب كلّها .. وتقفل كل دواوين الخدمة المدنية . ولا تنس أن أعظم شعرائنا لم يتمكن من الحصول على أىّ وظيفة في أى ولاية !

والمنصب .. مرة ثانية !

● ألا يشكل منصبك الرسمى عائقاً أمامك كشاعر فى طريق التعبير عن أفكارك ؟

ايمان علي

□ قد تحول الوظيفة دون النشر ، ولكن كيف تحول دون الكتابة ؟ ثم ماذا عن أولئك الذين لا يشغلون وظائف رسمية ؟ هل لاحظت أنهم في عالمنا العربي السعيد هذا يعبّرون عن أنفسهم بكل حرية .. وانطلاق .. وتمّرد ؟!

والمنصب .. مرة ثالثة !

● أنت شاعر منتشر الشعر.. فهل هناك أسباب لذلك غير شاعريتك .. كالانتشار من خلال المناصب العليا ؟

عبد الحميد المحادين

□ الأدب ، وحده ، وأعنى به هنا حسن الخلق ، يمنعني من أن أذكرك بعدد من علية القوم على امتداد العالم العربي نشروا الكتب والدواوين والقصص من أرائك السلطة ومع هذا فلم يقرأ لهم أحد ، ولم يأبه بهم أحد ، ولم يتذكّرهم أحد .

وهج الشعراء .. ومرور السنين

● يخفت وهج الشعراء إذا تزوّجوا وتعدّوا سن الإنفعال — فماذا وجدت أنت بعد أن تزوجت وأنجبت وتجاوزت الأربعين ؟

خالد باطرفي

□ خفوت الوهج هذا دعوى عريضة لم يقم عليها برهان يروّجها ، كما أتصوّر ، المراهقون والعزابّ . ليس هناك أى دليل يشير إلى أن مرور السنين أو الزواج أو الانجاب يؤثر تأثيراً سلبياً على الإنتاج الأدبي . والشعراء الذين تألقوا فى سنوات غروبهم أكثر من أن نعدهم . ولولا خشية إغضاب شعرائنا العرب « الكبار » الذين يخفون أعمارهم الحقيقية لسردت لك قائمة طويلة من الأسماء . صحيح أن بعض الشعراء لمعوا فى أوائل حياتهم ثم خبوا بعدها ولكن هذه حالات فردية يمكن أن تقابلها حالات فردية أخرى لشعراء لم يتألقوا إلّا مع خريف عمرهم . والمجتمع الأدبي في الولايات المتحدة يتحدّث هذه الأيام عن روائية نشرت روايتها الأولى وهى فى سن السبعين . على أية حال ، هذا لا يعني أن انفعال ابن الأربعين هو إنفعال ابن العشرين .. فالمفروض أن تكون تجارب الأيام والليالي قد أضافت بعداً آخر يختلف عن البعد القديم . أما فيما يخصنى شخصياً فلا أستطيع الحكم على إنتاجى وإن كنت لم ألاحظ أى انخفاض في الإنتاجية بعد الزواج أو الإنجاب أو الأربعين !

وماذا عن الأولاد .. وأمهم ؟!

● هل أثّرت الحياة الزوجية والإنجاب سلباً على شعرك ؟

راشد الجودر

□ لا أعتقد ذلك . كثير من الشعراء المبدعين تزوجوا وأنجبوا وكثير من العزاب لم يكتبوا شعراً . ولم يثبت أحد حتى الآن ، حسب علمي ، ان الشاعر الأعزب أفضل إنتاجاً من المتزوج . بعد ذلك يجب أن نتوقف لحظة لنرى ما يفعله الزواج والإنجاب بالشاعر . لكى يتحدث المرء بصدق عن تجربة ما يجب أن تكون قد مرّت به على نحو أو آخر . الذى لم يعرف الحب لا يستطيع أن يكتب عن الحب . والذى لم يعرف صديقاً واحداً لا يقدر أن يكتب عن الصداقة . تجربة الزواج والأبوة والبنوة تندرج تحت هذا المعيار . هل يمكن لكائنين اثنين أن يعرفا الالتزام المطلق ، وما يتبعه من ولاء مطلق ، ووفاء مطلق ، خارج أسوار الزواج ؟ هل يمكن لشاعر لم ينجب أن يتحدث عن الأبناء ؟ عن الفرحة مع أول سن تظهر في فم الطفل ؟ عن القلق مع كل مرض أو عرض ينتاب الوليد أو الوليدة ؟ الزواج والأبوة ، إذن ، تجربتان غنيتان بالحياة وان كان لهما من تأثير على الإنتاج الشعري فهذا التأثير ، فيما يبدو لي ، هو أن يجعل الإنتاج أغنى .. وأملأ بالحياة .

الذى لم يكن ...

● هل تعتقد أن أجمل الأشياء التى يبحث عنها الشاعر داخلك لم توجد بعد لأنك تلهث — ككل الشعراء — وراء الكمال المفقود في الحبيبة وفي الحلم .. وفي الآمال ؟ أم أنك تسعى لإكمال ما لم يستطع الإنسان إكماله في الواقع ؟

محمد همّام

□ المجهول يثير دائماً ، يغرى دائماً ، ويخيف قليلاً . ليس هذا موقف الشعراء وحدهم — أعتقد أنه نبض الطبيعة البشرية . ما نعرفه يصبح تدريجياً مألوفاً — وقد يصبح مملاً . أما ما لا نعرفه فهنا الإثارة .. وهنا الإغراء . تبدو الحياة أحياناً سلسلة من القمم كلما وصلت إلى قمة تحولت إلى سفح .. وبدأت ترتقى القمة المقبلة .. وهكذا ثم ان التساؤل عن الأشياء التى لم تكن تساؤل لذيذ . ماذا لو أن تلك البسمة العابرة لم تكن عابرة ؟ ماذا لو تكلمنا بدلاً من أن نصمت ؟ أو

صمتنا بدلاً من أن نتكلم ؟ ماذا لو ذهبنا إلى هذه الجزيرة ، بدلاً من تلك ؟ عبرنا هذا النهر بدلاً من ذاك ؟ ألا تعتقد أننا نستطيع أن نعيش مع هذه الأسئلة حياة ثانية لا تقل غنى عن الحياة التى عشناها بالفعل ؟

ما أشبه الليلة .. بالبارحة !

● كان والدكم تاجراً وممثلاً للمملكة العربية السعودية في البحرين .. وأنت الآن كذلك ولكنك لست تاجراً . فهل من تعليق ؟

عبد الحميد المحادين

□ على زمن سيدى الوالد ، رحمه الله ، لم يكن هناك تمثيل دبلوماسي ولهذا كان يسمى « الوكيل التجارى » ، وإن كانت كثير من أعمال الوكالة لا تختلف عما نسمية اليوم الأعمال القنصلية . كثيراً ما كنت أجلس معه بعد الظهر في المكتب لأساعده في بعض أعمال الوكالة . وكثيراً ما كان يكلفنى بكتابة برقية أو الرد على مذكرّة . ولعله كان يتعمد تدريبى « على رأس العمل » ، كما يقولون الآن ، وأنا بعد طالب في الثانوية . والآن وبعد أن دارت الأعوام دورتها أتطلع إلى برقية ما ، أو مذكرة ما ، فتبرق في ذاكرتي ملامح أبي الطيبة : عيونه وما فيها من ذكاء حاد ، وابتسامته الوارفة .. فأقول « رحمه الله ! » وأقول « ما أشبه الليلة بالبارحة » !

معالي الوزير .. وسعادة السفير !!

● ما الفرق بين الوزارة والسفارة ؟ واين وجدت نفسك أكثر عطاء وتفاعلاً ؟

عبد الله الشيتى

□ تعودّت منذ بدأت الخدمة العامة على أن أنظر إليها كعملة واحدة تتعدّد وجوهها ومظاهرها ولكن جوهرها الأصيل — وهو أن تعطي من نفسك بقدر ما يمكنك — لا يتغيّر بتغير المسميات والواجبات . كما علمتنى الحياة أن المرء يأخذ من كل عمل بقدر ما يمنح هذا العمل . إذا أعطيت عملك كل ما تملك من إخلاص وتفان وجدّ كافأك بمشاعر الرضا والحماس المتجدّد . أما إذا نظرت إلى عملك نظرة لا مسؤولة لاهية تحول رتيباً وعقيما . أما عن نفسي فإنني لا أجدها في موقع دون آخر ؛ إننى أحملها معى حينما أذهب !

مدن ... وحسان !

● ما هى أهم البلدان التى زرتها وتغنيت بها شعراً كما لوكانت نساء ؟ هل المدن تتشابه مع النساء ؟ في أى مدينة وأى امرأة قلت أجمل أشعارك ؟

عبد الله الشيتى

□ لا أودّ أن نخرج من الأدب إلى الجغرافيا وقد كانت من المواد البغيضة إلى قلبي . ولا أود أن يعتقد أحد أننى ابن بطوطة معاصر . ذلك أننى ، فى واقع الأمر ، قليل الأسفار . والمدن التى تشدنى بها علاقات عميقة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ــ وقد تتشابه المدن والنساء . وقد لا تتشابه . ولا ينبغي أن نشبه كل شيء نحبه بالمرأة ــ فهناك أشياء تحب وتكره غير النساء . اسمح لي أن أتجاهل الجزء الأخير من السؤال وأترك الإجابة لرأيك . ذلك أننى لا أريد أن تغضب مني مدينة .. أو حسناء !

الفصل الرابع عشر

... والتجربة



إذا اشتبهت دمـــوع في خدود
تبين من بكـــى ممن تباكــــــى

المتنبي



عن مدن الشوق .. ومشاتل الجموح ...

● دخلت كل مدن الشوق ، وتعرفت على كل مشاتل الجموح المسكون بالتحدي ، ترى بأى شيء امتلأت سلال تجربتك ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ لا ! لا ! لا ! هناك مدن كثيرة للشوق لم أزرها وان كنت أنوى زيارتها حالما تنهى إجراءات التأشيرة وهي أحياناً طويلة ومعقدة كما يعرف كل المسافرين . لا ! لا ! لا ! هناك مشاتل كثيرة لم أسرق منها بنفسجة واحدة ، ولا أزال أبحث عنها بين غابات الزهور الصناعية والبيوت الخضراء الدافئة التى تربىّ فيها « الكوسة » بدون تربة « والفراولة » بدون طعم . وسلال التجربة ؟ من قال انها ممتلئة ؟..

.. وزوّادتى كسرتان من الخبز ..
شيء من الملح ..
بعض قوافٍ جفاها البريق

التجربة تجدها عند الفلاسفة ومحاضرى الاذاعة والتلفزيون . هؤلاء هم بيوت الحكمة المتنقلة . أما الشعراء فسلالهم خالية الوفاض . كل تجربة تجيء تقذف بما قبلها إلى قاع « فيزوف » . لا تسأل الشاعر عن « التجربة » — إسأله عن آخر تجربة .

صنع القصيدة ...

● ما هى القصيدة بالنسبة لك ؟ وكيف تصنع قصيدتك ؟

محمد همّام

□ أنا لا أصنع قصيدتى ! هذه حقيقة مؤكدة ! القصيدة تولد فى الأعماق التى لا أكاد أعرف عنها شيئاً . فى الأعماق السابحة في الظلام كأغوار المحيطات تتكوّن

القصيدة تدريجياً من عشرات العواطف ، من عشرات التجارب ، من كلمة هنا ، من نظرة هناك ، وذكرى هنالك . هذا المزيج العجيب يختمر في هدوء ، أياماً أو أسابيع أو شهوراً أو سنين . ثمّ في لحظة سحرية ، بسبب أو بدون سبب ، تنفجر القصيدة وأقف مبهوراً أتفرجّ على هذا الحريق الساحر . هذه هي القصيدة عندي : بركان في أغوار النفس ينام ، ويتأمّل ، ويفكر ، ويعاني ، ويكابد ، ثم ينفجر شعراً . حياة متجدّدة مع اللهيب المتجدّد حياتى مع الشعر .

في أعماق التجربة ...

● هل يجب أن يعتمد الشاعر على التجربة الصادقة ؟ بمعنى أن الشاعر الذي يعيش تجربة ما يستطيع أن يجسدّها أكثر من الشاعر الذى لم يعشها ؟

نبيلة سليمان

□ نعم ! بل أذهب أبعد من ذلك فأقول ان الشاعر الذى لم يعش تجربة ما سوف ينتج لنا « منظومة » لا قصيدة . على أنه بعد أن نقرر ذلك لا بد من إيضاح الأمور حتى لا تختلط . « التجربة » ليست بالضرورة حادثة محدّدة .

هناك فارق هائل بين أنواع التجارب بحيث يصبح التعميم تضليلاً . هناك « تجربة » تستغرق العمر كله ، كتجربة الحياة نفسها . و « تجربة » تدوم لحظات ، وتختفي مع النظرة أو الإبتسامة أو الوردة . وهناك « تجربة » تختمر شعراً خلال أيام . و « تجربة » تختمر عقوداً . و «تجربة » لا تتحول إلى شعر . كما أن علينا أن نحدّد بدقة معنى « الصدق » في « التجربة الصادقة » . ليس المفروض أن تكون القصيدة نسخة فوتوغرافية من التجربة التي ولدتها وإلّا كانت نثرًا تفصيليًا شبيهًا بالمواصفات والمقاييس . أحياناً لا يكاد القارىء يتبين أثر التجربة في القصيدة إلاّ في رموز وإيحاءات تأتى خطفاً هنا وهناك . أحياناً تختلط عدة تجارب ، قد تكون متناقضة ، فى قصيدة واحدة .

أتريدين أن تعرفي السرّ البسيط العميق لمشكلة الغموض في الشعر ؟ إنها تنشأ عندما يتحدث الشاعر عن تجربة لم تمرّ بالقارىء . يصبح القارىء هنا كمن يقرأ كتاباً بلغة لا يحسنها !

وماذا عن شعر المناسبات ؟!

● في ضوء هذا الحديث عن التجربة ، ما هو رأيك في شعر المناسبات ؟

نبيلة سليمان

□ من الواضح جداً ، لي أنا على الأقل ، أن أى شيء يكتب لمجرد المناسبة ، سواء كانت قدوم شهر أو مطلع سنة أو زفاف وجيه ، ليس بشعر بل انه ، في أفضل حالاته ، نظم رديء . بعد أن نفرغ من هذه البديهية يجب أن نقول ان الشاعر قد يكتب قصيدة تتصادف مع مناسبة تكوّن تجربة حقيقية لدى الشاعر . نحن هنا لم نعد نتحدث عن « مناسبات » ولكن عن « تجارب » . ولهذا السبب فأنا لا أستطيع أن أعتبر الشعر الذى يكتبه شاعر عن حزيران الأسود أو عند وداع عزيز عليه أو مع ضحكة أول أطفاله من شعر المناسبات . لا بد أن ندرك أن المناسبة لا تنفى ، بالضرورة ، التجربة . وهذا أمر يخلط فيه كثير من النقاد المعاصرين الذى يستبعدون شعراً حقيقياً رائعاً لمجرد أنه وقع مع مناسبة ما ، ويتناسون التجربة التى كانت الخلفية الفعلية للقصيدة .

الشعر .. وهموم الإنسان ...

● لماذا لا يعبر الشعر عن قضايا الإنسان وهمومه ؟

ايمان علي

□ هذه طريقة طريفة فى وضع السؤال . والجواب هو أن الموضوع لا يمكن أن يعالج بهذه البساطة الآسرة . الشعر ليس دعاية تجارية وليس منشوراً سياسياً وليس مقالاً صحفياً . الشعر معاناة نفسية **حميمة صامتة** تتحوّل إلى كلمات عبر عملية غريبة أشبه ما تكون بالسحر والألغاز والطلاسم ــ الشاعر نفسه لا يدرى كيف يقول الشعر ، ولا لماذا يقوله ، ولا يقرر طبيعة قصائده . وعندما يتخذ الشاعر ، **أى شاعر ، قراراً بأن يتحوّل إلى متحدّث بإسم الإنسان وقضاياه فإنه ، في الغالب ،** يحوّل إنتاجه إلى دعاية تجارية أو منشور سياسي أو مقال صحفى . لماذا ينجح بعض الشعراء في التعبير عن الهموم الإنسانية دون غيرهم ؟ السرّ هو الموهبة . والموهبة لا تشترى فى الدكاكين ، ولا تعلّم في الجامعات ولا تأتي مع الايديولوجيات . الموهبة من فضل الله يؤتيه من يشاء .. بحساب وبدون حساب .

عن الشعر ... والفقر ...

● هناك من يقول انك لم تعبرّ عن معاناة الإنسان لأنك من طبقة مرفهة ومقتدرة .. فما هو تعليقكم على ذلك ؟

ايمان علي

□ وهناك من يقول ما هو أسوأ من ذلك ! لو كانت معاناة الإنسان الوحيدة على الأرض هى العوز المادى ، وهى حالة لم أجربها بحمد الله لا بفضل نبوغي المتوهج رغم أنها كانت دائما حقيقة أساسية من حقائق وجودى ، لكان القول صحيحاً إلى حد كبير . إلا أن معاناة الإنسان تتخذ ألف لون ولون وقد عشت من هذه الألوان ما شاء لي قدرى أن أعيش ، الأمر الذى يسمح لي بالحديث عن المعاناة الإنسانية بقدر لا بأس به من الخبرة الشخصية .

وماذا عن ورقة التوت ؟!

● ألا زالت ورقة التوت هى القضية ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ ورقة التوت ؟! قضية ؟! لست متأكداً أننى أفهم المقصود . هل بدأت تتأثر بالحداثة ؟ لعلّك تقصد بورقة التوت محاولة الإنسان الاختفاء عن الآخرين . لا ! ليست هذه القضية . القضية ، كما قال أحدهم « لا يوجد إنسان / جزيرة » .

وشرارة الإبداع !

● لكل مبدع شرارة تشعل مسك إبداعه — ترى من أين جاءت شرارتك ؟ ومتى ؟

خالد باطرفي

□ لا ! لا توجد شرارة واحدة إلا عند مجانين المبدعين مثل « مجنون ليلى » أو « مجنون إلزا » أو « مجنون أم كلثوم » . الشاعر يمتصّ التجارب طيلة الوقت في عملية لا شعورية لا تنقطع ليلاً نهاراً . يمتصّها كما تمتصّ الأسفنجة قطرات من الوقود حتى تمتلىء وتصبح جاهزة للاستعمال . عندها قد تكون الشرارة أى شيء : نظرة عابرة ، مقطعاً من أغنية ، صورة فوتغرافية باهتة الألوان ، قصيدة

نقرأها أو نسمعها ، محادثة هاتفية ، رسالة . وقد لا يكون هناك شيء محدد ، لا تكون هناك شرارة . أحياناً يزداد ضغط الأوكسيجين فيحصل احتراق داخلى فورى دون حاجة إلى تدخل عامل خارجي .

شعر السياسة .. وسياسة الشعر !

● ما هى تجربتك مع الشعر السياسي ؟

ايمان علي

□ لم أتعمد يوماً أن أكتب « شعراً سياسياً » . كما لم أتعمد يوماً أن أكتب شعراً عاطفياً . عندما أبدأ كتابة القصيدة أجهل كيف ستنتهي . لقد عبّرت عن مختلف تجاربي شعراً فكان من الطبيعي أن يتنوع الشعر بتنوع التجارب . إلاّ أننى لم أحاول الدفاع عن وجهة نظر سياسية معينة ، لم أحاول بطريقة شعورية على أى حال . لقد قيل عن الحطيئة أنه « عبد من عبيد الشعر » . وأنا ، بدورى ، عبد آخر . ذلك أن الشعر يملكنى .. ولا أملكه .

عن البحر ... وعن الصحراء !

● يتردّد ذكر البحر في كثير من قصائدك . كما يتردد ذكر الصحراء . لماذا ؟

راشد الجودر

□ لنبدأ بالبحر . العلاقة التى تربط أىّ كائن حىّ بالماء علاقة وطيدة لا تخلو من أبعاد ميتافيزيقية وفلسفية . نحن نعرف أن الله سبحانه وتعالى جعل كل شيء حى من الماء . وكان عرشه على الماء . نعرف ، إذن ، إن الحياة بدأت من الماء . نعرف أن الماء يشكل الجزء الأكبر من جسد الإنسان . هناك علاقة ضاربة فى الأعماق ، أعماق التاريخ وأعماق النفس، بين الإنسان والماء . والبحر ، باعتباره أكبر المسطحات المائية ، يشدّ الإنسان شداً غير مرئىّ . ويشدّ الشاعر أكثر من غيره . خصوصاً إذا كان الشاعر قد ولد ونشأ على أحضان البحر . كما حدث لي .

نأتى إلى الصحراء . الصحراء ، ببساطة ، هى مهد العرب . شهدت مولدهم ، ومنطلق رسالتهم ، وانبعاث حضارتهم . والصحراء ، بكل جفافها وهجيرها وسرابها وواحاتها ، بكل معانيها وأبعادها ، تسكن في أعماق كل عربيّ . غيرنا انطلق من وديان الأنهار أو المراعي ، أو الجبال . ولكننا انطلقنا من

الصحراء . شئنا أو لم نشأ فالصحراء حية في الذاكرة الكلية للعرب ، وجزء لا يتجزأ من الوجدان العربي .

أريد أن أضيف شيئاً آخر . البحر ليس بالضرورة نقيض الصحراء . وجوه الشبه كثيرة ومتعدّدة . الصحراء ، في نظري ، بحر متجمد من الرمال والبحر صحراء تسيل .

تجارب لم أعرفها ...

● ما هو الجانب الذى لم يتطرق إليه شعرك .. ولماذا ؟

ايمان علي

□ لا بد أن هناك عدداً غير متناه من التجارب الإنسانية التى لا تنعكس على شعرى . وأنا لم أحاول ، ولا أعتقد أن غيرى من الشعراء حاول ، تغطية كل مجال من مجالات النشاط الإنسانى شعراً . الشعر ليس عملاً موسوعياً يتضمن نبذة عن كل شيء ولكنه تعبير عن علاقة ذاتية حميمة بين الشاعر وحياته ولا يوجد شاعر واحد ، حتى شكسبير أو المتنبي ، يستطيع أن يعيش تجارب البشر أجمعين .

الشعر ... « والغرض » !

● أهناك من أغراض الشعر العربي ما تعرض عنه وتأباه .. ولماذا ؟

علي محمود

□ لقد عبرّت عن تجاربي بصدق وأمانة . أو حاولت ذلك على الأقلّ . ولم يكن يخطر ببالي عندما أكتب أى « غرض » من « أغراض » الشعر العربي التقليدية . أعنى اننى لم أكن أصنف ما أكتبه ضمن « الأغراض » القديمة . بل اننى أعتقد أن كثيراً من قصائدى يصعب أن تصنفّ حسب هذه الأغراض . وسوف استمر فى كتابة تجاربي بصدق وأمانة دون أن يهمنى في كثير أو قليل أن تدخل ضمن الموروثات القديمة المصنفة أو لا تدخل . يكفى أن تكون شعراً !.

بالعاطفة ... أو بالعقل ؟!

● كيف تكتب ؟ بعاطفتك ؟ بعقلك ؟ بماذا ؟

خالد باطرفي

□ أحب أن أقول ، أولاً ، إنني لا أكتب إلا بقلم حبر ذى ريشة طويلة كلاسيكية ، أسود اللون ، ضخم الحجم ، ألمانى الصنع . بعد هذه المعلومة التى لا تضرّ ولا تنفع (إلا ربمّا الشركة التى تصنع هذه ا لأقلام !) ، أقول اننى خادم القصيدة لا سيدّها . القصيدة هى التى تقرر هل أستخدم رأسي أو قلبي أو أي مزيج منهما . أننى أغبط أولئك الذين يتحكمون في كتابة الشعر — أما أنا فكتابة الشعر تتحكم فىّ . التجربة نفسها تفرض علىَّ الوزن والقافية والكلمات . وأنا ، تحت تأثير اللحظة الشاعرة ، أداة طيعة لا حول لها ولا قوة . أسأل سادة الشعر .. أما أنا فمن عبيده .. « وما فيَّ إلا تلك من شيم العبد » .

الحريق ! من أين ؟ وإلى أين ؟

● هذا الحريق المتواصل في قصائدك — من أين يأتي ؟ وفى أى أرض يحط ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ الحريق ؟! هل يعرف أحد من أين يجيء الحريق ؟ الحريق يجيء من كل مكان . من تلك النظرة الناعسة التى لم تقف لتسلّم . من تلك الضفيرة الواعدة التى حطت على كتف الغروب . من ضحكة الطفل الصغير . يجيء أيضاً من الخنجر المسموم المزروع في القلب . من منظر المجاعات في التلفزيون . من الجثث الممزقّة . من الشرف « المفروم فرماً » من نشرة الأخبار . يجيء ، صدق أو لا تصدق ، من عناوين الصحف . من صورة باهتة في دولاب عتيق . من أغنية : حريقى ليس من النوع الارستقراطى الذى لا يشتعل إلا فى قمم « الأولمب » الصافية . ولا هو من النوع البيروليتارى الذى لا يتولدّ إلاّ فى عرق الكدح . حريقى متسامح إلى أبعد الحدود : يشتعل بكبريت وبدون كبريت ، بسبب وبدون سبب (أعنى بدون سبب نفهمه نحن) .

أين يحطّ ؟ آه ! هذا الحريق سريع الحركة . لا تكاد تشعر به في عينيك حتى ينتقل إلى فمك . قبل أن تصرخ ينتقل إلى يديك . قبل أن تستطيع لمسه يفرّ إلى روحك . هناك يلعب لعبته المفضلة . يغيب ويظهر . « كما تلوّن في أثوابها الغول » . في أحيان نادرة استطيع اصطياد شرارة منه أسجنها فى شطر أو بيت أو مقطع . هل تريد اعترافاً صغيراً ؟ لو تمكنت من اصطياد شرارات أكبر لكنت شاعراً حقيقياً !

السكين .. أم أهداب المرأة ؟!

● إذا خيّرت أن تكتب بأهداب امرأة أو بحدّ السكين فأيهما تختار ؟ وفي أيهما أنت أقدر ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ في هذا السؤال ظلال « نزارية » ألم يقل نزار :

يا وطنى الحزينْ
حولتنى بلحظةٍ
من شاعر يكتب شعر الحب والحنينْ
لشاعر يكتب بالسكينْ

وتراودني رغبة ماكرة في أن أجيب إجابة نزارية فأقول ان أهداب المرأة أحدّ من نصل أي سكين . ولكن هذا الحديث معى وليس مع نزار ، فلندعه جانباً . أنا ، يا سيدى ، لا أكتب إلا بقلمي الأسود . ماذا أكتب به ؟ كيف أكتب به ؟ هذا هو السؤال ! السؤال سهل والإجابة صعبة . أتذكر شرارة الحريق التى تحدثنا عنها قبل قليل ؟ هى التى تحسم كل شيء . عندما تكون الشرارة آتية من عين حسناء يتحرك القلم ليرسم عين حسناء . عندما تكون الشرارة قادمة من طفلة جريحة يتحرك القلم ليرسم طفلة جريحة . تسألنى على أيهما أنا أقدر رسم الفرح أو رسم الترح لا أدري ولا القلم يدري ! الجواب عند الشرارة !

عن الشعر .. والسحر !

● حدثنا عن القصيدة .. من أين تجيء ؟. وكيف ؟

راشد الجودر

□ الحديث عن ميلاد القصيدة ينقلنا من الشعر إلى السحر . ميلاد العمل الشعرى يكاد يكون سحراً . ربما لهذا السبب كان الاغريق يؤمنون بوجود « ربّة » للشعر تلهم الشعراء . وكانت الملاحم الاغريقية تبدأ بنجوى هذه « الربة » طلباً للوحي . كما أن العرب واجهوا ظاهرة الشعر بانبهار . كيف يأتى هذا الكلام الجميل الغريب ؟ كيف يجيء فجأة ؟ كيف يثير ويهز — كما لا يثير ولا يهزّ النثر ؟ وكان الجواب بسيطاً : هناك « شياطين » تسكن في عبقر وتقذف الشعر في روع

الشعراء . ولكل شاعر شيطانه . وتحتوى كتب التراث على قوائم بأسماء شياطين الشعراء ، وهى بالمناسبة ، أسماء طريفة للغاية . نحن الآن فى القرن العشرين وقد ابتعدنا كثيراً عن عصر الأغريق وعصر الجاهلية . ولكننا لم نحرز تقدماً يذكر فى فهم العملية الشعرية . نحن نعرف أن القصيدة تولد في « اللاشعور » . ولكن ما الذى نعرفه عن هذا « اللاشعور » ؟. أقلّ من القليل . كل ما نعرفه أنه عالم حى قائم بذاته . إنه المخزون الذي يحتوى على ذكريات الطفولة ، على صور الماضى . كل تجربة مرت بنا وسقطت من الذاكرة تستقرّ في هذا المخزون . تتكون القصيدة في « اللاشعور » كما تتكون اللؤلؤة تماماً : حبّة رمل تدخل المحارة وتبنى حولها الهالة البيضاء البراقة تدريجياً . كذلك القصيدة . تبدأ حبة صغيرة في عالم كبير ثم تبني حولها بيتها الأبيض الجميل . تبنيه من ماذا ؟ من كل شئ تجده حولها : من الآلام ، من الأحلام ، من الاحباطات تبنيه فى صمت ، فى هدوء ، بدون عجلة . تبنيه دون أن يدرى الشاعر نفسه بما يدور داخله . حتى إذا اكتملت اللؤلؤة (القصيدة) انفجرت ، فجأة ، على العالم الخارجي . قد لا تستغرق الكتابة سوى ساعتين أو ثلاث . ولكن هذا ليس عمر القصيدة الحقيقي . عمرها بدأ حين بدأت الرملة الصغيرة رحلتها قبل شهور أو سنوات أو عقود من الزمن .

هذا ليس تحليلاً للعملية الشعرية . فالشعر لا يُحلّل ولا يُعلّل . وأرجو أن يظل الشعر كذلك .. إلى الأبد . إن مختبرات العلماء ضرورية جداً ولكنها ضيف ثقيل على الشعر والشعراء .

« أعذب الشعر أكذبه » ؟!

● قال النقاد القدامى أن « أعذب الشعر أكذبه » ما مدى صحة هذه المقولة ؟

« مجلة الفيصل »

□ لا يجب أن نعطي هذه العبارة حجماً أكبر من حجمها الحقيقي فهى لا تمثل نظرية مستقرة فى النقد ، ولا حكماً موضوعياً تمّ الوصول إليه بعد جهد وعناء . ويغلب على ظنى أن العبارة انطلقت عفواً فى بادئ الأمر ثم « جرت مجرى الأمثال ».وأشك أن أي شاعر حقيقي قد أخذها مأخذ الجدّ ، أو توقف عندها طويلاً . وتفسيرى الشخصي لهذه العبارة انها تعتبر مجرد تسجيل لحقيقة واقعة وهى

أن الشعر يجب أن يتضمن « شيئاً » ما فوق تصوير الواقع . لقد قلت من قبل وأكرر هنا أن الشاعر رسام يختار من الواقع بعض زواياه وألوانه وظلاله ، وليس مصوراً فوتوغرافياً يعكس الواقع كما يراه بكل حذافيره .

أكذب الشعر .. ومراثي هذيل ؟!

● سئلت هذيل « ما بال المراثى أجـــود أشعاركم ؟ » فقالت « لأنا نقولها وأكبادنا تحترق » أرادت عنصر الصدق .. كيف نوفق بين هذا العنصر وبين مقولة « أعذب الشعر أكذبه » ؟

« مجلة الفيصل »

□ إننى مع هذيل إلى النهاية . معها في أن الشعر الصادق هو ما ينبع من تجربة حقيقية ، حزن حقيقي أو فرح حقيقي . ومعها فى أن أشعار الرثاء تتميز ، فى العادة ، بصدق وحرارة وعفوية قد لا نجدها بنفس القدر فى « أغراض » الشعر الأخرى . ولا أعتقد أنه يجب أن نوفق بين هذا المنطلق وبين عبارة « أعذب الشعر أكذبه » فالعبارة الأخيرة كما قلت قبل قليل لا تمثل وجهة نظر مدروسة ينبغي الوقوف عندها وتحليلها ، والتوفيق بينها وبين ما قالته هذيل أو قاله غيرها . أعتقد أن موقف الشاعر الحقيقي من هذه القضية هو ما قاله شاعرنا الجاهلى :

وأن أحسن بيتٍ أنت قائلـــــــه
بيتٌ يقـــال إذا أنشدتـــه صدقــــا

وإلى العاطفة والعقل نعود !

● الشعر عند بعض الشعراء عملية ذهنية ذات أبعاد وزوايا .. وعند بعضهم الآخر تجربة تخضع لكثير من العوامل .. أين يقع الشعر فى رأيكم من هؤلاء وأولئك ؟

« مجلة الفيصل »

□ لا أعتقد أن بإمكان أحد ، شاعراً كان أم ناقداً ، أن يجيب على هذا السؤال بدقة ووضوح . وأنا ، شخصياً ، أشك فى أن هناك نوعين من الشعراء أحدهما يعتبر الشعر عملية فكرية خالصة والآخر يعتبره عملية عاطفية أو نفسية . وأعتقد أن هذا الانطباع يتولد عند القارىء بعد أن يقرأ عملاً شعرياً معيناً فيتصور أن كتابة القصيدة كانت بالنسبة للشاعر عملاً فكرياً أو عملاً عقلياً يحتاج إلى مجهود

ذهنى أو يتصور ، على النقيض ، انها كتبت بعفوية وانطلاق . وليس هذا الموقف بالجديد فنحن نذكر عبارة المعرى الشهيرة « المتنبي وأبو تمام حكيمان أما الشاعر فالبحترى » — وهو حكم لا أشك أن هناك من يجادل فيه بشدة . ان كل الشعراء ، فيما أعتقد ، ينظرون إلى العملية الشعرية التى تسبق المخاض وتواكبه على أنها مزيج من العوامل الواعية والعوامل اللاواعية ، مزيج من الذكاء والعاطفة ، مزيج من العقل والقلب . وأعتقد أن أى شاعر سيشعر بالإهانة فيما لو قيل له أن شعره يمثل مجهوداً ذهنياً أو فكرياً خالصاً . غير أن مدى نجاح الشاعر فنياً فى التعبير عن تجربته هو الذى يحدد موقف القارىء منها فعندما يتلقى القارىء تجربة الشاعر وقد عبرت عن نفسها بطريقة تقريرية مباشرة ، يعتبر القصيدة عملاً فكرياً جامداً وعندما يلمس فى القصيدة روحاً شفافة موحية معبرة يتصور أنها ولدت بمنأى عن سلطان الفكر الجامد . إن العملية الشعرية لا تزال ، وستبقى ، مليئة بالألغاز والأسرار . والشعراء أنفسهم أعجز من أن يستطيعوا فهم هذه الألغاز والأسرار . وهذا التفاعل الكيمائى السحرى بين الفكر والإحساس سيبقى أحد جوانب هذه العملية المحاطة بحجاب كثيف من الغموض .



الفصل الخامس عشر

.... والحب

لعينيكِ ما يلقى الفؤاد .. وما لقى
وللحب ما لم يبق مني ... وما بقى

المتنبي



فى البداية : المرأة !

● حدثنا عن المرأة في حياتك وفى شعرك .

راشد الجودر

□ قصتى مع المرأة بدأت قبل أن أولد ! بدأت وأنا جنين تحمله أمى ، رحمها الله ، فى أحشائها . ولم تنته . ولا أتوقع أن تنتهي إلا بنهايتي . كانت المرأة ، دائماً ، وجوداً مكملاً لوجودى . كانت ، دائماً ، رفيقة طريق ، وأنيسة عمر ، وشريكة رحلة . وكنت نصفاً ضائعاً يتطلع إلى لقاء نصفه الآخر . لم تكن المرأة لدي أبداً وجهاً فاتنا أستوحى منه بيتاً أو بيتين ، ثم أنصرف عنه بسلام . وكم أتألم عندما أرى بعض الشعراء يتحدثون عن المرأة شفة مكتنزة ، أو صدراً عامراً ، أو نظرة ساهمة — ولا شيء بعد ذلك ، أو قبل ذلك . هؤلاء الشعراء أبعد الناس عن فهم روح المرأة وإن ألفوا مئات الدواوين عنها . الشاعر الذى يختزل وجود المرأة ، بكل طموحاته واهتماماته وتعقيداته التى لا تقل عن طموحات الرجل واهتماماته وتعقيداته ، ليصبح قبلة أو لحظة من شهوة عابرة يسيء إلى المرأة إساءة بالغة .. كما يسيء إلى نفسه . فالرجل الذى يحتقر المرأة رجل غير جدير بالاحترام .

كانت المرأة دائماً جزءاً من حياتى . وكان من الطبيعي أن تكون دائماً جزءاً من شعرى — لقد وصفت مراراً بأننى شاعر امرأة ! — إما بوجهها المباشر ، أو رمزاً يمثل الأرض ، أو رمزاً يشير إلى الخلاص ، أو هذه الأشياء مجتمعة . وإذا كنت لا أستطيع أن أتصور لنفسي حياة بدون امرأة فأنا ، بالضرورة ، لا أستطيع أن أتصور لي شعراً بدون امرأة .

القناعة الكبرى ! القضية الكبرى !

● المرأة فى حياتك — كيف تتسلل إليك ؟ وبأى القناعات تتوسد ساعديك ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ كنت أتمنى لو لم تسألني عن المرأة . فلاهذه الورقة تكفي . ولا أوراق « الندوة » تكفى . ولا جرائد العالم تكفي . كيف أبدأ الحديث ؟ تسألنى عن تسلل المرأة . أرأيت كيف يتسلل الأوكسجين إلى الدماء ؟ كذلك تسللها ! هل تتصور الدماء بلا أوكسجين ؟ كذلك غيابها ! أرأيت كيف يتسلل الشذى إلى الوردة ؟ كذلك تسللها ؟ أرأيت وردة بلا شذى ؟ كذلك غيابها !

المرأة تشرق مع الشمس وتغرب معها . تطلع مع الربيع وتزهر فى مواسم الحصاد . تنبثق من أغنيات الفلاحين . وتترعرع فى حداء المسافرين . وتخطر فى مواويل البحارة . في كل همسة « ماما ! » هناك امرأة .. امرأة رائعة الجمال . فى كل همسة « بنتى ! » هناك امرأة .. امرأة رائعة الجمال . فى كل همسة « حبيبتى ! » هناك امرأة .. امرأة رائعة الجمال . القناعات ؟ ابداً ! المرأة لا تحتاج إلى قناعات . المرأة هى القناعة الكبرى ! هى القضية الكبرى ! هى الملحمة الكبرى !

الدهشة .. والحب ...

● من كان أكثر تأثيراً فى تفجير ينابيعك الشعرية : أول تجربة حب أم أول دهشة أمام الحياة ؟

محمد همام

□ هل يمكن الفصل بين الحب والدهشة ؟ أليس الحب دهشة لا تنتهي ؟ أليست الدهشة أمام الحياة حباً ؟ فلنقل انها كانت دهشة الحب .. أو حب الدهشة !

لا شعر إلا شعر الحب !

● أى من جوانب الشعر أقرب إلى نفسك : الغزل ، الشعر السياسي أو الاجتماعي ؟

ايمان علي

□ أعتقد أن التقسيم التقليدى للشعر بحسب أغراضه قد استنفد أهدافه ، وانتهى ، أو يجب أن ينتهي . لم يعد لدينا ، بحمد الله ، باب منفصل من أبواب

الشعر للهجاء . والمديح ، بدوره ، فى طريقه إلى الانقراض . وكذلك رثاء الوجهاء والأعيان . وشعر « الطرد » ، وصف الصيد وحيواناته ، اختفى . ولم أعد أسمع أحداً يتحدث عن « الشعر الوصفى » أو « شعر الطبيعة » .

ماذا يبقى إذن ؟ يبقى الشعر / الشعر وهو شعر حب سواء كان حب امرأة بذاتها (غزلاً) ، أو وطنا بعينه (شعراً وطنياً) أو الإنسانية جمعاء (شعراً إجتماعياً — سياسياً .. واقعياً) .

والفروق بين هذه الأنواع من الحب أضأل بكثير مما نتصور (فلا يوجد وطن دون حبيبة ، ولا حبيبة دون وطن ، ولا وطن وحبيبة دون انتماء إنسانى أوسع) . وجميع شعرى ، كما يحلو لي أن أتصور ، هو من هذا النوع : شعر الحب ، بوجوه الحبّ المختلفة .

المرأة .. رمزاً

● لماذا قلت ان المرأة فى قصائدك ليست بالضرورة إنسانة حقيقية وإنما قد تكون رمزاً ؟

علي محمود

□ لأن هذه حقيقة واقعة . الشعر ليس كاميرا تنقل الواقع بحذافيره ولكنه ريشة فنان تختار من الواقع بعض ملامحه وخصائصه . والرمز فى الشعر قديم قدم الشعر نفسه . ولا أظن أحداً بحاجة إلى تذكير أن الشعراء الصوفيين استخدموا الغزل للتعبير عن الحب الآلهي . وفى عدد من قصائدي تظهر المرأة كرمز يتجاوز المرأة بمفهومها البيولوجي المحدّد . قد تكون رمز الحرّية . أو الخلاص . أو الوطن . أو كل هذه الأشياء . ولا أظن أننى أبالغ إذا قلت إن المرأة فى كل شعر خالد يندر أن تكون مجرد مخلوقة من لحم ودم — بل انها ، بالإضافة إلى ذلك ، تعبير عن معنى كبير يختفى وراء الحب الكبير . هل تستطيع أن تحب امرأة دون أن تحب الأرض التى أنبتتها ؟ أو الوطن الذى يضمكما معا ؟ أو المثل العليا التى تؤمنان بها ؟ أما أنا فلا أستطيع !

الحب زواجاً !

● هل تزوجت عن حب ؟

عبد الله الجفري

□ نعم . الحب بمعنى « الرحمة والمودة » لا بمعنى الاحتراق العاطفى .

وماذا عن ابنة الجيران ؟!

● أليست في حياتك « ابنة جيران » ؟

عبد الله الجفري

□ فى سن المراهقة .. كانت هناك .

وهل غازلتها ؟!

● هل قلت فيها شعراً ؟

عبد الله الجفري

□ قلت قصيدتين أو ثلاثاً . من ردىء الشعر !

وأعجب شعور !

● هل سبق لك أن شعرت بملل وأنت تتحدّث مع امرأة جميلة جداً ؟

عبد الله الجفري

□ كلا . لم أتعرّف على شعور كهذا بعد .

المرأة « الفقاعة » !

● الشعر والمرأة .. كيف ترى العلاقة بينهما ؟

محمد همّام

□ علاقة غير متوازية تميل بعنف وإصرار إلى جانب المرأة ذلك أنه لا يمكن أن يوجد شعر دون امرأة ، بينما يمكن أن توجد أمرأة دون شعر . ولكن دعنى أسارع فأقول ان هذه المرأة ستكون امرأة عابرة كالفقّاعة لا يعرف تاريخ الجمال ولا تاريخ

الجميلات عنها شيئاً . الشعر والمرأة ، إذن ، يكملان بعضهما . المرأة تجعل الشعر شعراً ؛ والشعر يجعل المرأة أحلى .. وأشهى .. أمتع .. وابقى !

المرأة .. الماضي .. الحب

● المرأة ، وذكريات الماضى ، والحب مواضيع تتكرر في شعرك ـــ فماذا يمثّل لك كل منها ؟

ايمان علي

□ أما المرأة ، فلا أتصور وجود شعر بدونها . في البداية جاءت المرأة ، ثم جاء الشعر . ووجود بدون امرأة هو وجود نثرى إلى درجة الملل المميت . أما الماضي ، فنحن نقضي حياتنا متطلعين إلى الغد ، أو مفكرين في الأمس . وإذا كان من الطبيعي أن نقضى صدر حياتنا مع أحلام المستقبل فمن الطبيعي عندما نقارب الأربعين ونتجاوزها أن نعود إلى ذكريات الأمس . أما الحب فهو عمود الشعر وروحه وجوهره . وكل شعر حقيقي هو ، في النهاية ، شعر حب . إن الحب والشعر ، في كتابي ، توأمان من فصيلة التوائم السيامية لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ألا بقتلهما معاً .

الحــب ... والمأساة !

● قلت ان الحبّ لا يحل مشاكل الحياة .. أتراك اخترت جانب « كورنل » ضد « راسين » في الأدب الشعرى المسرحى الفلسفى الفرنسي ؟ كان « كورنل » يسمو بالواجب فوق الحب ، بينما رأى « راسين » أن الحب دواء لكل داء .

علي محمود

□ أعتقد أن الحب ، في حد ذاته ، لا يمكن أن يحل مشاكل الحياة . بل ان الحب الأبله أو الأحمق قد يتحوّل مشكلة جديدة من مشاكل الحياة . غير أن الحب المقترن بمثل تسنده ويسندها ، بإيمان بخالق الكون ومبدعه ، برغبة أكيدة في خدمة البشرية ـــ مثل هذا الحب يستطيع ، بالتأكيد ، أن يكون مصدر قوة كبيرة يحتاج إليها المرء وهو يواجه زوابع الحياة وعواصفها . المسألة إذن ، مسألة تعريف . أى أنواع الحب نقصد ؟ إذا كنا نقصد نزوة الجسد العابرة فهذه غريزة بيولوجية لا يمكن أن نطلق عليها اسم الحب . وإذا كنا نقصد شهوة المراهقة المتعطشة

فهذه ، بدورها ، مرحلة عابرة في حياة الإنسان يندر ، إن لم يستحل ، أن تتحوّل إلى حب حقيقي . أما إذا كنا نتحدث عن إنسان ناضج ، ناضج في رؤيته وفى عواطفه وفي تجاربه ، فالحب هنا نعمة كبرى من نعم الله .. وسلاح في مواجهة المأساة .

الحنين .. ومرابع الهوى .. والمشاوير

● حين ينتهي الحنين ، وتستكين مرابع الهوى ، وتعلن كل المشاوير استسلامها ــ على أى شيء تحرص ؟ وبأى شيء تتمسك ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ هذا ليس سؤالاً ! هذه دعوة إلى الشيخوخة وهى دعوة مرفوضة بدون نقاش ! حين ينتهي الحنين ؟ الحنين لا ينتهي ما دام هناك قلب واحد يخفق . حين تستكين مرابع الهوى ؟ مرابع الهوى تظلّ عامرة ما دامت هناك ليلى واحدة تخطر فيها . أما المشاوير فمن طبيعتها أن تبدأ عندما تنتهي . مشوار البرّ ينتهي ليبدأ مشوار البحر . مشوار البحر ينتهي حين يبدأ مشوار الجوّ . وكذلك مشوار الأمل ، ومشوار الوجد . ستجدنى دائماً مع الحنين العائد .. مع مرابع الهوى الخضراء .. مع المشاوير التى لا تنتهي .. أنا والقمر والنجوم .. وديوان شعر !

الحب : أن تُحب ما لا يُحب !

● هل يجب على الشاعر أن يعيش قصة حب دائمة حتى يبدع في شعره ؟ وأنت ــ هل تعيش قصة حب دائمة ؟

نبيلة سليمان

□ قديما قيل ، وبحق ، « فاقد الشيء لا يعطيه » . الذى لم ير منظر الشروق كيف يستطيع أن يتحدث عنه ؟ الذى لم يسمع صوت زخات المطر كيف يستطيع أن ينقل النشوة التى تزرعها زخات المطر لغيره ؟ والحب ــ هذا الجنون المعقد المعطر الجميل ! ــ يصعب الحديث عنه حتى على من عاناه فكيف بمن لم يعانه ؟ أن أى شعر يخلو من تجربة حب حقيقى هو نظم محنط مثلج .

ولكن دعينى أتحفظ بعض الشيء على صفة « دائمة » التى وردت في سؤالك . لم يقل أحد أن الحب يجب أن يكون دائماً لكى يكون حقيقياً . الحب

يكبر ، ويتغير ، ويشيخ . ورحم الله كثير عزة :

وقـــد زعـــمت أنى تغيرت بعدهـــا
ومـن ذا الـذى يا عز لا يتغيـــرُ ؟!

كما أن الحب يمرض ، ويموت ، ويولد بعد موته حب آخر ، وربما آخر .

دعينى أقول إن المهم هو أن نمتلك المقدرة على الحب . هذه المقدرة لا تعنى الشبق واللهفة والوصال فهذه مشاعر بيولوجية تستطيع أدنى المخلوقات في المملكة الحيوانية ممارستها . المقدرة الحقيقية على الحب هى أن نحب ما لا يحب ، أن نعشق ما لا يعشق ، أن نؤمن بما لا نرى ، أن نعطي دون أن نأخذ ، أن نعجز عن الكراهية .

لا تسأليني عن نفسى ، فهذا الحديث يحرج ويخجل . يكفى أن أقول إنه **إذا جاء اليوم الذي أفتقد فيه القدرة على الحب ، بمعناه الواسع ، فانى أدعو الله أن يكون هذا اليوم آخر أيامى على هذه الأرض .**

الأجمل ؟

● من هى أجمل امرأة فى رأيك ؟

عبد الله الجفري

□ المرأة التى نحبها لحظة السؤال .

وعبر التاريخ ؟

● وأجمل امرأة فى التاريخ ؟!

عبد الله الجفرى

□ ليلى .. محبوبة قيس .

والأسخف ؟!

● وأسخف امرأة ؟

عبد الله الجفري

□ جولدا مائير . عندما قالت « لا يوجد فلسطينيون . فلسطينيون » .

والأوفى ؟

● المرأة أم الرجل .. أيهما أصدق فى الحب وأوفى ؟

عبد الله الجفري

□ لا يمكن التعميم هنا . ربما كان الكلب أوفى الجميع !

هل هنـاك « قحط ناعم » ؟!

● المرأة فى شعرك وأدبك ـــ والمرأة فى العطاء الشعرى والأدبي كإسم وفعل وتأثير أين هي اليوم ؟ وهل تعتقد أن هناك فقراً إن لم نقل قحطاً بين الجنس الناعم ، مجاراة بجنس الرجال ؟

عبد الله الشيتى

□ النساء ، يا سيدى ، شقائق الرجال . وهن يشكلن أغلبية الجنس البشرى إذا صدقنا الاحصائيات (كما أنهن أطول أعماراً من الرجال طبقاً لهذه الاحصائيات) والرجل يستقبل أول نسمة من نسمات الحياة فى أحشاء امرأة ويفتح عينيه وليداً يصرخ على أحضان امرأة . ويذهب إلى القبر مودعاً ببكاء امرأة (لا تنس أنهن أطول أعماراً !) . لابد ، والحالة هذه ، أن تحتل المرأة مكانها الطبيعي فى إنتاج كل شاعر وكل أديب وكل فنان . وهى تحتل هذا المكان الطبيعي فى إنتاجي . وأنا لا أتصور شعراً بدون امرأة إلا إذا تصورّت كوناً بدون امرأة .

بقى الجزء الثانى من السؤال . وهنا لابد أن أوضح أننى لست من أنصار « الفلسفة العقادية » فى المرأة ـــ إن جاز أن نعتبر تطرفه الجامد هنا فلسفة ـــ وهى التى تذهب إلى تفوق الرجل الفطرى فى كل ميدان ـــ من الطبخ إلى الطب إلى تصميم الأزياء ! أعتقد أنه فيما يخص الانتاج الأدبي فإن تساوى الفرص أمام الجنسين ـــ فرص التعليم وفرص النشر وفرص الذيوع ـــ يعنى أن المرأة ستبدع إبداعاً لا يقل عن إبداع الرجل . لقد ألف أبو الفرج الأصفهانى منذ قرون كتاباً عن **الاماء الشواعر** ضمنه شعراً جيداً لإماء . ألا نستطيع أن نتوقع من حرائر اليوم أكثر من إماء الأمس .؟!

الفصل السادس عشر

. . . . والحزن



ألا ليت شعرى هل أقول قصيدةً

فلا أشتكي فيها .. ولا أتعتّب ؟!

المتنبى



خبـز الشعراء !

● الحزن خبز الشعراء ـــ هكذا يقال ! ـــ فما مقدار حزنك ؟

خالد باطرفى

□ لا أدرى من الذى قال ان الحزن خبز الشعراء . وقائل العبارة ، على وجه اليقين ، ليس خبازاً وليس شاعراً ، على الأغلب . فالخبازون يدركون أن خبز الشعراء لا يختلف عن خبز بقية زبائنهم ـــ فهو لا يعجن بماء الدموع ، ولا يطبخ على نار الأشواق . والشعراء ، بدورهم ، يدركون هذه الحقيقة . فأنا لم أسمع بشاعر أفطر « بسندوتش » حزن ، وتغدى بطبق كآبة . وأنا شخصياً آكل الخبز نفسه الذى تشتريه زوجتى للعائلة (متمنياً لو كان يحتوى على وحدات حرارية أقل !) .

أريد أن أقول ، ياسيدى ، ان الشعراء لا يتمتعون بأى احتكار لأىّ من المشاعر الانسانية المعتادة : لا الحزن ولا السعادة ولا الشماتة ولا الغيرة ولا حب التكاثر ولا حب المال . والذين يروجون لغير هذا هم ، فى رأيي المتواضع ، قوم يهرفون بما لا يعرفون .

تبقى بعد هذه الأوهام حقيقة واحدة وهى أن الشاعر ، بخلاف الإنسان غير الشاعر ، يستطيع أن يعبر عن حزنه بالطريقة السحرية الغريبة الأخاذة التى نسميها شعراً . هذا لا يعنى أن حزن الشاعر أعظم أو أروع من حزن سمسار العقارات أو إسكافي الأحذية أو مهندس الطرق . كل الذى يعنيه هذا هو أن هؤلاء لا يستطيعون أن يعبرّوا عن حزنهم شعراً .

والأمر ، بالنسبة لي ، لا يختلف . فأنا لست أشد حزناً من الآخرين . ولكننى أتمكن ، أحياناً ، من التعبير عن حزني بالطريقة التى تعارف الناس على

اعتبارها شعراً . هذا لا يجعل حزنى حزناً « درجة أولى » . وحزن غيرى « درجة ثانية » . الحزن ميراث إنسانى عظيم نشترك فيه جميعاً : الشعراء والفصحاء ، والخرس العاجزون عن أى تعبير .

شعرك حزين .. هل أنت حزين ؟

● ما سبب الحزن فى شعرك ، ونبرة صوتك ؟

راشد الجودر

□ الحزن ، بطبيعته ، أمر يرتبط بالعقل الباطن ، أمر لا يستطيع المرء ان يتبيّن بسهولة أسبابه ودوافعه ، أمر يشعر به الآخرون ، ربما ، أكثر من شعورى به عندما يقرأون قصائدي . أنا لا أحسّ عندما أكتب إحساساً مباشراً بالحزن ، ولا أتعمد أن ألقى شعرى بنبرة حزينة . إلا أننى سمعت هذا السؤال مراراً وتكراراً . لابد ، إذن ، أن هناك ظلالاً من الحزن تتسلّل إلى شعرى دون استئذاني . ربما لأنى أعيش فى عالم حزين إلى أقصى الحدود . عالم يموت الأطفال فيه جوعاً . عالم يعج بالمظلومين والمضطهدين . عالم يرحل فيه عنا كل يوم حبيب أو صديق . فى مثل هذا العالم ألا يصبح الإنسان غير الحزين إنساناً غير سوىّ ؟!

الموت والشعر :

● كيف تبررّ لنا هذه المكانة التى يحتلهّا الموت فى شعرك ؟

محمد همّام

□ لا أعتقد أن الموت يحتل فى شعرى مكانة خاصة أو متميزة . الموت جزء أصيل كبير من التجربة الانسانية ، ولابد ، وبالتالي ، أن يكون جزءاً أصيلاً كبيراً من التجربة الشعرية. هل سمعت بإنسان لم يمت؟! و لم يمت له حبيب؟! إني ، صدقني ، لا أعرف شاعراً واحداً لم ينعكس الموت على إنتاجه على نحو أو آخر . ان البعض يقولون ان شعرى فى الرثاء أروع شعرى وأصدقه . وهذا رأى لا أعارضه ولا أؤيدّه . قد يكون صحيحاً وقد لا يكون . على اننى حاولت أن أكون صادقاً مع الحياة ، مع الحياة فى مولدها ، ومع الحياة فى مغربها . والموت ، فى النهاية ، ليس سوى حياة غاربة .

والمــوت ... وأنـا !

● هـل تخاف المــوت ؟

خالد باطرفي

□ أرى كلنـــا يبغـــي الحيـــاة لنـــفسه
حريصاً عليها مستهامـــاً بها صبـــــا

كما قال عاشق قديم من عشاق الحَياة . دلنيّ على رجل يزعم أنه لا يخاف من الموت لأدلك على رجل كاذب أو رجل مريض . بالتأكيد ، أخاف الموت ! أعيش فى ظله ، وأرتعد . أرى ما يفعله بالأحباء والأصدقاء ، وأرتعش . إلا أننى أخاف الموت فى تفاصيله . هل سيكون مؤلما ؟ هل سيكون نتيجة مرض عضال طويل ؟ كيف سيكون وقعه على من أحب ؟ هل سيدمر العش الصغير الأخضر ؟ هذه هى التفاصيل التى ترعبنى . أما الموت ، بمعناه الكبير ، فهو الحقيقة الكبرى فى عالم مليء بالأوهام . الموت انتقال إلى رحمة الله ، وثقتى فى رحمة الله لا حدود لها . اعتقد ، وإن كنت لا أعلم ، أنه حين تحين ساعة موتى فستجدنى مستعداً لها بقليل من الحسنات ، وكثير من الذنوب ، وأمل شاسع فى عفو الله ، وشوق كبير إلى لقاء وجهه الكريم .

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟!

● يتأثر التعب مع أكتافنا لحظة أن نواجه الفراق ، فتئن مفاصل الحنين ، وتتلوّى خاصرة الرضا . كيف تفعل أنت أمام الفراق ؟

فوزى عبد الوهاب خياط

□ أوّاه ! هذا السؤال ينفذ ، دون مقدمات ، إلى منطقة حساسة من الروح . شأنى مع الفراق ، يا سيدى ، شأن اسلافي الكرام من الشعراء . ألم يقل أحدهم بصدق :

ودّع هريرة .. ان الركب مرتحلُ
وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ ؟!

ألم يقل آخر :

قالوا الرحيل فما شككت بأنها
روحى من الدنيا تريد رحيلا !

ألم يطلق شاعر مفارق هذا البيت الخالد :

وتلفتت عينى .. فمنذ خفيت
عنى الطلول .. تلفَّت القلبُ

والمتنبي شاعر الرجولة التى حاولت ان تستكبر على العشق .

ألم يستخذ أمام الفراق :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت
لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

أنا أمام الفراق كهؤلاء :

فتنتى ! ما بال جرحى كلما
فرّ منى .. ردّه ليل التياعِ ؟
أغريقٌ أنا فى بحرٍ على
موجه ينأى شراعٌ عن شراعِ ؟
أم وحيد راح فى درب الأسى
يتمشّى .. من وداعٍ لوداعِ ؟
أم غريبٌ ليس فى أحلامه
غير ميناءٍ .. وتلويح ذراعِ

ترعبنى مواقف الوداع . أحاول أن أتجنبها ما أمكن . أحاول أن أفرَّ من هذه الصورة الكئيبة :

واقفٌ وحدى فى الميدانِ ..
والفجر حصانْ
شدّه الشوق .. وأرخاه العيَاءْ
والمدينة
تتلقّى قبلة الفجر .. بشيءٍ من حياءْ

وعلى كفيّ منديلك أشذاء حزينة
آه ! ما أقسى طلوع الفجر من غير حبيب
ورجوعي كاسفاً .. لا نور عينيك ..
ولا سحر اللقـاءْ

أتعرف أجمل ما قيل في الوداع ؟ مقطع صغير لأحمد عبد المعطى حجازي :

أليمه « إلى اللقاءْ »
و « أصبحوا بخيرْ »
وكل ألفاظ الوداع مُرّةٌ
والمـوت مُرّْ
وكل شيءٍ يسرق الانسان من إنسانْ

وماذا عن شعر الرثاء ؟!

● أنا أتأثر بشعرك الرثائي أكثر من سواه فماذا يعنى ذلك ؟

عبد الحميد المحادين

□ لا تنزعج ! فأنا مثلك ، أحب شعر الرثاء . ومثلنا عدد كبير من القراء . كثير من الشعراء ، فى نظري ، كتبوا أروع شعرهم فى الرثاء . وعلى سبيل المثال ، خذ يائية ابن الريب فى رثاء نفسه ، ودالية ابن الرومي فى رثاء ابنه ، وميميـة المتنبى فى رثاء جدّته ، وعينية ابن نويره فى رثاء أخيه . أتعرف السبب ؟ فى شعر الرثاء يبدو الفارق الشاسع بين الثكلى والأجيرة .

والجراح التى تصهل !

● تصهل جراحك .. وتقدر على أن تمسك بلحظة إلتفاف قصوى .. كيف تتأصل جراحاتك يا سيدى ؟!

فوزى عبد الوهاب خياط

□ أحب أن أقول ، بكل وضوح ، اننى لست « جرحاً بملامح إنسان » كما يقول نزار قبانى . ولا إنساناً بملامح جرح . أرفض أن تكون الجراح هى هويتى المتميزّة . أنا لا أسير بجراحي وأفتخر ، كما يفعل المصابون بعسر الهضم . جراحى جزء منى ، ولكنها ليست الجزء الأخصب ولا الأدفأ . جراحى لا تقيم إلى الأبد .

إنها تذبل وتضمر وتتلاشى . وتحل محلها جراح جديدة ، أشدّ ألماً أو أقلّ ، أكثر نزيفاً أو أقلّ ولكل جرح قصته وتاريخه ، وطبيبه وممرضته . لقد ألفت جراحي ولكنى لم أعشقها . إن الفة الجراح قدر ؛ أما عشقها فمرض .

الحـرمان .. مفلسفاً ...

● يتواصل هروبك مع مشاوير الحرمان حتى لنكاد نراك فى كل الاحداق التى احترقت بالجفاف . حدثنا عن حرمانك يا سيدى .

فوزى عبد الوهاب خياط

□ لابد ، أولاً ، من التسليم بأن مفهوم الحرمان ، وما يتبعه من ظمأ وجوع ، مفهوم « محترم » فلسفياً وفكرياً وشعرياً وتاريخياً . ألم يقل فارس بنى عبس « ولقد أبيت على الطـوى واظلّه » . ؟ وشاعر صعلوك « أقسّم جسمي فى جسوم كثيرة » . ؟ وصعلوك آخر « وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه » ؟ . وفى عهد أقرب قال لنا شوقى صادقاً :

ان البطولة ان تموت من الظما
ليس البطولـــة أن تعبّ الماءَ

على أننى لا أتحدث عن الحرمان لهذا السبب . أتحدث عنه لأنه تجربة إنسانية دائمة الحضور بالنسبة لى . ما هو الحرمان الذى أقصده ؟ سأعطيك بعض الامثلة على طريقة المعلمين (وأنا معلم سابق ، بلا فخر !) .

تأمل البيت / الملحمة لابن الرومى :

أعانقهـا والنـفس بعـــد مشوقـــة
إليها .. وهل بعد العناق تدانِ ؟!

شاعرنا لم يطمع فى الوصال الجسدى الذى تحقق . ولكنه تطلع إلى امتزاج روحى ــ لا يمكن أن يتحقق .. ولهذا بقى محروماً . أتريد مثلاً ثانياً ؟ هناك قمة جبل تريد الوصول اليها . بعد عناء طويل يذكرك بمعاناة « سيزيف » تصل إلى القمة . ولا تكاد تلتقط أنفاسك حتى تكتشف ان هناك قمماً أعلى ، وأروع ، وأبعد . ينتابك شعور حاد بالحرمان وتبدأ الطريق إلى القمة التالية . أتدرى ؟ حتى

أكثر العيون دفئاً تصبح بعد فترة وجوداً روتينياً . تبدأ البحث عن عيون أدفأ . يداهمك الشعور الحاد بالحرمان .

الحرمان ، إذن ، رفيق البحار الذى يبحث عن مرفأ لم يوجد . رفيق العاشق الذى يريد حسناء لم تولد . رفيق الفنان الذى يتمنى أن يرسم حورية لا تعيش إلا فى أوهامه . رفيق كل إنسان يحاول أن يتشبث بشيء من المثالية فى عالم واقعي .

أعطنى إنساناً بلاحرمان ، لأعطيك إنساناً فقد نعمة الشوق إلى الأفضل .

المـوت ... حبـاً !

● تتعامل مع الموت بعمق وحرارة — ربّما أكثر من تعاملك مع الحب — لماذا ؟

عبد الحميد المحادين

□ إن التعامل مع الموت هو ، فى جوهره ، تعامل مع حب ، حب يواجه النهاية المؤلمة المروعة . إن كل شعر هو ، فى النهاية ، شعر حب . المديح شعر حب فى الممدوح (أو ماله ، على الأغلب !) . الشعر الوطنى هو شعر حب فى التراب . الغزل شعر حب فى المرأة . والرثاء شعر حب فى العزيز الراحل . والتعامل مع حبٍ ينتهي هو أشد عنفاً وضجيجاً من التعامل مع حب يبدأ . نحن نتعامل مع الحب الذى يبدأ من الصفر — دون أن تكون لنا معه ذكريات أو مواعيد أو عهود . أما الحب الذى يغرب فيذهب تاركاً فى أعماقنا عطره وجراحه وألف حكاية وحكاية . وإلى هذه الظاهرة أشار فيلسوف المعرّة :

إن حزناً فى ساعة المـــوت
أضعاف سرور فى ساعة الميلادِ

وقـد صـدق !

وماذا عن « الواقع الحزين » ؟

● تكلمت فى إحدى قصائدك عن صحوتك « فى الواقع الحزين » إلى أى مدى تأثرت أحاسيس الشاعر غازى القصيبى « بالواقع الحزين » ؟ وتأثر بها شعره ؟

نبيله سليمان

□ لا أدرى ! ربما إلى أبعد مدى ممكن . فأنا أعيش فى « وادى الدموع » هذا مع بلايين البشر المرهقين فى صراعهم اليومى الدامي من أجل لقمة العيش ، من أجل الكرامة ، من أجل دقائق أسعد ، ولحظات أدفأ . أعيش الواقع الحزين مع كل نسمة هواء استنشقها . أعيشه عذاب بائس هنا ، ولوعة مريض هناك . أعيشه ذلة امّة عريقة يلفها هوان يتجدد كل يوم . أعيشه حيرة جيل ناشيء قادم حائر بين أولئك الذين يبشرونه بأن الفردوس القادم سيطلع من كتاب « كارل ماركس » . وأولئك الذين يبشرونه بأن إطالة شعره قليلاً أو تغطية شعره قليلاً كفيلة بحل كل مشاكله . وأولئك الذين يتعاملون مع ألسنته بقصها ، ومع قلوبه بوقف دقاتها ، ومع عيونه بسملها . الواقع الحزين يلف هذا العالم كسحابة عاتية متمردة من التلوث الذرى تنفث غبارها فى كل صدر وكل روح . هل يمكن أن يفلت أحد ، شاعر أو غير شاعر ؟ كلا ! دلينى على إنسان لا يعانى من الواقع الحزين وسأريك رجلاً من أولئك الذين سماهم اليوت .. « الرجال المجوفين » .

وهـل تعذب نفســك ؟!

● لماذا يعذب المبدع نفسه ؟ هل لابد أن يفعل ذلك لكى يبدع ؟

خالد با طرفي

□ وهذا وهم آخر عن المبدعين ، جعل الله كلامي خفيفاً على قلوبهم ! . أنا لم أسمع عن مبدع واحد يبدأ يومه بضرب نفسه بالسياط . أو بقذف نفسه من شباك فى الدور الثالث . أو بالوقوف أمام سيارة « تفحّط » .

المبدع ، وليس كل شاعر مبدعاً وليس كل المبدعين من الشعراء ، في رأيي لا يختلف عن الإنسان كما تصوره النظرية الاقتصادية التقليدية : يسعى إلى مضاعفة أرباحه وسعادته ولذاته إلى أقصى حد ممكن ، وإلى التقليل من خسائره وآلامه ومتاعبه إلى أقصى حد ممكن . وأى مبدع يختلف عن هذا ، هو إنسان مريض بالماسوشيه ــ يجب أن يبحث عن علاج فى إحدى المصحات النفسية .

صحيح أن من بين المبدعين منَ يُبتلى بأكثر من مصيبة . ولكن هذا قضاء الله الذى يشمل حتى أقل الناس إبداعاً . وأنا لم أسمع حتى اليوم بأى علاقة عن مدى العذاب الذى يتعرض له الإنسان وبين إبداعه . أقول قولى هذا معتذراً للمعذبين المبدعين ــ والمبدعين غير المعذبين !

مرة أخرى .. لماذا الحزن ؟!

● من يسمعك تقول شعراً يحس بهذا الشجن النبيل الذى يغلف حنجرتك الشعرية ــ فهل تعتقد أن السبب هو كونك ، كما يرى البعض ، شاعراً رومانسياً ؟ أم أن الشجن كان رفيق رحلتك ؟

محمد همام

□ الحق أقول لك : لا هذا ولا ذاك ! السبب أن تجربتنا الإنسانية محاصرة بالحزن من كل جانب : تنمو فى الحزن ، تكبر فى الحزن ، وتموت فى الحزن . الحياة ليست مسرحية فكاهية من مسرحيات الريحانى ولا فلماً من أفلام عادل إمام .. ليتها كانت ! فى الحياة فقراء يتضورون ، وأصحاب يفترقون ، وشعوب تقتتل ، وملايين تذبح . إسمع اى نشرة أخبار تصلك « منجزات » حياتنا المعاصرة : قنابل ، وسيارات مفخّخة ، ورصاصات إغتيال ، ومجاعات . هل يمكن لإنسان أن يتظاهر أن هذا كله من قبيل الخداع البصرى ؟ هل يمكن لشاعر أن يهرب من الحزن الذى يسكن كل ذرة أوكسجين يستنشقها أما أنا فلا أقدر . لا كإنسان ، ولا كشاعر .

الفصل السابع عشر

...... والنقد



وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً

وآفتـه من الفهـــم السقيم

المتنبي



فى البداية : الأصالة أو التجديد ؟!

● ما رأيكم فيما يناقشه بعض الأدباء من قضايا الأصالة والتجديد فى الأدب كأنما هما معنيان متعارضان ؟

مجلة « أهلاً وسهلاً »

□ إن قضايا التجديد والأصالة ، بالنسبة لي ، غير ذات موضوع وأستغرب أن تثار بهذا التكرار العنيف الممل . هل يمكن ان نتساءل أيهما أهم للإنسان الطعام أو الشراب ؟ أو أيهما أكثر ضرورة الليل أو النهار ؟ أو أيهما أنفع في الطيران الجناح الأيمن أو الأيسر ؟ إن أى أدب يفتقر إلى الأصالة لا يعتبر أدباً حقيقياً ، ولا يعدو ان يكون بضاعة مستوردة كما تستورد السيارات أو المولدات الكهربائية . وأى أدب يفتقر إلى المعاصرة لا يمكن أن يعتبر أدباً حقيقياً بل يجب أن يوضع فى متحف من متاحف التاريخ . لقد قلت فى أكثر من موضع ان على الشاعر أن يكون كلاسيكياً ورومانسياً وواقعياً فى الوقت نفسه . يجب أن يكون كلاسيكياً فيتحدث بلسان قومه ، وبالأسلوب الذى يفهمونه وبالموسيقى التى تعودت عليها آذانهم ، وبالكلمات التى يحتويها تراثهم . ويجب أن يكون رومانسياً فيعايش تجاربه معايشة شخصية مباشرة بحيث تمتزج التجارب وتلتصق بالذات وتصبح كلاّ واحداً لا ينفصل . ويجب أن يكون واقعياً فيعيش مع البشر ، ويستنشق هموم البشر ، ويلامس مشاكل البشر . إننى أتمنى أن ينتهى هذا النقاش العقيم ويموت ميتة طبيعية فالبحث فيه سفسطة فكرية ولغو لاطائل وراءه .

وما أدراك ما التجديد ؟!

● ما رأيك فى حركة التجديد فى الشعر العربي ؟

إيمان على

□ التغيير سنة من سنن الله فى كونه ــ ولن تجد لسّنة الله تبديلاً . الأشياء

الميّتة ، وحدها ، هى التى تبقى جامدة مستقرة ثابتة ، لا تنمو ولا تكبر ، ولا تغضب ولا تنفعل . أما الأشياء الحيّة فهى ، بالضرورة ، أشياء متغيرة . والشعر ، بطبيعته ، من أكثر الأشياء حياة . ولهذا فيجب أن يكون من أكثرها تغيّراً . التجديد ، باختصار ، يعنى الحياة ؛ والجمود ، بايجاز ، يعني الفناء . ولا أستطيع أنا ، ولا يستطيع غيرى ، أن نفرض على الشعر وصاية كوصاية الولى على القاصر ، فلا نسمح له أن يتكلم ، أو يغامر ، أو يجرب إلا بعد الحصول على اذن . يبقى رأيي الشخصى فى إنتاج المجددين وهو ، بطبيعة الحال ، يتراوح من شاعر إلى آخر ولكنه ، بعد كل شيء ، رأى قارئ واحد يستند إلى ذوق قارئ واحد .. وهذا أمر لا يهم كثيراً ... أو قليلاً .

هل يتلاشى الشعراء ؟!

● الأسماء البارزة فى الشعر تلاشت حالياً ـــ فما السبب فى رأيك ؟

إيمـان علي

□ تلاشت ؟! من أين ؟! ومن قال هذا ؟! ان المتنبى وابن الرومي والسياب لا يزالون ، في نظري ، أحياء . بل انهم أملأ بالحياة من كثير ممّن يمشون على سطح الأرض . ان الشاعر الحقيقي لا يتلاشى بعد موته ، بل لعلّه لا يبدأ حياته إلا بعد موته . هناك تزول كافة المظاهر والهالات ، ويموت صخب النقد ، وضجيج الدعاية ، ولا يبقى إلا الشعر وحده .

وأين الشعراء الجـدد ؟!

● لماذا لا نسمع بأسماء جديدة فى الشعر ؟ هل لذلك علاقة بتطور المجتمعات ؟

إيمـان علي

□ أنت لا تسمعين لأنك قارئة عادية ولست من المتخصصات المتابعات لكل إنتاج شعرى (ولا يفترض فى القارئ العادى أن يتحوّل إلى باحث متتبع) . ولكن الذى يقرأ « إبداع » التى تصدر فى القاهرة ، و « الأقلام » التى تصدر فى بغداد ، و « شعر » التى تصدر فى تونس ، وهذا على سبيل المثال العابر ، سيجد أسماء كثيرة جديدة تكتب شعراً كثيراً جديداً .

الشعراء ، فاعلَمنْ ، أربَعْة !

● ماذا عن الشعر الحر ؟ هل أدى ، كما يقولون ، إلى أن تفقد القصيدة إتزانها ؟

نبيلـه سليمان

□ من حق كل شاعر ، وكل جيل من الشعراء ، أن يبدع لغته الخاصة وأساليبه الخاصة بصرف النظر عن تسمياتنا وتصنيفاتنا . وبدون ذلك يشيخ الشعر ويهرم ويموت . التغيير قانون الحياة الدائم ، وهو قانون الشعر الدائم . ولا ينبغى لنا أن ننساق مع المتعصبين لهذا النوع من الشعر أو ذاك . اننى شاهدت عبر تاريخنا الشعرى التقليدى نماذج كثيرة للشعراء الأربعة الذين صنفتهم الأرجوزة الشهيرة بدقة متناهية :

فشاعـر يجرى ولا يجرى معـهْ
وشاعـر يخوض وسط المعمعـهْ
وشاعر من حقه ان تسمعـهْ
وشاعر من حقه ان تصفعـه

وقد لاحظت ، شخصياً ، أن الشعراء من النوع الرابع (الجدير بالصفع) هم أكثر الفئات فى شعرنا التقليدي . كما شاهدت فى تجربة الشعر الحديث التى يكاد عمرها أن يصل إلى نصف قرن نماذج كثيرة للشعراء الأربعة أنفسهم ، مع تفوق عددى واضح للنوع الرابع (المصفوع) . وهكذا ترين أنه (تنوعت « الأشعار » « والصفع » واحد) . والصفع ، بالمناسبة ، متبادل فالقارىء هو الذى تلقى الصفعة الأولى !

أنـا ... ديكتاتوراً !

● لو عينوك حاكما عربياً ماذا تراك ستفعل ؟ وهل ستواصل الرفض وتواصل البكاء ؟

خـالد با طرفي

□ لو حصل فيَّ هذا فى كابوس من كوابيس المنام فسوف أتخذ القرارات التالية :

□ أولاً : أمنع أى نقاش حول الشعر القديم والشعر الحديث والأصالة والمعاصرة والحداثة وإشكالية الغموض ومشكلة الرموز والأساطير. وذلك محافظة على حرمة الموتى . ان هذه القضايا ماتت قبل أن تولد أنت وقبل أن أولد أنا ولكنها لا تزال تنبش !

□ **ثانياً** : أحرق ٩٥٪ من الدواوين الموجودة فى المكتبات وأحيل أصحابها إلى المحكمة بتهمة إفساد الذوق العام .

□ **ثالثاً** : أقدم جائزة الإبداع الشعرى لكل شاعر يكفّ طوعاً عن قول الشعر مدة لا تقل عن ٢٥ سنة .

□ **رابعاً** : أعلن أسبوع الراحة الفكرية وفيه يمنع منعاً باتاً نشر الشعر أو قراءته أو اذاعته .

□ **خامساً** : أضع فى الدستور مادة تحرم على أى مسؤول نشر إنتاج شعرى مادام فى وظيفة حكومية ثم استقيل !

لغة الشعر .. والغول !

● يردّد النقاد عبارة : أو مصطلح « لغة الشعر » ما هذه اللغة ؟ وهل ترى أن لكل شاعر لغته الخاصة التى تميّزه عن غيره ؟ وكيف يمكننا إدراك هذه اللغة الخاصة ؟

مجلة الفيصل

□ هل سمعت عن الغول والعنقاء والخلّ الوفى ؟! هل تعرف أين يسكنون ؟ فى أى شارع من أى مدينة ؟ إذا استطعت العثور على العنوان ففتش قريباً منه لعلّك تعثر على « لغة الشعر » ! « لغة الشعر » هى ذلك الشيء الذى يحسّ به كل شاعر حقيقى ، ويحسّ به كل قارىء ذوّاقة دون أن يستطيع تعريفه أو تحديد أبعاده أو مواصفاته نفس الكلمة التى تبدو سمجة هنا تبدو أكثر من رائعة هناك . نفس التكرار الذي يورث الملل هنا يورث النشوة الروحية هناك . لا تصدق ان ناقداً أو شاعراً أو قارئاً يستطيع أن يضع اصبعه على هذا السحر ، هذا السهل الممتنع ، هذا التعريف الذى لا يقبل التعريف . حسب القراء ، إذن ، أن يستمتعوا « بلغة الشعر » دون أن يدركوا كيف ومن أين ولماذا أتت . وحسب النقاد أن يحاولوا كل بحسب

مدرسته ، أن يبرروا ويفسّروا ويشرحوا . على أنه فى النهاية ستبقى « لغة الشعر » سراً من الأسرار التى لا نستطيع اقتحامها ولا الاقتراب منها . وأنا ، شخصياً ، أرجو أن يستمر الوضع على هذا النحو . أرجو ألّا تتقدم مداركنا ومعارفنا إلى درجة نستطيع فيها أن نحلّل الشعر كما نحلّل عناصر الطبيعة الجامدة اليوم . وهذه المحاولات البلهاء لإخضاع الشعر « للكومبيتر » أو لتحويله إلى معادلات رياضية أو رسوم هندسية ، لا أتوقع لها سوى الفشل الذريع ، وستمضى غير مأسوف عليها كما مضت هباء كافة المحاولات لتدجين طائر الشعر البرىّ الطليق .

شعر النبط .. والاسكتلندى .. وجاره اليهودى !

● فى المملكة كما فى دول خليجية أخرى — يوجد ما اتفق على تسميته بالشعر النبطي . والبعض يقول ان الشعر النبطى صار طريقاً سهلاً لكلّ من يريد الانتماء إلى الشعر بدون إلمام ثقافي .. ومعرفته بالأدب .. ما رأيك فى ذلك ؟

عبد المنعم إبراهيم

□ أنا ، بكل أسف ، لست من خبراء الشعر النبطي ولا أتذوق سوى القليل منه للمجيدين من شعرائه (القدامى غالباً) إلا أننى أستغرب الضجّة القائمة حول شعر النبط هذه الأيام وكأنه اختراع جديد مفاجىء . الأمر الذى يذكرنى بقصة الاسكتلندى الكاثوليكى الذى فاجأ جاره وصديقه اليهودى ذات صباح بلكمة شديدة على وجهه . وعندما سأله جاره عن السبب قال « لأنكم معشر اليهود تآمرتم على السيد المسيح » فقال له الجار « ولكن هذا حدث قبل ألفي سنة ! » فردّ عليه « يجوز ! ولكن الخبر لم يبلغنى إلا البارحة ! » .

لا أدرى لماذا اكتشف بعض شعراء الفصحى أن الشعر النبطى خطر داهم ينبغى مقاومته والتصدّى له وكأنه لم يكن خلال معظم تاريخنا صديقاً حميماً للشعر الفصيح يتعايشان دون أن يقضى أحدهما على الآخر . لو لم يوجد الشعر النبطى لحرمت بادية العرب في كل مكان من أجمل أهازيجها وأساطيرها . تصوّر الغناء الخليجي ، مثلاً ، لو لم يوجد الشعر النبطي .

يبقى بعد ذلك موضوع المستوى . ما ينشر هذه الأيام من شعر النبط فيه الكثير الكثير من الغثّ شأن ما ينشر من الشعر الفصيح قديمه وحديثه . ان الشعراء

المبدعين لا يولدون « بالجملة ، ولا يجيئون « بالدستة » . هم ، دائماً ، من الندرة النادرة ، يستوى فى هذا شعراء الفصحى وشعراء النبط والشعراء فى اللغة « السنسنكريتية » . لولا المشقة (الشعرية) ساد الناس كلهم !!

ولكن لماذا يزدهر شعر النبط ؟

● ازدهرت فى الآونة الأخيرة ظاهرة الشعر النبطى فبماذا تفسر ذلك ؟

إيمـان على

□ هذا الازدهار يحيّرنى (وإن كان لا يزعجنى) هناك ، فى تصوري ، عوامل عديدة متداخلة . هناك فشل الشعر الفصيح فى أن يلامس وجدان الجماهير . وهناك الانكفاء الاقليمى الذى حل محل الانفتاح القومي . وهناك الأغانى التى تستمد كلماتها من الشعر النبطى . وهناك اهتمام الصحافة المتزايد بهذا النوع من الأدب (بحيث يجد ناشىء شعر النبط مكانا لنشر محاولاته ولا يجد زميله ناشىء الفصحى) .

أنـا .. مخضـرماً !

● فى المملكة أدب غزير : هناك تيار الشباب والتيار المحافظ — ولابد أن أحد الحزبين يحسبك منه — فأين تحسب نفسك ؟

عبد الحميد المحادين

□ سن الخامسة والأربعين ، سنى الآن ، سن متعبة . إذ لا يوجد شاب يحترم نفسه يقبل أن يعتبرنى شاباً . وبالمقابل لا يوجد شيخ يحترم نفسه يقبل أن يعتبرنى شيخاً . ولهذا أتصور أن كل طرف يصنفنى ضمن الطرف الآخر ، فى الوقت الذى يعتبرنى كل طرف دخيلاً عليه . ولعل هذا موقفى الحقيقى . فقد تجاوزت مرحلة الشباب المتحمس لكل قديم لمجرّد أنه قديم . اعتبرنى ، ان شئّت ، من المخضرمين شاباً كالشيخ أو شيخاً كالشاب !

الشـعر والرمـز :

● عرفت القصيدة الشعرية العربية المعاصرة ما يسمى بالرمز .. وتوظيف الأسطورة لخدمة الأغراض التى يرمى إليها الشاعر دون الوقوع فى المباشرة

والتقرير .. إلى أى حد يمكن أن تستفيد القصيدة العربية من ذلك ؟

مجلة « الفيصل »

□ أحب ، أولاً ، أن أقول انني لا أعتقد أن استخدام الرمز بدأ مع القصيدة الحديثة . ففى شعرنا الجاهلي إشارات إلى « زرقاء اليمامة » وإلى « السموأل » وإلى « نسور لبد » . ولا ننسى أن الحبيبة كانت في شعرنا العربي « قمراً » و « غزالاً » و « عودبان » . وان الممدوح كان « بحراً » و « أسداً » و « جبلاً » . على أنه تبقى بعد ذلك حقيقة هى أن القصيدة الحديثة توسعت فى استخدام الرمز والأسطورة . وتبقى حقيقة أخرى هى أن الأشعار الغربية تمتلئ بهذه الظاهرة أكثر من الأشعار العربية التى لا يزال الرنين الموسيقى يشكل جزءاً أساسياً لا يتجزأ منها . غير أننى أرى أن العملية لا يجب أن تكون متكلفة أو مصطنعة . والواقع أن الكثير من الرموز التى كان الشعراء الشباب العرب يستخدمونها كانت رموزاً مستوردة منقولة بحذافيرها من الغرب دون أية صلة بالبيئة العربية . ان السيّاب ، فى رأيي ، يظل أنجح شاعر تمكن من توظيف الأسطورة بشكل فنى جميل وإن كان بدوره أسرف فى أساطير اليونان التى إقتبسها بشكل لا أعتقد أن القارئ العربي العادى يمكن أن يتذوّقه . إننى أتصوّر أنه عندما ينجح شعراؤنا الشباب فى هضم تراثهم والتعامل معه بدون عقد ، فسوف يجد الرمز / الأسطورة المستمدّ من التراث مكانه الطبيعي فى شعرهم بدون تكلف ، وبدون أن تبدو المحاولة سخيفة ومصطنعة .

هل هناك شعر « خليجى » ؟

● هل هناك شعر خليجي له شخصية متميزة عن الشعر العربي ؟

إيمـان على

□ لا أتصوّر ذلك ، حتى الآن على الأقل . كان شعر الخليج مجرد انعكاس للشعر فى دنيا العرب الواسعة بحيث يصعب على القارئ أن يتبيّن طعماً خليجياً متميزاً أو نكهة خليجية خاصة . هذا لا ينفي بطبيعة الحال ان بعض الشعراء تحدثوا عن تجارب خليجية بحتة ، وقد حظيت حقبة الغوص بنصيب الأسد فى هذا المجال . ولكننا لا نستطيع ان نتحدّث عن « مدرسة خليجية » فى الشعر . وأودّ أن

أسارع فأضيف انني أعتبر هذه ظاهرة صحية لا مرضية . لقد تشرذمنا سياسياً إلى أكثر من عشرين كيانا عربياً ضعيفاً ولا مبرر لأن نتشرذم شعرياً .

وماذا عن الشعر فى المملكة ؟

● فى الآونة الأخيرة ظهر فى المملكة شعراء شباب ينظمون الشعر اعتماداً على الاتجاهات الحديثة فى الشعر . وفى الوقت نفسه لا يزال الجيل القديم ينظم الشعر بطريقته الخاصة . أين تضع نفسك بين القديم والجديد ؟ وما هى ملاحظاتك على الحركة الشعرية السعودية ؟

عبد المنعم إبراهيم

□ منذ أن بدأت كتابة الشعر ، أو ربما بعد هذا بسنة أو سنتين ، وأنا أكتب الشعر التقليدى والشعر الحديث . ومن هنا فقدت ، منذ زمن بعيد ، قدرتى على الانحياز إلى أحد النوعين . وما دمت قد فقدت قدرتى على الانحياز فإننى ، بطبيعة الحال ، عاجز عن التطرف والتعصب لصالح أى من المدرستين . بإمكانك ، اذن ، أن تعتبرني « منطقة منزوعة السلاح » بين غلاة التقليديين وغلاة المجددين الأمر الذى يفقدنى ، دون شك ، إعجاب الطرفين معاً . إننى ، فى نظر غلاة التقليديين ، ضللت طريقى الشعرى فى متاهات التجديد بينما يعتبرنى غلاة المجددين مجرد ظاهرة رومانسية غير ناضجة تماما . كلما نشرت قصيدة من الشعر التقليدى احتجّ عليّ القراء من أنصار الشعر الحديث . والعكس صحيح .

أما ملاحظاتى على الحركة الشعرية فى المملكة فهى نفس ملاحظاتى على الشعر العربي عموماً . وهى أن الفجوة بين الشعر التقليدى والشعر الحديث بدلاً من أن تصبح ظاهرة صحية تدل على حيوية فكرية وديالكتيكية مبدعة تحولت إلى ظاهرة مرضية وأنصار كل نوع يتراشقون التهم لا بالجهل والجدب والخواء — وهو أمر مقبول ! — بل بالخيانة الوطنية والقومية أو ما يقاربها — وهو أمر غير مقبول ! ان القاموس السياسى العربي البذىء بدأ ينتقل من المهاترات الاعلامية ليصبح جزءاً من « الحوار الأدبي » — الذى لم يعد « حواراً » وتجرّد كلية من « الأدب » . اننى أفهم أن تكره الشعر التقليدى ، ولكنى لا أفهم أن تصف كل من يكتبه بالتحجر والجمود والرجعية الفكرية . وأفهم أن تكره الشعر الحديث ولكنى لا أفهم كيف يمكن أن ترى فيه معول هدم لتراث الأمة وفكرها وحضارتها . اننى أعتقد أن المجدد

لكى ينجح فى تجديده يجب أن يبدأ بداية تراثية تقليدية . كما أعتقد أن الكلاسيكى لكى يكون شاعراً يعيش فى هذا العصر لابد أن يكون مجدّداً . وأعتقد أن أى إنتاج رائع سيجىء من أقلام الشعراء الذين تمكنوا من الجمع بين التراث والمعاصرة ، كما فعل من قبل السياب وعبد الصبور وقبانى وأمل دنقل ، وجيل الرواد . تنطبق هذه الملاحظة على الشعر فى المملكة . كما تنطبق على الشعر فى الخليج . كما تنطبق على الشعر فى الأمة العربية .

الوضع الشعرى العربي .. موجزاً !

● ما هو رأيك فى الوضع على الساحة الشعرية فى الوطن العربي حالياً ؟

إيمـــان على

□ هناك شعراء كثيرون . منهم من يعجبنى . ومنهم من لا يعجبنى . هكذا كان الوضع دائماً . هكذا سيظل دائماً !

المثلث الخطر .. الشاعر .. الناقد .. القارىء !

● ماهى نوع العلاقة التى يجب أن تكون بين الشاعر .. وبين الناقد والقارىء ؟

مجلة « الفيصل »

□ لا أستطيع أن أقول ان هناك علاقة من نوع معين يجب أن تسود الاتصال بين الشاعر والناقد والقارىء . والأمر كله يتوقف على نوعية الشاعر ، ونوعية الناقد ، ونوعية القارىء . الشاعر الحقيقى يستطيع ، عادة ، أن يحظى بمن يقدر شعره من القراء والنقاد . والناقد الموهوب يستطيع ، عادة ، أن يميّز بين الغث والسمين فى الشعر . والقارىء الذواقة يجب أن يتبع ذوقه ويترك ما لا يعجبه . ذلك أن قراءة الشعر ليست التزاماً وطنياً أو أخلاقياً محكوماً بمعايير معينة . كثيراً ما يقال ان هناك « أزمة نقد » وقد يكون فى هذا القول شىء من الصحة . كما أن بعض النقاد يرون أن هناك « أزمة شعر » — وفى هذا أيضاً الكثير من الصحة . اننى ، على سبيل المثال ، لا أعثر على قصيدة تعجبنى فيما أقرأ من شعر ، وانا أقرأ الكثير ، إلا فى القليل النادر . ربما كانت الحقيقة ، باختصار ، اننا إزاء عدة أزمات : « أزمة شعر » و « أزمة قراءة » و « أزمة نقد » .

تنصح .. أو لا تنصح ؟!

● لابد من نصيحة لجيل الشبان من الأدباء والشعراء ، هل لكم أن تعبّروا عن توجيهكم لهم ــ كي يكون عطاؤهم متكاملاً ومثمراً ومقروءاً ؟

عبد الله الشيتى

□ يا عزيزى عبد الله ! من تجربتى ومن تجربتك ومن تجربة الناس أجمعين نعرف أنه لا يوجد أثقل من دم الانسان الذى يتطوع بتقديم نصائح لم يسأله أحد أن يقدمها أو توجيهات لا « يتوجه » نحوها أحد . المرء إما أن يكون موهوباً أو لا يكون . فاذا كان موهوباً فسوف يشق طريقه دون أن يحتاج إلى نصائح محنطة منى .. أو من غيرى . اما إذا لم يكن موهوباً فكل مجلدات الوعظ والارشاد لن تجعله يكتب شطراً واحداً . لا تنس أن من الموسيقيين من كتب سيمفونيات قبل الثالثة عشرة . وان من الشعراء من كتب الروائع قبل العشرين . الشعر ليس منطقة نصائح ؛ انه منطقة مواهب !

عمالقــة ... وأقــزام !

● هل نستطيع أن نقول ان زمن العمالقة فى الشعر العربى انتهى . أعنى من أمثال صلاح عبد الصبور وأمل دنقل ؟

إيمــان على

□ أنا أحب هذين الشاعرين ، وقد كتبت دراسة عن كل منهما . ولكن أرجو إلا يخيب ظنك إذا قلت اننى لست من هواة العمالقة . العملاق لايبدو عملاقاً إلا إذا أحاطت به مجموعة من الأقزام (هل تذكرين مغامرات جيلفر ؟ لقد كان عملاقاً فى بلد وقزماً فى أخرى) إذا سلمنا بذلك كان من الضرورى ان نسلم أن ظاهرة « العملقة » ــ أو « التعملق » !ــ هى ، بطبيعتها ، ظاهرة مرض لا عافية . وإذا كان لابد من وجود أقزام وعمالقة فاننى أفضل عالماً يسكنه عشرة أقزام يحسنون الكتابة والقراءة على عالم فيه عملاق عبقرى واحد وتسعة أقزام أميين . هل أنا بحاجة إلى أن أضيف انه إذا كان زمن عمالقة الشعر قد ولّى بالفعل ، فانى أرجو أن يكون قد ذهب بلا عودة !

شيوخ .. وشباب .. وتراث .. ورموز !

● تكثر الشكوى من الجيل الجديد من محترفى أو هواة الأدب من حيث انقطاع صلتهم بالتراث وقلة أخذهم بأسباب التجويد وضحالة فكرهم العام ــ فهل تعتقدون أن الجيل الجديد يعيش مثل هذه الأزمة ؟ وما هى فى رأيكم أسبابها وعلاجها ؟

مجلة « أهلاً وسهلاً »

□ لا أعتقد أنه بوسعي ، أو بوسع غيرى ، الادلاء بحكم قاطع فى هذه المسألة . فمن الأدباء الشباب من يتمتع بثقافة واسعة واطلاع جيّد على التراث . ومن الادباء الشيوخ من يتسم بضحالة الثقافة . ولكننى أعتقد أنه يمكن القول أن العرب عموماً ، كانوا يعيشون حالة انبهار أمام الحضارة الغربية بلغت ذروتها مع الحرب العالمية الثانية ــ وهذا الانبهار هو الذى دفعنا إلى محاولة تقليد هذه الحضارة أو نقلها . وأعتقد أن ألادباء والشعراء اندفعوا بدورهم يحاولون تقليد الأدب الغربى دون أن يتوجّهوا إلى الداخل ويستلهموا روح أمتهم وتراثها . بدأ كثير من الشباب ، وربما كنت أحدهم ، ينقلون رموز الأدب الغربي وأساطيره متناسين أن فى تراثهم ما يغنيهم عن هذا كله . غير أننا لا يجب أن نقسو على الأدباء والشعراء أكثر من اللازم فالظاهرة نفسها ــ الانبهار بالغرب وتجاهل التراث ــ تصدق بحذافيرها على المفكرين السياسين والاجتماعيين والمؤرخين والاقتصاديين فى العالم العربي . مرحلة الانبهار قد بدأت تتلاشى مع تصاعد الصحوة في العالمين العربي والاسلامى . ولهذا فلا نستغرب عندما نرى شعراء هذا الجيل من الشباب قد بدأوا يستخدمون الرموز والأساطير والمواقف التاريخية النابعة من التراث (لعل ، أمل دنقل ، كان أكثرهم نجاحاً) . كما أنه يمكن أن نتوقع فى السنوات القادمة حماساً أكبر إلى العودة إلى منابع التراث والاغتراف منها .

● الشـــاعر ... مفلســـاً !

● كتبت قصيدة عن « الافلاس » ــ هل هناك بالفعل إفلاس شعرى ؟ ومتى يفلس الشاعر ؟

نبيلـه سليمان

□ الجواب هو نعم ! وبكل تأكيد ! هناك إفلاس شعرى . بل إن ظاهرة الإفلاس عند الشعراء شائعة شيوعها عند التجّار . ومعالجة الإفلاس التجاري اهون

وابسط ، يعين المصّفى ويقتسم الدائنون الموجودات . اما الإفلاس الشعري فأكثر تعقيداً ، من اكثر من ناحية . الإفلاس الشعرى قد لا يكون واضحاً . وقد يستمّر شاعر ما مفلساً شعرياً عبر سنين طويلة وعبر دواوين عديدة دون ان « يكتشف » أحد إفلاسه ، أو دون أن يملك أحد الوقاحة لاعلان إفلاسه . والإفلاس الشعرى لا يتخذ شكلاً واحداً ، بل يرتدى الف وجه ووجه . ومن وجوه الإفلاس الشعرى ان يضع الشاعر رحيقه القديم فى قوارير جديدة : ان يجترّ تجاربه القديمة فى قصائده الجديدة . ومن وجوه الإفلاس الشعرى ان يعجز الشاعر عن الحديث بلغة معاصريه فيلجأ إلى لغة « تأبط شراً » « والسليك بن السلكة » . ومن وجوه الإفلاس الشعرى ان يبحث الشاعر عن لغة مبتكرة ــ أو عن لغة يفجرّها بمعرفته ــ فيعجز فيبدأ يتحدّث بالمعميات والألغاز والاحاجي التى لا يفهمها أحد . ومن وجوه الإفلاس الشعرى ان يأتى انتاج الشاعر مرقعاً بخرق يمكن ارجاع كل خرقه إلى مصدرها دون عناء .

متى يفلس الشاعر ؟ عندما يتشبث بالقوالب والكلمات التى « انتهت مدة صلاحيتها » . عندما يجبن عن اقتحام تجربة مثيرة جديدة . عندما يتحول إلى « مطرب » حريص على التصفيق والاستحسان . بإختصار ، عندما يشيخ قلبه !

الفصل الثامن عشر

...... وهموم الزمن الرديء



أتى الزمان بنـــوه فى شبيبتـــه
فسرَّهم ... وأتيناه على الهِـــرمِ

المتنبي



الشعر .. مستقبلاً .. وحاضراً ..

● ما رأيك فى حاضر الشعر ؟ ومستقبله ؟

على محمود

□ لستُ من فئه العرافات ولا البصارات . والليالي — كما قال شاعرنا القديم — « مثقلات يلدن كل عجيب » وقد يكون من العجيب الذى تلده الليالي ان تعود للشعر دولته المشرقة وعصوره الذهبية . اما وضع الشعر الحالي فهو على هامش الحياة وعلى هامش اهتمامات الجماهير . كم عدد الدواوين التى تباع لاعظم شاعر ؟ كم عدد الذين يحضرون الامسيات الشعرية ؟ ما هو الدور الذى يلعبه الشعر فى الحياة العامة ؟ الاجابة الصادقة على هذه الاسئلة تبين ان الشعر يعيش فترة انكماش وركود بعد أن تخلّى عن سلطانه القديم لوسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وتيلفزيون وسينما وفيديو — وبعد ان ظهر منافسون خطرون مثل كرة القدم . إذا كانت اتجاهات المستقبل كنزعات الحاضر فان تفاؤلى بمستقبل الشعر ضئيل للغاية . ولكنى أقول مرة أخرى : من يدرى !!

شعر عظيم .. فى زمان هزيل ؟!

● يرى البعض ان الادب العظيم والشعر العظيم قليلان فى زماننا العربّي الذى نعيشه ... فما رأيك ؟

محمد همام

□ رأيى ان « عظمة » الأدب والشعر مستمدة ، فى الغالب ، من رؤية القارىء أو الناقد وليست ، بالضرورة ، حقيقة لصيقة بالعمل الأدبي . بعبارة أخرى ، مايراه البعض « عظيما » قد لا يراه البعض الأخر كذلك . اما أنا فأرى ان زماننا هذا لا يخلو من شعر عظيم وشعر ردىء شأنه شأن معظم العصور .

الشعر فى مستنقعات الهزيمة :

● إزاء الاوضاع العربية الراهنة ، والانتكاسات المتكررة ، ماذا تستطيع القصيدة ان تفعل ؟ ماذا يستطيع الشعراء ؟

عبد المنعم إبراهيم

□ دعنى أقف قليلاً امام « الاوضاع العربية الراهنة » و » الانتكاسات المتكرّرة » . لي صديق فى الستين من عمره يقول لي انه منذ ولد وهو يسمع عن « الظروف العصيبة » و «المواقف الحرجة » و « أحلك ساعات النضال العربي » . وأعتقد ان الامر لا يختلف بالنسبة لابن الثمانين أو السبعين أو العشرين أو العاشرة . هل مرّت بنا مواسم فرح وانتصارات منذ حطين حتى نولول من الظروف الحاضرة ؟ هل كان انهيار الحضارة العربية الاسلامية فى بغداد أو فى الاندلس أمراً أبسط أو اتفه أو اهون من « الاوضاع العربية الراهنة » ؟

لا أودّ ان ادخل فى اعماق التاريخ . ولكنى أقول ، ببساطة ، اننا منذ نهاية العصر العباسى « الذهبى » نخوض فى مستنقعات هزيمة لا تتخللها سوى ومضات بسيطة من انتصارات مؤقتة .

إذا ، فأوضاعنا ليست شيئاً طارئاً جديداً ، ولا موقفاً يتطلب ، فجأة ، « اعلان الطوارىء الشعرية » . بل اننى اخشى أن اقول ان الايام القادمة ستحمل لنا المزيد من « النكسات » هذا التعبير المهذب المؤدب ذو الدم الخفيف الذى افرزته هزيمة حزيران ضمن ما أفرزت من غرائب .. وعجائب .

ماذا تفعل القصيدة ؟! الحق أقول لك : لا شيء سوى ان تكون قصيدة صادقة ! لا نريدها تشنجا ، ولا توتراً ! ومطلبنا هذا لا يتغيّر من « أزمة » إلى « ازمة » ولا من « نكسة » إلى « نكسة » . ليس من واجب الشعر ــ ولا من حقه ــ ان يلبس « لكل حالة لبوسها ــ اما نعيمها وامّا بؤسها ! » يكفى الشعر ان يكون شعراً . الشعر هدف فى حد ذاته ، غاية فى حد ذاته . الشعر يحقق كل رسالته بمجرد كونه شعراً .

وماذا يفعل الشعراء ؟! عليهم أن يكتبوا شعراً ، شعراً صادقاً ، شعراً حقيقياً . الشعراء ، ياسيدى ، ليسوا مصانع حربية متخصصة فى انتاج « الآر . بي . جي »

و « الكلاشنكوف » وليسوا من الخبراء العسكريين أو المخططين الاستراتيجيين . وليسوا أكثر الناس وطنية أو شجاعة أو فداء أو استبسالاً . الشعراء ، كشعراء ، غير مطالبين بشيء سوى أن يكتبوا شعراً . من حق الواحد منهم — ومن واجبه أحياناً — أن يموت ويستشهد ولكنه يفعل هذا باعتباره « وطنياً » أو « قومياً » أو « عقائدياً » وفى هذا المجال فإن كونه شاعراً لا يهمّ كثيراً . دعنى أوضح . لقد قرر « بيرون » أن يحارب من أجل استقلال اليونان ويموت هناك ولكن هذا لم يكن قراراً من « كائن شعرى » بل من « كائن سياسى » . وعندما استشهد غسان كنفانى فإنه لم يقتل لكونه أديباً ، ولكن لكونه مقاتلاً . أريد أن أقول ، ان الشاعر قد يكون مناضلاً وقد لا يكون . وقد يناضل لأسباب لا علاقة لها بالشعر . وقد يعكس الشعر نضاله وقد لا يعكس . اما الشاعر ، مجرداً من أى صفة أخرى ، فلا أتوقع منه شيئاً سوى كتابة الشعر .

القصيدة .. وضجيج التكنولوجيا :

● هل فقدت القصيدة الشعرية حرارتها تحت وقع ضجيج التكنولوجيا وتعقيدات الحياة ؟

محمد همـام

□ لا ! لم تفقد حرارتها ، ولا نبضها ، ولا موسيقاها . أتدرى ماذا فقدت ؟ فقدت قدرتها على أن تؤثر فى النفوس كما كانت تؤثر فى العهود الأبسط ، عهود احتفال القبيلة بمولد شاعر ، عهود ما قبل الاذاعة والصحف والتليفزيون ، عهود « أنف الناقة » . لم يعد بالإمكان ، اليوم ، أن يخزي بيت قبيلة ويرفع قبيلة كما كان يصنع . ولم يعد أحد يحتفل بمولد شاعر (إلا الشاعر نفسه ربّما !) . ولكن هذا لا يهم . لا يزال بوسعنا أن نقرأ القصيدة فنشعر بالنشوة الخالصة التى تجعل حياتنا أكثر موسيقي .. وربما أكثر عطاءً .. وأكثر حباً . ألا يكفي هذا ؟

بين الشعر ... والعلم :

● ما حاجة المجتمعات إلى الشعر والأدب ؟ وأين تضعهما مقابل العلم والمعرفة ؟

إيمـان علي

□ إذا سلمنا أن الإنسان جسد وروح كان على كل مجتمع يدّعي الإنسانية أن يشبع حاجات الروح بالإضافة إلى حاجات الجسد . وإذا كانت حاجات الجسد تتمثل في المأوى والمأكل والمستشفى والمصنع، فان للروح حاجات من نوع مختلف تشمل الموسيقى والشعر والفنون الجميلة والمسرح . بدون الخبز لا يعيش الانسان (كما نعرف جميعاً) ولكنه لا يعيش بالخبز وحده كما تقول العبارة الشهيرة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام . وأنا لا أرى أى تناقض بين الشعر والعلم . العلم هو الانسان « فى حالة تأمل » — والشعر هو « الانسان فى حالة غناء » . ولم أسمع أحداً يزعم أن الإنسان اما ان يقضي حياته كلها متأملاً .. أو يقضيها كلها مغنياً !

ملعقة من الطمأنينة !

● فى زمان الرصاص والبارود ، هل هناك مجال لولادة شعر ؟

إيمـــان علي

□ من قال ان الشعر يجب أن يولد وفى فمه ملعقة من الطمأنينة والراحة والسلام ؟ الشعر رفيق الروح الانسانية فى فرحها وترحها ، فى أعراسها ومآتمها ، من مهدها إلى لحدها . ولقد كانت الحروب والدمار لصيقة بالروح قبل اختراع الرصاص والبارود ، منذ أن قتل ابن آدم أخاه .. (ولا يزال يفعل برتابة مضنية !) .

الوضع العربي وطاقية الاخفاء !

● ما هو انعكاس الوضع العربي على شعرك ؟

إيمـــان علي

□ لا أدرى ! الوضع العربي كان ، وما زال ، البحر الذى أسبح فيه ، والهواء الذى استنشقه . كيف ، والحالة هذه أستطيع ان أحدد مدى تأثيره على ما أكتب ؟ إننى لن أفاجأ إذا اكتشف أحد فى يوم من الأيام أن الوضع العربي كان يلبس طاقية الاخفاء ويقبع وراء كل كلمة كتبتها !

الشعر .. فى الظروف العصيبة :

● تمرّ بالأمة العربية ظروف عصيبة ومعارك دامية ـــ فماذا عن دور الشاعر فى هذا كله ؟

نبيلـه سليمان

□ أقول ـــ وأجرى على الله ـــ ما سبق أن قلته مراراً وتكراراً وأثار البعض مراراً وتكراراً . ليس للشاعر دور شبيه بدور الجندى أو الاطفائى أو الطبيب . دور الشاعر هو أن يكون شاعراً هذا هو كل شىء : بداية القصة ونهايتها . ودور الشاعر ـــ بمعنى كونه شاعراً ـــ لا يتغير ولا يختلف باختلاف الحروب والأزمان والظروف . منذ البداية كان الشعر شعراً فحسب ؛ وفى النهاية ، يبقى الشعر شعراً فحسب !

الشعر في عصر الفيديو !

● الوضع الثقافى ؟ مشقّة الطبع والنشر ؟ التطور الاجتماعى ؟ ما هى أهم العوامل التى تعرقل حركة الشعر العربي ؟

إيمـان علي

□ لا هذا ، ولا تلك ، ولا ذلك ! كل يوم تصدر عشرات الدواوين فى مختلف العواصم العربية . وتمتلأ الصفحات الثقافية فى الدوريات « بيأجوج ومأجوج » شعرى . المشكلة ليست مشكلة « حركة » ؛ إنها مشكلة « تأثير » . لم يعد الشعر يؤثر فىّ المجتمع العربي المعاصر كما كان يؤثر فى المجتمعات العربية الغابرة والسبب ، باختصار شديد ، هو ثورة الاتصالات التى زحزحت الكلمة المقروءة عن عرشها ووضعت مكانها الكلمة المرئية / المسموعة . هذا عصر الالكترونيات ـــ فاذا نجح الشعر فى التسلل إلى داخل جهاز الفيديو نجح فى الوصول إلى قلب العصر ؛ إما إذا بقى محصوراً فى ديوان على رفوف مكتبة مغبرة فسوف يبقى هناك ـــ لا يصل اليه الا القارىء المتعصّب .

الشعر فى الزمن الردىء :

● هل تعتقد أنه يمكن أن يكون هناك شعر في زمن اختفت فيه الأحلام ؟ وهل لقسوة الواقع العربي ومشاكله الحالية أثر على أحلام الشعر ؟

محمد همـام

□ الشعر كان ، ويظل ، ويبقى ، عبر المحن والكوارث والحروب وعصور الانحطاط ومستنقعات الهزيمة لأنه جزء حيّ من القلب البشرى النابض لا يتوقف إلا إذا توقف هذا القلب عن الحركة . بل لعلنا فى الأيام السوداء أحوج إلى الشعر منا فى الأيام المشرقة . لعلنا فى واقعنا المزري بحاجة إلى شعراء أكثر منا إلى مفكرين . الفكر يصف الحياة ؛ أما الشعر فيتجاوزها .

الجـزء الثالث

قصائد

ليس ما يشجيك مني كلماتٌ في فمي
إنها — وا لهف نفسي ! — قطراتٌ من دمي

الأخطل الصغير

جَزيرة اللؤلؤ

اليــوم .. والأحــلامُ ضائعــةٌ مبــددّة الشبــاب
والعمــــر أشلاءٌ ممزقـــــةٌ بأنيــــاب السرابِ
اليوم .. إذ حان الرحيل وهمت في دنيا اغترابي
ومضى شراعي واهن الخفقات يبحر في الضبابِ
اليــوم تنكــرني ... وتتركنــي وحيــداً للعــذابِ

★

ما ضرّ لو قبل الرحيل منحتنى قبل الــوداعِ ؟
لو جئت عن بعد تطالعني .. تلوّحُ بالـذراعِ ؟
أو ما بدت في ناظريك عليّ بارقـةُ التيــاعِ ؟
أو ما رثــيت لذلك الملاح في ليــل الضيــاعِ ؟
ذاك المسافــر لا يسامــره سوى خفـــق الشراعِ

★

أنـا ذلك الطفـل الغرير رمتـه للدنيــا الخطــوبُ
تركتـه في صخب الجمـوع يكـاد يخنقـه النحيبُ
أبـداً تمرّ به العيـون تكـاد تصرخ : يـــا غريبُ !
من ذا رمـاني ريشـــة في الليل تلفظها الدروبُ ؟
لا هــــذه أرضي ولا أهلي لديّ .. ولا الحبيبُ

★

أرضي هنـــاك مع الشواطـــئ والمزارع والسهــولِ
في موطن الأصدافِ ... والشمس المضيئةِ .. والنخيلِ

أمي هناك .. أبي .. رفاقي .. نشوة العيش الظليلِ
حيث الحيـاة تمـر صـافيـة معطـرة الذيـولِ
حلمٌ شهي الطيف .. تقنع منه عيني بالذهولِ

★

أرضي هنـاك .. مع الشواطيء والبحـارِ الأربعَـةْ
والأفـق .. والشفـق المخضّب حين ينشـر أدمعـةْ
فتظـلّ ترقبـه الميَـاه كأنها تبكـي معـةْ
حيث المساءُ يطـل في صمت ويخطر في دعـةْ
ويعانـق الآفـاق .. يمنـحُ كل قلبٍ أذرعـةْ

★

الضوء لاح ... فديت ضوءك في السواحل يا (منامهْ)
فوق الخليـج أراك زاهيـة الملامح ... كابتسامـةْ
المـرفـأ الغـافي وهمستـه يهنـىء بالسلامـةْ
ونـداء مئذنـة مضوأةٍ ترفـرف كالحمامـةْ
يا موطني .. ذا زورقي أوفى عليك .. فخذ زمامهْ

البحرين
١٩٥٩م
١٣٧٩ هـ

أشعار من جزائر اللؤلؤ

قافلة الضائعين

قبيل الغروب
جمعت ثيابي
وطفت بدور صحابي
وودعتهم بدموع الحنين
وعدت وكانت دماء الشفقْ
تغطي الأفقْ
حواني طريق الضياع الطويل
وجاء المساء
وأبصرت أشباحه الواجمة
تحملق فيّ
وظلت تردّد في مسمعي
(إلى أين تمضي وهذا الطريق
بدون رجوع ؟)
وضجّ بأذني عويل الرياح
وروّعني من وراء الكهوف عواء الذئاب
وخلف انحناء الدروب رأيت عيون الوحوش
وكدت أعود
ولكن سداً رهيباً أطلّ
يسد عليّ طريق الرجوع

★

وفي الفجر أقبل نحوي غريب
يردّد أهلاً بهذا الرفيق

وقلبت عيني فأبصرت فيه
هزال الخريف وذل المساء
وكان سؤالْ
وكان سعال طويل وقالْ
(أنا يا صديق من الضائعين
هجرت المدينةْ
وأقبلت أدفن بين الدروب
بقايا الليالي الحزينة
فقد كان لي في رحاب المدينة
حياةٌ وبيتٌ وطفلٌ صغيرْ
وذات مساء أتتنا الرياح
وسارت ببيتي وطفلي الصغير)
وطالعته في حنان الحبيب
وقلت : (يدي يأأخى في يديكْ
فقد كان لي خلف باب المدينة قلب وليد
كطفلك قد كان قلبي الوليد
وذات مساءٍ طواه الردى
فأصبحت من غير قلب أسير
فهيّا معي)

★

وسرنا معاً
وحدّثني عن أماسي الحنينْ
وعن بيته وكروم العنبْ
وما في الحديقة من ياسمينْ
وكيف يطلّ عليها القمر
وحدّثته عن زمان الصغر
وعن اخوتي وليالي السمر
وكيف طوت كل هذا المدينة

★

وعند الظهيرة
سمعنا خطى مقبلات كثيرة
وجمعاً غفيراً من الضائعين
يسبّون ليل المدينة
وسارت مع الدرب قافلة الضائعين

القاهرة ١٩٥٩ م
١٣٧٩ هـ

أغنيـة قبْـل الرحيْـل

قبل أن أرحل عن هذي الديار ... قبل أن أضرب في تيه البحارِ
قرّبي مني .. اسمعي أغنيةً ... لحنها ضمَّ هدوئي وانفجاري
صغتها من لهفة الروح ومنْ ... رعشة الشوق ومن قسوة ناري
رجفت في قلبي فانسكبت ... أحرفاً تكتب مأساة إندحاري
اسمعيها وارقبي أصداءها ... حين تأتيك على بعد المزارِ

★

ما أمرّ اللحن يجتاح الفما ... موجعاً ينزف ناراً ودما
ترعش الذكرى على خفقته ... رعشة الطائر في الفخ ارتمى
ويثير الأمس جرحاً كلما ... ضج في الأضلع أحيا الألما
أنت مَنْ فجّر بركان الأسى ... فاسمعيه يتلظّى حمما
لن أناجيك بأنغام المنى ... وصدى اللوعة يكسو النغما

★

أأعيد الأمس قولي أأعيدُ ... وهو في وحشته طيف بعيدُ
آه كم كنت غريراً عندما ... خلت أن الحب ميلاد جديدُ
عندما أعطيته من خافقي ... دفقةً أججّها الشوق العنيدُ
عندما صوّرته لي مرتعاً ... فسنيني فيه نجوى وشرودُ
أيها الطفل ! تنبّه ! فالهوى ... عالمٌ مرٌّ وشكوىً وقيودُ

★

كيف أسلمت قيادي للمني ... وحسبت الحب فردوس الدنى ؟
كيف أهرقت على محرابه ... صبوتي الأولى وشوقي الأرعنا ؟

كيف ناجيتك مأخوذاً بما — كنت أدعوه ينابيع السنى ؟
لم تكوني في خيالي امرأةً — كنت فجراً باسم النور دنا
آه لو أدركت في لحظتها — أنت كالناسِ .. وكالناسِ أنا

★

لستِ فجراً عبقريّ اللمحاتْ — أنتِ أنثى مثل باقي الأخرياتْ
نام في أعماقك الطين وإن — أومضَتْ في شفتيك البسماتْ
وزها في نفسك الكبر كما — عربدتْ في جانبيك الشهواتْ
وأنا لا تكذبي لستُ سوى — عابرٍ ضاق بأغلال الحياةْ
في دمي ألفُ صراعٍ خالدٍ — وبأعماقيَ تبكي الظلماتْ

★

إنني أجهل حتى مقصدي — أتمنى أنني لم أولد
أنا في قفر حياتي ضائعٌ — سار في الركب بخطوٍ مجهدِ
لفني الليل فما أدري وقد — وئد النور بماذا أهتدي
أين أمضي ؟ يا سؤالا لم يزلْ — ظامئاً يقرع سمع الأبدِ
هذه الرحلة ما أغربها — أترى ندري مداها في غدِ ؟

★

يعجز العلم وتعيا الفلسفةْ — في جوابٍ نشتهي أن نعرفهْ
ما الذي نبغيه ؟ ما بال الفتى — ضائعاً ما عاد يدري هدفهْ
هذه الأشواق .. ما أسرارها — حين تجتاح النفوس المرهفهْ
قلق كالموت يستضعفنا — لم لا نقدر أن نستضعفهْ
أيّ لغزٍ ذلك الحب الذي — كلما لامس قلباً أتلفهْ ؟

★

أيّ لغز ذلك الحب ؟ .. أجيبي — ولماذا تهمس الروحُ حبيبي ؟
ولماذ يخفق القلب إذا — باحت النظرة بالوجد المذيبِ ؟
ولماذا يذبل الشوق كما — تذبل الأنوار من بعد المغيبِ ؟

ولماذا والأسى يحرقنـــــــا نستطيب العيش في وادي اللهيبِ ؟
ولماذا إنْ بسمنـــا مـــــرّةً غاضت البسمة كالظل الغريبِ ؟

★

أيها الحب ! لقد آن الفراقُ لم يعد في قلبنا الدامي اشتياقُ
عبث اليـأس بأشواق الصبـا مثلمـا يعبث بالبـــدر المحاقُ
كل ما نزعمـــه عن حبنـــا كذبٌ .. كل أغانينا نفـاقُ
جفّت القبلـــة في بسمتنـــا وذوى في برد قلبينا العناقُ
فلنقـل إنّـــا انتهينـــا وانتهت قصة أسطرهُـا عمـــرٌ مراقُ

★

هكـذا نسدل يا ليلى الستـارا هكذا يحتضر الحب احتضارا
هكــــذا تهزمنــــا قصتنــــا بعد أن كنا حسبناها انتصارا
هكـذا شاءت لنـا أقدارنـــا جفّت الخمرة وانفضّ السكارى
اذكريني في غد إن خفقت بين أضلاعك أشواقٌ حيارى
وإذا أحببت بعـدي فاعلمـي أنـني بعـدك أحبـــبت مرارا

لوس انجلس ١٩٦٢ م
١٣٨٢ هـ

قطرات من ظما

في شرقنا

في شرقنا .. لا تستحي الشمس من العيونْ
ولا ينام البدر في مهد من السحابْ
ولا يضيع الفجر في الضبابْ

★

في شرقنا .. ما زالت الحياةْ
صبية لم تتقن الدهاءْ
عذراء ما مرّ على أجفانها خبث النساءْ

★

في شرقنا .. ما زالت الجموعْ
تؤمن بالدموعْ
بدمعة عند الرحيلْ
ودمعتين للقاءْ

★

في شرقنا لا يكرم الحب ولا يهان
لا يمدح .. لا يذمْ
لكنه يعيش في الظلامْ
في نظرةٍ خلف النقابْ
في همسةٍ تلعثمتْ وراء فمْ
في ناهدين ارتعشا تحت الثيابْ

في شرقنا لا يعرف الحب الضياءْ
إلا إذا باركه دق الطبولْ

★

في شرقنا ننام في سلامْ
ونمضغ الأحلام حين يعوز الطعامْ
وننثني للبدر حين نشتهي الكلامْ
وعندما نضيق بالحياة
نقول بابتسامْ :
عليكمْ السلامْ

البحرين ١٩٦٥ م
١٣٨٥ هـ

الهنود الحُمر

كانوا يجبون الطبولْ
ويزمجرون على الخيولْ
حتى إذا جاء المساء تحلّقوا
حول الزعيم يدخنونْ
ويثرثرونْ
ويهدّدون الأبيض الملعون بالموت الزؤامْ
والليل يزأر بالطبولْ
والتبغ يلعب بالرؤوسْ
والحقد يجتاح النفوسْ

★

حتى إذا جاء الصباحْ
حملوا الفؤوسْ
ومضوا إلى البيض اللئامْ
لكن سيلاً من رصاصْ
سد الدروب فلا خلاصْ
وتساقطوا مثل الذبابْ
حتى الزعيمْ
صرعته امرأة .. فخرّ على الترابْ

★

مرّت سنونْ
واليوم ماذا عن حضارتهم

نقـــــوشْ .
ملء المتاحف .. أو بقايا من سلالتهم
على السّواح تُعرض ثم يبتسم الدليلْ
عاشوا كما تحيا الوحوش
كانـوا يحبـون الطبـولْ
ويزمجرون على الخيـولْ
ويلقّبـــون زعيمهـــم صقـــر الجبـــالْ

★

قل يا أخـــــــــي
— والنجمـــة المعقوفـــة الشوهـــاء
تلمـــع في المنائـــرْ
والمسجـــد الأقصى يردّد ما يرتلـــه
اليهود من الشعائر —
هل يبصر السّواح يومـــــــاً ما
حضارتنـا بقايـــا
ملء المتاحف .. أو سبايا
في حانةٍ في تل أبيبْ ؟

لنـدن ١٩٦٧ م
١٣٨٧ هـ

رُباعيّات عاشقة

جميلــة أنت ؟ لست أدري الشمس تحبــو على عيــوني
فلا أرى منْك غير برقٍ كلمعــة الحب في ظنونــي
أفديكِ هل أنت من خيالي ؟ أفكــرةٌ صاغهــا جنــوني
فقد جعلت الحياة دربــاً في كوكبٍ دافىءٍ حنــونِ

★

حملتُ إليك حرمان الصحارى فكيف أحلتهِ ريا وخصبا ؟
وكيف صنعت من ظمأي نعيماً وكيف جعلت جوع الروح حبا ؟
وكيف نسجت دفئاً من شتائي وكيف أعدت حتى الجرح عذبا ؟
وكيف مشت عيونك في ضياعي ومدّت لي من المجهولِ دربا ؟

★

سأجعل من عينيك أنشودة الورى سأجعل من عينيك معجزة الفّنِ
وأكتب في عينيك شعراً إذا شدا به سامرٌ هام المساء مع اللحن
وغارت صبايا الحيّ كل جميلة تسائل من هذي التي ملأت دنيّ
ستذكرنا الأيام منك صبابتي وما ينقل السمّار عن حبنا منّي

★

تمنيت لو نحن سرنا على الخليج إذا ما استدار القمرْ
نبلّــل أقدامنــا بالميــاه ونصغي إلى ذكريات السحرْ
وتغتســلين بليــل بلادي بليل القوافي .. بليل الصورْ
ونبحر في الفجر — حين تعود الزوارق — تحت شراع الخدرْ

★

طفتِ في بالي فطافت قصةٌ في خيالي من ليالي شهرزادِ
ورأيت الأفق يدعــوني إلى موعـدٍ عبر بحار السندبـــادِ
يا بساط الريح جئناك فطرْ قبل أن يدركنا ليلُ البعـادِ
ألقنـا في نجمـــةٍ مسحـــورةٍ ألقنـــا بين أساطير الرقـــادِ

★

شوقي إلـــــيك كأنــــــه شوق السؤال إلى الجوابِ
شوق الحقيقـــــة أن تمزق شمسهـــا ليـــل السحـــابِ
شوق الجنين إلى الحيــــاة وراء دهليـــز الضبـــابِ
شوق الشبـــاب إلى الهوى شوق المشيب إلى الشبـــابِ

لنـدن ١٩٦٨ م
١٣٨٨ هـ

معركة بلا راية

وتبسم يارا

وتـــــبسم يارا
فيرقص قوسا قزحْ
على مقلـــــتيها
وينفلت الفجر من شفتيها
ويبسم حتى الجدارْ
وتضحـــك يـــارا
فيعلـــو هديـــل الحمـــام
وتصدح فيروز للمستهام
ويكمـل عرس النهارْ
وتعـــبس يــــارا
فقـف يا نسيمُ
وغب يا ربيعُ
وضع يا فرحْ !

الرياض ١٩٧١ م
١٣٩١ هـ

أبيات غزل

مغـــرورة

حبيبتــــي أميرةٌ في الـــــنساءْ   تومض في ناظرهـا الكبريـاءْ
جاد لها الحسن بما تشتهي   وأعطيت من دهرها ما تشاءْ
يقـول عنها النـاس مغـــرورة   ويلي من الناس .. من الأغبياءْ
ما قيمة الحسن إذا لم يكن   فوق حدود الوهم .. فوق الرجاءْ ؟
وهل عشقنا البـدر لو أنـه   خرّ إلى الأرض وعاف السماءْ ؟

القاهرة ١٩٥٩ م
١٣٧٩ هـ

أبيات غزل

السكوت

ميتة حروفنا
مثل ضمائر الطغاة
ما اغتسلت في بركة الحياة
ولا درت ما رعشة المخاضْ
ما ألم الجراحْ
ما روعة السير على الرماحْ

★

نحلم أن عالماً بلا قيودْ
ينبت من أقلامنا المشلولة
نحلم أن موسماً من الورودْ
يزهر في صدورنا المسلولة
نحلم بالمعجزة الجديدةْ
نابعةً من فوهةِ القصيدةْ

★

تعبث إسرائيلُ في مساجدي
تنتف ذقن والدي
وأختفي
كالفأر في قصائدي

★

حين يخاف الشاعر المقدام أن يموتْ
يصبح أحلى شعره السكـوتْ

الرياض ١٩٧١ م
١٣٩١ هـ

انت الرياض

حُبّكِ

واسأل فيـــــم أحبـــــك ؟
يقفـــز ألـف جـــوابٍ
فهذا يقول لأنك أحلى النساء
وهذا يقول لأنك وكريَ حين تجنّ العواصف
هذا يقول لأنك صوت ضميري المهدّد بالصمت
هذا يقول لأنك تدرين أني طفل صغير
أحـــنّ إلى من يحنّ علـــيّ
هذا يقـــــــــــــول لأنك
أنت خلاصة ما في الوجود من الرفق والمكر والخجل
الحلـــــو والرغبـــــاتْ
وأعرف وحدي الجواب
لأن الطيور تغني
لأن العبير يضوع
لأن النجوم تضيء
لأن الدموع تسيل
لأني لو لم أحبك
ما كنت أنت
ولا كنت نفسي

★

وكالبحـــــر حُبّـــك
في البحر دنيا نرى بعضها وتغيب الجبال
تغـيب المروج

وفي البحـــر دفء وبـــرد
وفيه صراعٌ وريحٌ
وفيه الموانىء ترقب صابرة سندبـــاد
ومنذ الطفولة كنت أحب البحار
وأحمل في أضلعي غربتي وردة من دموع
وأقبل حبك ألقيت فيه القصائد
والقـــلب والذكريـــات
وأبحرت خلـف الكنـــوز
تعلمت في غمرة الموج أن الحياة
تطيب إذا لامستها الشجاعـــة
إن المسافـــر في الحب ليس يموت

★

وكالليل حبـك
ينـزل فوق الطيـــور الصغيرة
يدخـــل تحت الجفـــون
يمسّ الخلايا البعيدة في الروح
لا ينتهي الليل يولد كل مساء
وفي الليل شوق إلى كل ما لا يكون
وفي حبك الليل ألعب بين النجوم
وألقط بدراً هنا وهلالا هناك
وحبك كالليل يفضح ما نمقته
أكف النهار من الزيف كالليل
يمشي وديعاً
ويعرف كل حزين غريب
ويبكي عليه

★

وحـــبك قربـــة مائي
وقـد أخذتني القفـــار إلى صدرهـــا

المتفجر شوكاً ورملاً
وحبك صدقي
وقد ضاع في الكلمات الرخيصة صوت الحقيقة
حبك عيناي تقتحمان دروع الضباب

جدة ١٩٧٦ م
١٣٩٦ هـ

أنت الرياض

الحُمّى

أحِسُّ بالرَّعْشَةِ تَعْتَرِيْنِي
والمَوتُ يَسْتَرْسِلُ في وَتِينِي
وَموجَةُ الإغْمَاءِ تَحْتَوِيْنَي
فَقَرِّبي مِنِّي وَلَامِسِينِي
مُرِّي بِكَفَّيْكِ عَلَى جَبِينِي
وَقَبْلَ أنْ أرْقُدَ حَدِّثِينِي

★

قُصِّي عَلَيَّ قِصَةَ السنِينِ
حِكَايَةَ الـمُشَرَّدِ الْمِسْكِينِ
طَوَّفَ عَبْرَ قَفْرِهِ الضَنِينِ
يَشْرَبُ مِنْ سَرَابِهِ الخَؤُونِ
وَيَشْتَكِي النُجُودَ لِلْحُزُونِ
وَجَرَّبَ الْغُرْبَةَ في السَّفِينِ
وَهَامَ فِي مَرَافِىءِ الْجُنُونِ
كَسِنْدِبَادٍ أحْمَقٍ مَأفُونِ
وعَادَ بالْحُمَّى وَبالشُجُونِ
مُحَمَّلاً بصَفْقَةِ الْمغْبُونِ

★

هَاتِــي كِتَــابَ الشِّعْــرِ أنْشِدِينِــي
قَصِيــدَةً رَائِعَــةَ الرَّنِيــنِ
كَتَبْتُهَــا فِي زَمَــنِ الْفُتُــونِ
أيَــامَ كُنْتُ سَاذَجَ الْعُيُــونِ
قَبْــلَ انْتِحَــارِ الْوَهُــمِ فِي الْيَقِيــنِ
وغَضْبَــةِ الْكَهْــلِ عَلَــى الْجَنِيــنِ
وَصَحْوَتِــي فِي الْوَاقِــعِ الْحَزِيــنِ
هَلْ تَذْكُرِيــنَ الْآنَ ؟ .. ذَكِّرِينِــي
بَراءَتِــي فِي سَالِــفِ الْقُــرُونِ
قَبْــلَ قُدُومِ الزَمَــنِ الْملْعُــونِ
يَبِيعُنِــي حِينــاً .. وَيَشْتَرِينِــي
يَمْنَحُنِــي الْمَــالَ .. وَلَا يُغْنِينِــي
يَسُكُبُ لِي الْمَــاءَ .. وَلَا يُرْوِينِــي
وَيَجْعَــلُ الْأغْلَالَ فِي يَمِينِــي
وَيَــزْدَرِي شِعْــرِي .. وَيَزْدَرِينِــي
يَالَشَقَــاءِ الْبُلْبُــلِ السَجِيــنِ
فِي الْقَــفَصِ الْمُــذَهَّبِ الثمِيــنِ
يُنْشِدُ مَا يُنْشِدُ مِنْ لُحُــونِ
خَافِتَــةٍ .. دَافِئَــةِ الشؤونِ
مِثْــلِ دَمٍ يَسِيــلُ مِنْ طَعِيــنِ

★

تَعِــبْتُ مِنْ جِدِّي وَمِــنْ مُجُونِــي
مِنْ كُلِّ مَا فِي عَالَمِــي الْمَشْحُــونِ
مِنْ مَسْرَحٍ مُحَنَّــطِ الْفُنُــونِ
مَشَاهِــدٌ بَاهِتَــهُ التَلْوِيــنِ

أغْنِيَـــــــةٌ رَدِيئَـــــــةُ التَلْحِيــــــــنِ
إمـــــرَأةٌ شَابَتْ فَمَـــــا تُغْرِينـــــــي
بَرِمْتُ بِالْـــــــمَسْرَحِ .. أُخْرِجينـــــــي
مُرِّي بِكَفَّـــــيْكِ عَلـــــىَ جَبِينـــــــي
وَقَبْـــــلَ أنْ أرْقُـــــدَ .. وَدِّعِينـــــــي

الرياض : ١٩٧٩ م
١٣٩٩ هـ

الحمى

يا أعزَّ النِّساء!

يَا أعَزَّ النِّسَاءِ! هَمِّي ثَقِيلُ
هَلْ بِعَيْنَيْكِ مَرْتَعٌ وَمَقِيلُ؟
هَلْ بِعَيْنَيْكِ - حِينَ آوِي
لِعَيْنَيْكِ - مُرُوجٌ خُضْرٌ وظِلٌّ ظَلِيلُ؟
هَلْ بِعَيْنَيْكِ بَعْدَ زَمْجَرَةِ
الْقَفْرِ غَدِيرٌ وَخَيْمَةٌ وَنَخِيلُ؟
يَا أعَزَّ النِّسَاءِ! جِئْتُكِ جَوْعَانَ
طَعَامِي كَآبَةٌ وَذُهُولُ
يَا أعَزَّ النِّسَاءِ! جِئْتُكِ حَيْرَانَ
فَأيْنَ الْحَادِي وَأيْنَ الدَّلِيلُ؟
يَا أعَزَّ النِّسَاءَ! جِئْتُكِ ظَمْآنَ
فَأيْنَ الْأكْوَابُ وَالسَّلْسَبِيلُ؟
يَا أعَزَّ النِّسَاءِ! جِئْتُ حِصَانَاً
مُثْخَناً هَدَّهُ السِّبَاقُ الطَّوِيلُ
كُسِرَتْ سَاقُهُ فَجُنَّ إِبَاءً
كَيْفَ يَخْبُو هَذَا الْجَوَادُ الْأَصِيلُ؟

★

وَتَسَاءَلْتِ مَاذَهَاكَ حَبِيبِي؟
وَطَوانِي الشَّذَا وَغَنَّى الْهَدِيلُ

« إتْرُكِ الْجُرْحَ لَحْظَةً يَتَكَلَّمْ
رُبَّ جُرْحٍ يَطِيبُ حِينَ يَقُولُ »
يَا أعَزَّ النِّسَاءِ! سِفْرُ شَقَائِي
كُلَّ سَطْرٍ فِيهِ حُسَامٌ صَقِيلُ
أنَا مِنْ أُمَّةٍ تَخُوضُ وُحُولاَ
مِنْ هَوَانٍ وَتَزْدَرِيهَا الْوُحُولُ
غَسَلُوا الْقُدْسَ بِالْبُكَاءِ وَيَجْرِي
بِدُمُوعِ الْأَسَىٰ الصَّبُورِ النِّيلُ
وَالْخُنُوعُ الذَّلِيلُ يَلْعَنُ تَارِيخِي
وَتَارِيخُهُ الْخُنُوعُ الذَّلِيلُ
قَتَلُوهُ ومَا دَرَىٰ فَتَغَنَّى
بِسَجَايَا **سَفَّاحِهِ** الْمَقْتُولُ
أُمَّتِي! أُمَّتِي الشَّقِيَّةُ! مَلَّ الْعَجْزُ
مِنَّا .. وَضَجَّ صَبْرٌ جَمِيلُ
حَارَبَتْنَا مِنَ التَّتَارِ قُرُودٌ
وَغَزَانَا مِنَ الْجَرَادِ قَبِيلُ
وَفُلُولُ الْيَهُودِ تَلْهُو بِأَرْضِي
عَجَبًا تَهْزِمُ الْجُمُوعَ فُلُولُ

★

يَا أعَزَّ النِّسَاءِ! مَا أرْخَصَ
الْأَلْفَاظَ يَجْتَرُّهَا اللِّسَانُ الْقَؤُولُ!
فَعَلُوا كُلَّ مَا أرَادُوا بِشَعْبِي
وَسِلاَحِي الْأَفْعَالُ وَالتَّفْعِيلُ
وَيُغِيرُونَ بِالْجُيُوشِ وَأنْقَضُّ
بِشِعْرٍ يُسَرُّ مِنْهُ الْخَلِيلُ

يَا بِحَارَ الْقَرِيضِ مَا عَزَّ بَحْرٌ
لَمْ يَصُنْهُ مِنَ الْعِدَا أُسْطُولُ
يَا قَوَافِيهِ لَيْتَ لِي بَدَلًا مِنْكُنَّ
سَيْفًا أَضُمُّهُ وَأَصُولُ
لَيْتَنِي أَعْرِفُ الشَّجَاعَةَ يَوْمًا
بَعْدَهُ يُشْتَهَى وَيُرْجَى الرَّحِيلُ

★

يَا أَعَزَّ النِّسَاءِ! أَيْنَ مَضَى
الطِّفْلُ وَأَيْنَ ابْتِسَامُهُ الْمَغْسُولُ؟
أَيْنَ وَلَّتْ بَرَاءَتِي؟ أَيْنَ طُهْرِي؟
أَيْنَ غَابَ الْفَتَى الْعَفِيفُ الْخَجُولُ
كَبِرَ الطِّفْلُ شَيَّبَتْهُ لَيَالِيهِ
وَعَرَّتْهُ مِنْ صِبَاهُ الْفُصُولُ
قَبْضَةُ الْأَرْبَعِينَ تَهْصُرُ رُوحِي
فَأَحَاسِيسِيَ الْعَذَارَى كُهُولُ
لَمْ تَعُدْ ثَمَّ شُعْلَةٌ مِنْ حَمَاسٍ
سُكِبَ الزَّيْتُ وَاسْتَرَاحَ الْفَتِيلُ

★

يَا أَعَزَّ النِّسَاءِ! أَخْشَى عَلَى قَلْبِي
مِنَ الْمَجْدِ إِنَّمَا الْمَجْدُ غُولُ
تَأْكُلُ الرِّفْقَ وَالسَّمَاحَةَ وَالطِّيبَةَ
فَالْقَلْبُ وَحْشَةٌ وَطُلُولُ
وَالطُّمُوحُ الَّذِي يُغَنِّي لَهُ النَّاسُ
سَرَابٌ مَا بُلَّ مِنْهُ غَلِيلُ

وَالْمَعَالِـي الَّتِـي يَهِيـمُ بِهَـا الْأَقْوَامُ
وَهُـمْ لَهُ تُدَقُّ الطُّبُـولُ

★

يَا أَعَـزَّ الـنِّسَاءِ ! جِئْتُ هَزَارًا
جَدَّ فِي إِثْـرِهِ عُقَـابٌ أَكُـولُ
حَارَبَتْـهُ الرِّيَـاحُ فَهُـوَ جَنَـاحٌ
رِيشُهُ فِي دِمَائِـهِ مَبْلُـولُ
يَا أَعَـزَّ الـنِّسَاءِ ! إِنْ قُلْتُ شِعْـرًا
أَحْـرَقَ الشِّعْـرَ كَاهِـنٌ مَخْبُـولُ
يَا أَعَـزَّ الـنِّسَاءِ ! إِنْ قُلْتُ نَثْـراً
سَفَّهَتْـهُ فَطَاحِـلٌ وَفُحُـولُ
وَإِذَا مَا صَمَتُّ عَذَّبَنِـي الصَّمْتُ
وَهَـلْ تَهْجُـرُ الْبُكَـاءَ ثَكُـولُ ؟
قَدَرِي مَا صَنَعْتُـهُ بِاخْتِيَـارِي
قَدَرِي صَاغَـهُ الْعَلِـيُّ الْجَلِيـلُ

الرياض ١٩٨٠م
١٤٠٠هـ

الحمّى

العَودة إلى الأماكن القديمة

عُدتُ كهــــلًا تَجــــرّه الأربعُــــونُ
فأجيبــي : أيـــنَ الصّبَــا والفتُــونُ ؟

مِلءُ رُوحي الظمَا ... فأيــن « عَذاري[1] » ؟
وَبقلبــي الهَــوَى ... فَأيــن الجُفُــونُ ؟

ما تغيّــرتِ .. أنت لَيلى الّتــى أعْشَقُ
... لكــنْ تغيَّــر المجنُــونَ

عُدتُ بَحريــنُ .. لا الفــؤاهُ فؤادٌ
مثــلَ أمسِ .. ولَا الحَنيــنُ حَنيــنُ

قدَرى كانَ بالجِرَاح سخيًّــــــــــــا
والــــذى يَلثم الجِرَاح ضنيــــنُ

ألـــفُ شمسٍ تفجّــرتْ فِي جبينــى
عجبًـــا كيـــف مَا تلاشى الجبيـــنُ

جرّعتنــــــــــى أوصَابهنَ .. عصُورٌ
وسقتنــــى أوجَاعهــــــنّ .. قرُونُ

---

(١) « عذاري » ينبوع ماء شهير فى البحرين .

عدتُ والشيبُ بَارقٌ عَبر فودي
وَعلى مُقلتـــيَّ غيـــمٌ هَتُـــونُ ..

وسميرايَ حُرقتـــي والقوَافِـــي
ونَديمَـــايَ غُربَتـــي والشّجُـــونُ

ألبسَتنـــي ثوبَ الغُبَـــارِ الصّحَـــارِي
فَأنَـــا فِيـــه لَا أكَـــادُ أبيـــنُ

أتذكّـــرتِ يَا حَبيبَـــةُ وَجهِـــي ..
أم تُرى نكّرَتـــهُ هذِى الـــغضُونُ ؟

لَا عِتـــابٌ إذا نسيتِ عُهـــودِى
لكِ ، شَأن الـــحِسَان ، قلبٌ خَؤونُ

★

كانَ يَغفُـــو في أذرعِ البَحـــرِ بَيتـــى
حَوَلـــه المَـــاء رقصَةٌ ولحُـــونُ

كُنتُ أصحُـــو وَالجزُر خِلّ وَفـــيٌّ
كُنت أغْفُـــو والمَـــدُّ جَارٌ أميـــنُ

والأمَـــاسِي عَلى الضّفَـــافِ نَعيـــمٌ
والهَـــواري[1] لَهـــوٌ وصَيـــدٌ سَمِيـــنُ

زرتُـــه اليـــومَ .. فانثنـــيتُ وَقَلبـــي
يتلَـــوّى .. كأنّـــهُ المطعُـــونُ

(١) الهواري قوارب الصيد الصغيرة .

ذهبَ البَحـرُ ! من ترى اغتـال بحرى
فهـوَ صَخـرٌ صَلـدٌ وقـارٌ مَهيـنُ ؟

عنـدَ ما تقتـلُ الـحَضَارةُ بحْـرًا ..
يعُـولُ الصّمتُ وَالفَـراغُ الحَزيـنُ

وتَلـفّ البِحَـارَ مَوجَـةُ يَأسٍ
وَعَلى الماءِ ينُـقَش التّأبيـنُ

وَتظـلّ النّـوارسُ البـيضُ تَبكِـي
ضَائعـاتٍ .. وَيُجـهشُ الدّلفيـنُ

يَا خَليجـى القَديـمُ ! إنّكَ مِثلي
عَاقبتنـى وَعَاقبـتك السُّنُـونُ

★

رُحتُ فى فرضةِ[1] المنامـةِ أمشِي
فطوَتنـي في ذِكريَاتِـى السـفينُ

أيـنَ جَالبُوتنـا[2] ؟ شرَاعٌ قَدِيـمٌ
يتَحَـدّى الهَـوَا وقلـعُ متيـنُ

أيـنَ منـى الحدَاقُ[3] ؟ أيـن ميَادِيـري[4]
وأيـن الرّبيَـانُ[5] .. أيـنَ العجيـنُ[6] ؟

---

(١) الفرضة : الميناء .
(٢) الجالبوت : السفينة الشراعية .
(٣) الحداق : صيد السمك بواسطة السنارة .
(٤) الميادير : جمع ميدار وهو السنارة .
(٥) الربيان : الجمبرى وعادة ما يستخدم كطعم في السنارة .
(٦) يستخدم العجين أحيانا كطعم فى السنارة .

والسّبيطـى[1] ؟ ونتعـةَ[2] تخلـع القـلبَ
سرورًا ؟ والقبـقبُ[3] الملعُـون

أيـنَ منـى الغـرُوبُ ينـزفُ شعـرًا
فعَلى الأفـق مِن دمَـاه فُنُـونُ ؟

ورُجُوعـى والليـلُ شيـخ وقُـورٌ
طلعـةٌ حلـوةٌ وقـلبٌ حَنُـونُ

آه يَا بَحـرُ أنتَ فى قَاع رُوحـى
وأنـا فيك سندبـادٌ سجيـنُ

★

غبتُ فى الحىّ أنـبشُ الأمسَ نَبشًا
وهـو فى عَالِـم الضَبـاب رَهِيـنُ

أيـن ذاك البقّـال[4] بسرٌ ولَـوزٌ[5]
وحمَـارٌ محنّـط مِسكيـنُ ؟

أيـن ذاك السَّقـاء نَجـرِى وَنشدُو
خَلفَـه وَالزقـاقُ مَاءٌ وطيـنُ ؟

---

(١) السبيطى : نوع من أنواع الأسماك المشهورة في الخليج .
(٢) النتعة : شدة السمكة للسنارة .
(٣) القبقب : سرطان البحر .
(٤) البقال : بائع يتجول في الأحياء على حماره ويبيع الخضروات والفواكة .
(٥) اللوز : ثمرة تنبت في الخليج .

أيـــن سَالمين[1] ؟ والـــــعصَا وبخورٌ
أرعبَ الحَـــىَّ كُلـــه سَالميـــنُ

أيــنَ ذاكَ الضجيـجُ فى لعبَــة الصَرقيـع[2]
يَعلـــو ؟ وَالــــقَبّ والقلّيـــنُ[3]

أيــنَ ناملينتـــا[1] يَطـــيش وَيـــغضى
فهـــوَ كالدّهـــرِ ثورَة وَسُكـــوُنُ ؟

أيــنَ نبتٌ غَضٌ عَلى السِيــف يُلقـــى
كلّ عيـــد[2] وَأيـــن قَرقاعُـــونُ[3] ؟

غَيّـــرت لمَسَةُ التّطــــور حَيّـــى
فهـــوَ شكـــلٌ فَخـــمٌ وَلا مَضمُـــونُ

أيُّهَـــا الحَـــىّ ! إن عتـبتُ فَقـــل لِى :
داسَ قَلبـــــى وَدَاسَكَ التّمديـــــنُ

أيّهـــا الحَـــىّ ! لوّثتنَـــا الليـــالِي
فكِلانَـــا بَعـــدَ النّقـــاء هجيـــنُ

★

(١) سالمين : رجل أسود عجوز غريب الأطوار كان يرتدى بدلة عسكرية ويجوب الحى بعصاه وفى يده مبخرة .
(٢) الصرقيع : لعبة من ألعاب الصبية فى البحرين .
(٣) القب والقلين قطعتان من الخشب إحداهما قصيرة والأخرى طويلة تستخدمان في لعبة الصرقيع .
(٤) النامليت : نوع من المياه الغازية .
(٥) كان الأطفال في البحرين يلقون على شاطىء البحر في أمسية العيد نباتا صغيرًا سبق أن زرعوه فى وعاء ويغنون وتسمى هذه المناسبة « الحيّة بيّة » .
(٦) القرقاعون : طواف الصغار ليلا خلال النصف الأخير من شهر رمضان المبارك وهم ينشدون ويتلقون من كل بيت أضناف النقل والحلوى .

أيـنَ نجْـلاءُ ؟! بَيتها كَان قربَ الـعَين
يا عَيْنها ! فَدتْكِ العُيُــــــــــونُ

نظـــرةٌ فابتسَامـــةٌ فمَكاتِــــيبُ
عَليهَــــا تنــــفّسَ اليَاسِميـــــنُ

فَاشتيَـــاقٌ .. فَصَبـــوَةٌ .. فسُهَـــادٌ
فهُيـــامٌ .. فلَوعَـــةٌ .. فَجنُــــونُ

فَقصيـــدٌ تشكُـــو الدّفاتـــرُ مِنـــهُ
قَلّ فيـــهِ الفصيـــحُ وَالموزونُ

خَيرُ شِعــرٍ مَا قيــلَ وَالقــلبُ طفــلٌ
خيــرُ حُبٍ مَا مَاتَ وَهــوَ جنيــنُ

أيــن نَجــلاء ؟! مَرّ بى ألــفُ وَجْــهٍ
إنمّـــا وَجهُهَـــا بِروحِـــى دَفيـــنُ

ألـــفُ حُبٌ .. لَكـــن أوّلَ حُبٍ
هُوَ فِى مُهجتِـــى الأثيـــرُ المصُونُ

★

أيُّهـــا النّـــاسُ ! هَل رأيتُـــم شبَـــابى ؟
كَان أحلى ممّـــا تَظـــن الظنــــونُ

الرياض ١٩٨١م العودة إلى الأماكن القديمة
١٤٠١هـ

نفرٌ... فديتك!

نِفـــرٌ .. فَديـــتُكِ !.. نحوَ الطفولَـــــة
لـو سَـــاعتيْنُ
فنــــأكل فى الشمسِ تفّاحتيــــــنْ
وألقِـــى علـــيكِ بفزّورتيـــــنْ ..
ونَغــرقُ .. نَغــرقُ فى ضحكتيْـــن

★

وَهـــاتى منَ الــرّف سَيّارتيــــنْ
ستغــلبُ سيّارتِـــى فى السبَـــاقِ
بطـرفـةِ عــينْ
وهَـــاتى الدُمـــى .. سَوفَ نختـــارُ
من بَينهَـــا طفلتينْ
وَنبنـــى من الرمـــلِ أرجُوحتيْـــنْ
ونَغــرقُ .. نَغــرقُ فى ضحكتيــــنْ

★

نفرّ .. فديتُكِ !.. من عبثِ الدهرِ بالوجنتين
وَما يفعل الشيبُ بالمفرقينْ
وَمن كلّ قلبٍ
يُمزّقهُ الحِقدُ بالمخلبيْنْ
ومن كُل روحٍ
تعيشُ من الكرهِ فى مَأتَمين

نَفرّ فَديتكِ ! .. نحوَ الطفُولةِ
نرضعُ من ثديها رضعَتينْ
ونغرقُ .. نغرق فى ضحكتينْ

★

نفرُّ .. فديتك !.. نحوَ الطفولَة
مــمَّا يقولون عنى
(لأنى أغنّى
لأنى إلى أن أموتَ أغنّى)
نفرّ عَلى متنِ أرجوزتينْ
ألمُّ حريرَ القوافى وأبنى
لعينيك من بعضهِ خيمَتينْ

★

نفرُّ .. فدَيتكِ !.. نحوَ الطفُولة
لوْ سَاعتينْ
وإن ضَاعَ منا طريقُ الرجوعْ
نهيمُ على وجهِنا ليلتينْ
ونغرق .. نغرقُ فى ضحكتينْ

الرياض ١٩٨٤م
١٤٠٤هـ

إصدارات: تهامة للنشر والمكتبات

سلسلة: **الكتاب العربي السعودي**

صدر منها:

● الجبل الذي صار سهلا (نقد)	الأستاذ أحمد قنديل
● من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
● عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● التنمية قضية (نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
● قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نقد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
● الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن الجفري
● الدوامة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
● غداً أنسى (قصة طويلة) (نقد)	الدكتورة أمل محمد شطا
● موضوعات اقتصادية معاصرة	الدكتور علي بن طلال الجهني
● أزمة الطاقة إلى أين؟	الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
● نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
● إلى ابنتي شيرين	الأستاذ حمزة شحاتة
● رفات عقل	الأستاذ حمزة شحاتة
● شرح قصيدة البردة	الدكتور محمود حسن زيني
● عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نقد)	الدكتورة مريم البغدادي
● تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الرابعة)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
● وقفة	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
● خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نقد)	الأستاذ أحمد السباعي
● أفكار بلا زمن	الأستاذ عبدالله الحصين
● كتاب في علم إدارة الأفراد (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
● الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
● طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
● التنمية وجها لوجه (الطبعة الثانية)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
● الحضارة تحد (نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
● عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
● لحظة ضعف (قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
● الرجولة عماد الخلق الفاضل	الأستاذ حمزة شحاتة
● ثمرات قلم	الأستاذ محمد حسين زيدان
● بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
● أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)	الأستاذ محمد علي مغربي
● النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
● قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي
● نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
● نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر

- **السعد وعد** (مسرحية) — الدكتور عصام خوقير
- **قصص من سومرست موم** (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- **عن هذا وذاك** (الطبعة الثالثة) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **الأصداف** (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز** (الطبعة الثانية) — الأستاذ أحمد السباعي
- **أفكار تربوية** — الدكتور ابراهيم عباس نتو
- **فلسفة المجانين** — الأستاذ سعد البواردي
- **خدعتني بحبها** (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبدالله بوقس
- **نقر العصافير** (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- **التاريخ العربي وبدايته** (الطبعة الثالثة) — الأستاذ أمين مدني
- **المجاز بين اليمامة والحجاز** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالله بن خميس
- **تاريخ الكعبة المعظمة** (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **خواطر جريئة** — الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- **السنيورة** (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- **رسائل إلى ابن بطوطة** (ديوان شعر) — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- **جسور إلى القمة** (تراجم) — الأستاذ عزيز ضياء
- **تأملات في دروب الحق والباطل** — الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
- **الحمى** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **قضايا ومشكلات لغوية** — الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
- **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** — الأستاذ محمد علي مغربي
- **زيد الخير** — الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
- **الشوق إليك** (مسرحية شعرية) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **كلمة ونصف** — الأستاذ محمد حسين زيدان
- **شيء من الحصاد** — الأستاذ حامد حسن مطاوع
- **أصداء قلم** — الأستاذ محمود عارف
- **قضايا سياسية معاصرة** — الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
- **نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي** (الطبعة الثانية) — الأستاذ بدر أحمد كريم
- **الإعلام موقف** — الدكتور محمود محمد سفر
- **الجنس الناعم في ظل الإسلام** — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- **ألحان مغترب** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الأستاذ طاهر زمخشري
- **غرام ولّادة** (مسرحية شعرية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **سير وتراجم** (الطبعة الثالثة) — الأستاذ عمر عبدالجبار
- **الموزون والمخزون** — الشيخ أبوتراب الظاهري
- **لجام الأقلام** — الشيخ أبوتراب الظاهري
- **نقاد من الغرب** — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- **حوار.. في الحزن الدافيء** — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- **صحة الأسرة** — الدكتور زهير أحمد السباعي
- **سباعيات** (الجزء الثاني) — الأستاذ أحمد السباعي
- **خلافة أبي بكر الصديق** — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **البترول والمستقبل العربي** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
- **إليها ..** (ديوان شعر) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **من حديث الكتب** (ثلاثة أجزاء) (الطبعة الثانية) — الأستاذ محمد سعيد العامودي

• أيامي	الأستاذ أحمد السباعي
• التعليم في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• أحاديث وقضايا إنسانية	الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
• البعث (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي مغربي
• شمعة ظمأى (ديوان شعر)	الدكتور أسامة عبدالرحمن
• الإسلام في نظر أعلام الغرب (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• حتى لا نفقد الذاكرة	الأستاذ سعد البواردي
• مدارسنا والتربية (الطبعة الثالثة)	الأستاذ عبدالواهاب عبدالواسع
• وحي الصحراء (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• طيور الأبابيل (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• قصص من تاغور (ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية)	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• زوجتي وأنا (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• لن تلحد	الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• عمر بن أبي ربيعة (الطبعة الثانية)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• رجالات الحجاز (تراجم)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• حكاية جيلين	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• من أوراقي	الأستاذ محمد سعيد العامودي
• الإسلام في معترك الفكر	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• إليكم شباب الأمة	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• هكذا علمني وردزورث	الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• في رأيي المتواضع (الطبعة الثانية)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• العالم إلى أين والعرب إلى أين؟	الدكتور بهاء بن حسين عزّي
• البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف	الأستاذ عبدالرحمن المعمر
• محمد سعيد عبدالمقصود خوجة (حياته وآثاره)	الدكتور محمد بن سعد بن حسين
• جزء من حلم	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن الجفري
• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• إنتاجية مجتمع	الدكتور محمود محمد سفر
• خواطر مجنّحة	الأستاذ محمد حسين زيدان
• العقاد (الجزء الأول)	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
• وجيز النقد عند العرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• سفينة الصحراء	الأستاذ عبدالعزيز المسند
• مقالات في التنمية	الأستاذ أحمد صالح التويجري
• الاعلام والصراع العالمي	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• من ذكريات مسافر (الجزء الثاني)	الأستاذ محمد عمر توفيق

- التقنية الإدارية في مشاريع التنمية الإنشائية — الدكتور جميل عبدالله الجشي
- عفـوا أيهـا النفـط (مقالات في التنمية) — الدكتور اسامة عبدالرحمن

تحت الطبع :

- التنمية وجها لوجه (الطبعة الثانية) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي

سلسلة :

الكتاب العربي اليمني

صَدرمنها :

- أطياف (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد محمد الشامي
- شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام — الأستاذ أحمد محمد الشامي

كتاب المرأة

صَدرمنها :

- سيدتي الحامل (الطبعة الثالثة) — الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- المطبخ السعودي — اعداد الأستاذة ثريا عبدالرحمن خياط
- أطفال لا يعرفون البكاء — الدكتور فايز عبداللطيف أورفلي، الاستاذه نجاح ابراهيم طرابلسي

سلسلة : الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية (الطبعة الثانية) — الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة (الطبعة الثالثة) — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبدالمنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) (الطبعة الثانية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال (الطبعة الثانية) — الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة (الطبعة الثانية) — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبدالرحمن فكري، الدكتور محمد عبدالهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبدالله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام (الطبعة الثانية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
- التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن — الدكتور خضير سعود الخضير
- مبادىء الطرق الإحصائية — الدكتور جلال الصياد، الدكتور عبدالحميد محمد ربيع
- مبادىء الإحصاء — الدكتور جلال الصياد، الأستاذ عادل سمرة
- المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة — الدكتور حسين عمر
- التعلّم الصفّي — الدكتور محمد زياد حمدان
- أحكام تصرفات السفيه في الشريعة الإسلامية — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- دراسات في الإعراب — الدكتور عبدالهادي الفضلي

- الاقتصاد الصناعي — الدكتور سليم كامل درويش
- أحكام تصرفات الصغير في الشريعة الإسلامية — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- الجيولوجيا المعملية (المستوى الأول والثاني) — الدكتور عبدالعزيز عبدالملك رادين، الدكتور عبدالعزيز عبدالقادر
- الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي — الدكتور عمر الطيب الساسي
- أصل الأجناس البشرية بين العلم والقرآن الكريم — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر

سلسلة:

رسائل جامعية

صدر منها:

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزّي
- الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن (الطبعة الثانية) — الأستاذة أميرة علي المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبدالله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي (تحقيق ودراسة) — الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر حلواني
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة بنت عبدالملك آل الشيخ
- دراسة الثوغرافية لمنطقة الاحساء (باللغة الانجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة) — الأستاذ أحمد عبدالاله عبدالجبار
- افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبدالكريم علي باز
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- تقويم النمو الجسماني والنشوء — الدكتورة ظلال محمود رضا
- العقوبات التفويضية وأهدافها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي

- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار (باللغة الانجليزية) — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن السابع الهجري — الأستاذ محمد فهد عبدالله الفعر
- أثـر الاستـماع فـي تعـلم اللـغة الانجليزيـة — الأستاذ مأمون يوسف بنجر

تحت الطبع :

- حقوق المرأة وواجباتها في الاسلام — الدكتورة فاطمة نصيف

مطبوعات تهامة
TIHAMA PUBLICATIONS

صدر منها :

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الإملائي — الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية — إعداد إدارة النشر بتهامة
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية) — إعداد إدارة النشر بتهامة
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية) — الدكتور حسن يوسف نصيف
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (دراسة وتحقيق) — الشيخ أحمد بن عبدالله القاري، الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان، الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبدالرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي — الدكتور عاطف فخري
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف — الأستاذ شكيب الأموي
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي الشيخ
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية) — الأستاذ فؤاد عنقاوي
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي قدس
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور اسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
- القرآن وبناء الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي عبده بركات

● الطب النفسي معناه وأبعاده	الدكتور محمد محمد خليل
● الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
● مجموعة الخضراء (دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
● خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخرجي
● ديوان السلطانين	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
● الامكانات النووية للعرب وإسرائيل	الدكتور صدقة يحيى مستعجل
● رحلة الربيع	الأستاذ فؤاد شاكر
● وللخوف عيون (مجموعة قصصية)	أحمد شريف الرفاعي
● البحث عن بداية (مجموعة قصصية)	الأستاذ جواد صيداوي
● الوحدة الموضوعية في سورة يوسف	الدكتور حسن محمد باجودة
● المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذة منى غزال
● من فكرة لفكرة (الجزء الأول)	الأستاذ مصطفى أمين
● رحلات وذكريات	الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
● ذكريات لا تنسى	الأستاذ محمد المجذوب
● تاريخ طب الأطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم
● مشكلات بنات	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
● دراسة في نظام التخطيط في المملكة العربية السعودية	الأستاذ يوسف ابراهيم سلوم
● نفحات من طيبة (ديوان شعر)	الأستاذ علي حافظ
● الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية	الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
● الماء ومسيرة التنمية (في المملكة العربية السعودية	الأستاذ مصطفى نوري عثمان
● الدليل لكتابة البحوث الجامعية (الطبعة الثالثة)	الدكتور عبدالوهاب ابراهيم أبوسليمان
● القطار والحبل (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ السيد عبدالرؤوف
● المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية	الدكتور علي علي مصطفى صبح
● مسائل شخصية	الأستاذ مصطفى أمين
● مجموعة النيل (دواوين شعر)	الأصعاذ طاهر زمخشري
● عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
● الزكاة في الميزان (الطبعة الثانية)	الدكتور محمد السعيد وهبة الأستاذ عبدالعزيز محمد رشيد جمجوم
● من فكرة لفكرة (الجزء الثاني)	الأستاذ مصطفى أمين
● البسمات	الدكتور حسن نصيف
● مشكلات لغوية	الدكتور شوقي النجار
● مجموعة فاروق جويدة (دواوين شعر)	الأستاذ فاروق جويدة
● صور وأفكار	الأستاذ عثمان حافظ
● ديوان حمام (ديوان شعر)	الأستاذ محمد مصطفى حمام
● اتجاهات نفسية وتربوية	الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
● التليفزيون التجاري في الولايات المتحدة	الأستاذ غازي زين عوض الله
● العلاقات الدولية (الطبعة الثانية) (ترجمة)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي

• الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث	الأستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي
• في بيتك طبيب	الدكتور محمد عبدالله القصيمي
• السبئيون وسد مأرب	الأستاذ محمود جلال العلامات
• مرشد الأسماء العربية (الطبعة الثانية)	إعداد وزارة الصحة
• سعودية الغد الممكن	الأستاذ شاكر النابلسي
• سرايا رسول الله	الشيخ أبوتراب الظاهري
• الطريق إلى القمر	المهندس سعد أحمد شعبان
• الماركسية والإسلام (باللغة الانجليزية)	الدكتور مصطفى محمود
• الإدارة والعلاقات الإنسانية	الأستاذ سليمان عبدالرحمن الجبهان
• صورة العربي في الصحف الأمريكية	الأستاذ غازي زين عوض الله
• ايدز (مرض نقص المناعة المكتسبة)	الدكتور أحمد عطا الهرفي
• في ظلال الخيام السوداء (باللغة الانجليزية)	تيري ودانييل موجيه
في ظلال الخيام السوداء (باللغة الفرنسية)	تيري ودانييل موجيه
في ظلال الخيام السوداء (باللغة العربية)	تيري ودانييل موجيه
• ١٠٠ ورقة ورد	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الاستثمار بالأسهم في المملكة العربية السعودية	الأستاذ غازي محفوظ فلمبان
• الأمـــراض الجلديـــة	الدكتور محمود حجازي
• القـــــات	الدكتور حمد المرزوقي الدكتور أحمد نبيل أبو خطوة
• نوع من العشق وشجون أخرى	الدكتور اسامة عبدالرحمن
• الزواج وفترة الخطوبة	الدكتور يسري عبدالمحسن
• مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ ألف عام	الأستاذ أحمد عبدالسلام البقالي
• سيرة شعرية	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي

كتاب للأطفال

صدر منها:

مجموعة : حكايات للأطفال

ينقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

- سعاد لا تعرف الساعة
- الحصان الذي فقد ذيله
- تورتة الفراولة
- ضيوف نار الزينة
- الضفدع العجوز والعنكبوت

- الكؤوس الفضية الاثنتا عشر
- سرحانة وعلبة الكبريت
- الجنيات تخرج من علب الهدايا
- السيارة السحرية
- كيف يستخدم الملح في صيد الطيور

تحت الطبع

- الأرنب الطائر
- معظم النار من مستصغر الشرر
- لبنى والفراشة
- ساطور حمدان
- وأدوا الأمانات إلى أهلها

- سوسن وظلها
- الهدية التي قدمها سمير
- أبو الحسن الصغير الذي كان جائعا
- الأم ياسمينة واللص

مجموعة : لكل حيوان قصة

للأستاذ يعقوب اسحق

- القرد
- الكلب
- السلحفاة
- الأسد
- الحمار الأهلي
- الفرس
- الغزال
- الوعل
- الضب
- الغراب
- الجمل
- البغل
- الفراشة
- الدجاج
- الحمار الوحشي
- الجاموس
- الثعلب
- الأرنب
- الذئب
- الفأر
- الخروف
- البط
- الببغاء
- الحمامة
- البوم
- البجع
- الهدهد
- الكنغر
- الخفاش
- النعام
- فرس النهر
- التمساح
- الضفدع
- الدب
- الخرتيت

مجموعة : حكايات كليلة ودمنة

إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان
- أسد غررت به أرنب
- المكاء التي خدعت السمكات

مجموعة : التربية الإسلامية — للأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الله أكبر
- قد قامت الصلاة
- الصــوم
- الصـــلاة
- الاستخارة
- صلاة الجنازة
- صلاة المسبوق
- صلاة الجمعة
- صلاة الكسوف والخسوف
- الشهادتان
- أركان الإسلام
- التيمم
- الوضـــوء
- الصدقات
- المسح على الخفين
- المسح على الجبيرة والعُصابة
- سجود التلاوة
- الزكاة
- زكاة الفطر
- زكاة النقدين
- زكاة بهيمة الأنعام
- زكاة العروض

قصص متنوعة :

- الصرصور والنملة — الأستاذ عمار بلغيث
- السمكات الثلاث — الأستاذ عمار بلغيث
- النخلة الطيبة — الأستاذ اسماعيل دياب
- الكتكوت المتشرد — الأستاذ عمار بلغيث
- المظهر الخادع — الأستاذ عمار بلغيث
- بطوط وكتكت — الأستاذ اسماعيل دياب
- نتيجة الطمع — الاستادة رباب الدباغ
- الدعوة الخفية — الأستاذة رباب الدباغ
- الحارس الذكي — الأستاذة رباب الدباغ

كتاب الناشئين

صدر منها :

مجموعة:وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة:حكايات ألف ليلة وليلة

- السندباد والبحر — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الديك المغرور والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- جزيرة السعادة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الحديقة المهجورة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني

إعداد — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

Books Published in English by TIHAMA

- **Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.**
  By: F.M. Zahran / A.M.R. Jamjoom / M.D.EED.
- **Zaki Mubarak: A Critical Study.**
  By: Dr. Mahmud Al Shihabi
- **Summary of Saudi Arabian Third Five Year Development Plan.**
- **Education in Saudi Arabia, A Model With Difference.** *(Second Edition)*
  By: Dr. Abdulla Mohamed A. Zaid
- **The Health Of The Family In A Changing Arabia.** *(Third Edition)*
  By: Dr. Zohair A. Sebai
- **Diseases of Ear, Nose and Throat.**
  By: Dr. Amin A. Siraj / Dr. Siraj A. Zakzouk
- **Shipping and Development in Saudi Arabia.**
  By: Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- **Tihama Economic Directory.** *(Second Edition)*
- **Riyadh Citiguide.**
- **Banking and Investment in Saudi Arabia.**
- **A Guide to Hotels in Saudi Arabia.** *(Second Edition)*
- **Jeddah City Guide**
- **Who's Who in Saudi Arabia. (Second Edition)**
- **An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia.**
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- **The Role of Groundwater In The Irrigation And Drainage Of The Al-Hasa of Eastern Saudi Arabia.**
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- **An Analysis Of The Effect of Capitalizing Exploration And Development Costs In the Petroleum Industry — With Emphais On Possible Economic Consequences in Saudi Arabia.**
  By: Mohiadin R. Tarabzune
- **Community Health in Saudi Arabia**
  By Dr. Zohair A. Sebai
- **Marxism and Islam**
  By: Mostafa Mahmoud
  Translated from Arabic by: M.M. Enani
- **The Demand for Housing Application at a Portfolio-Balance Model.**
  By: Dr. Farouk Saleh Khatib
- **In The Shadow of the Black Tents**
  By: Thierry & Danielle Mauger
- **The Effect of Listening Comprehension Component on Saudi Secondary Students' EFL Skill**
  By: Mamoun Yousef Banjar

Books Published in French by TIHAMA

- **A L'ombre De Tentes Noires**
  Therry ET Danielle Mauger